الفصل الثاني

ضابط الاختيار برسم المصحف

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: رسم المصحف.

المبحث الثاني: اختيار القراءة الموافقة لرسم المصحف.

المبحث الأول

رسم المصحف

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول: المراد برسم المصحف في اللغة والاصطلاح.**
- **المطلب الثاني: هل رسم المصحف توقيفي أم اصطلاحي؟**

- **المطلب الأول: المراد برسم المصحف في اللغة والاصطلاح:**

الرسم في اللغة: الأثر.

قال الخليل بن أحمد: الرسم بقية الأثر، وترسمت: نظرت إلى رسوم الدار، والرواسم: لويح فيه كتاب منقوش يختم به الطعام، والجميع الرواسيم، وناقة رسوم ترسُم رسمًا، أي: تؤثر في الأرض من شدة وطئها[١].

وقال ابن فارس: الراء والسين والميم، أصلان: أحدهما الأثر، والآخر ضرب من السير[٢].

وقال الجوهري: الرسم: الأثر، ورسم الدار: ما كان من آثارها لاصقًا بالأرض، وترسمت الدار: تأملت رسمها، ورَسَم على كذا وكذا، أي: كتب[٣].

---

(١) «كتاب العين» ٧/ ٢٥٢.

(٢) «معجم مقاييس اللغة» ١/ ٤٦٤.

(٣) «الصحاح» ٤/ ١٥٦٩.

والرسم في موضوعي هذا: حروف القرآن المرسومة، وهو قسمان: قياسي، وتوقيفي، ويسمى القسم الثاني: بالاصطلاحي نسبة إلى اصطلاح الصحابة رضي الله عنهم.

فالرسم القياسي: هو تصوير الكلمة بحروف هجائها على تقدير الابتداء بها، والوقف عليها، ولهذا أثبتوا صورة همزة الوصل، وحذفوا صورة التنوين، وفيه تآليف مخصوصة به.

والرسم التوقيفي: علم تعرف به مخالفات خط المصاحف العثمانية لأصول الرسم القياسي، والمراد بأصول الرسم القياسي قواعده المقررة فيه، ويرادف الرسم: الخط، والكتابة، والزبر، والسطر، والرقم، والرشم بالشين المعجمة، وإن غلب بالسين المهملة في خط المصاحف[١].

والمصحف: المصاحف العثمانية التي أجمع عليها الصحابة[٢].

التعريف بالمركب الإضافي: رسم المصحف هو أوضاع حروف القرآن في المصحف ورسومه الخطية[٣].

* * *

(١) «رشف اللمى على كشف العمى» (١).

(٢) «لطائف الإشارات» (٢١١).

(٣) «مقدمة ابن خلدون» (٤٣٨).

★ **المطلب الثاني: هل رسم المصحف توقيفي أم اصطلاحي؟**

مسألة فيها خلاف بين أهل العلم؛ لأنه لم يأت نص من المصطفى ﷺ في ذلك.

فذهب جمهور العلماء من السلف والخلف إلى وجوب التزام رسم المصحف وعدم مخالفته.

سئل الإمام مالك: هل يكتب المصحف على ما أخذته الناس من الهجاء؟ فقال: لا، إلَّا على الكَتْبة الأولى.

وسئل مرة عن الحروف في القرآن مثل الواو والألف: أترى أن تغير من المصحف إذا وجد فيه ذلك؟ فقال: لا[(١)].

وقال الإمام أحمد: تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في ياء أو واو أو ألف أو غير ذلك[(٢)].

وقال الفراء: الهجاء موقوف في كل القرآن [(١)].

وهناك طائفة من العلماء ترى أن رسم المصحف اصطلاحي تجوز مخالفته.

قال العز بن عبد السلام[(٣)]: لا تجوز كتابة المصحف الآن على الرسوم الأولى، باصطلاح الأئمة، لئلا يوقع في تغيير من الجهال[(٢)].

---

(١) انظر: «المقنع» (١٩)، «البرهان» ١/ ٣٧٩، «رشف اللُّمى» (١).

(٢) انظر: «البرهان» ١/ ٣٧٩.

(٣) عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم الدمشقي، عز الدين الملقب بسلطان العلماء، شيخ الإسلام والمسلمين، فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد (٥٧٧- ٦٦٠هـ). انظر: «الوافي بالوفيات» ١٨/ ٥٢٠، «طبقات الشافعية الكبرى» ٨/ ٢٠٩، «البداية والنهاية» ١٣/ ٢٧٤، «شذرات الذهب» ٧/ ٥٢٢.

وقال ابن كثير: إن الكتابة لما كانت في ذلك الزمان لم تحكم جيدًا، وقع في كتابة المصاحف اختلاف في وضع الكلمات من حيث صناعة الكتابة لا من حيث المعنى[١].

وقال الشوكاني: هذا مجرد اصطلاح لا يلزم المشي عليه، فإن هذه النقوش الكتابية أمور اصطلاحية لا يشاح في مثلها[٢].

واختصارًا للقول فإن الراجح في هذه المسألة -والله أعلم- ما عليه جمهور العلماء من أنه لا تجوز مخالفة رسم المصاحف العثمانية؛ لإجماع العلماء على أن من بدل في القرآن بزيادة أو نقصان متعمدًا فهو كافر.

قال القاضي عياض[٣]: وقد أجمع المسلمون أن القرآن المتلو في جميع أقطار الأرض، المكتوب في المصحف بأيدي المسلمين مما جمعه الدفتان من أول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] إلى آخر: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١] أنه كلام الله ووحيه المنزل على نبيه محمد ﷺ وأن جميع ما فيه حق، وأن من نقص حرفًا قاصدًا لذلك، أو بدله بحرف آخر مكانه أو زاد حرفًا مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع عليه الإجماع -وأجمع على أنه ليس من القرآن- عامدًا لكل هذا أنه كافر[٤].

ونقل الجعبري[٥] وغيره إجماع الأئمة الأربعة على وجوب اتباع رسم

---

(١) «فضائل القرآن» (٥١).
(٢) «فتح القدير» ١/ ٢٦٥.
(٣) عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي البستي، أبو الفضل، عالم المغرب، وإمام أهل الحديث في وقته (٤٧٦-٥٤٤هـ). انظر: «وفيات الأعيان» ٣/ ٤٨٣، «تذكرة الحفاظ» ٤/ ٦٧، «شذرات الذهب» ٦/ ٢٢٦، «الأعلام» ٥/ ٩٩.
(٤) «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» ٢/ ١١٠٢.
(٥) إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبري، أبو إسحاق، عالم القراءات، له تصانيف

المصحف العثماني[١]، وفي شرح الطحاوي[٢]: ينبغي لمن أراد كتابة القرآن أن ينظم الكلمات كما هي في مصحف عثمان رضي الله عنه لإجماع الأمة على ذلك[٣].

وقال البيهقي[٤]: من كتب مصحفًا فينبغي أن يحافظ على حروف الهجاء التي كتبوا بها تلك المصاحف، ولا يخالفهم فيها، ولا يغير مما كتبوه شيئًا، فإنهم أكثر علمًا، وأصدق قلبًا ولسانًا، وأعظم أمانة منا، فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكًا عليهم[٥].

وقال الشيخ عبد الفتاح القاضي: يجب على كاتب المصحف وطابعه وناشره أن يتحرى كل منهم كتابته على قواعد الرسم العثماني، ولا يخل بشيء منها، ولا يغير فيها شيئًا ما، بزيادة أو نقص أو إثبات أو حذف، حفظًا لهذا التراث الخالد، واقتداء بالصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين، وأعلام الإسلام في سائر الأعصار والأمصار، لا فرق في ذلك بين المصاحف الكاملة، والمصاحف الصغيرة التي يتعلم فيها الصغار

في الحديث والأصول والعربية (٦٤٠-٧٣٢هـ). انظر: «الوافي بالوفيات» ٦/ ٧٣، «طبقات الشافعية الكبرى» ٩/ ٣٩٨، «غاية النهاية» ١/ ٢١، «بغية الوعاة» ١/ ٤٢٠.

(١) انظر: «سمير الطالبين» للضباع (١٩).

(٢) أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي، أبو جعفر فقيه متبحر، مصنف متقن، انتهت إليه رئاسة الحنفية بمصر (٢٣٨-٣٢١هـ). انظر: «وفيات الأعيان» ١/ ٧١، «الوافي بالوفيات» ٨/ ٩، «طبقات الحفاظ» (٣٣٧)، «الأعلام» ١/ ٢٠٦.

(٣) انظر: «سمير الطالبين» للضباع (٢٠).

(٤) أحمد بن الحسين بن علي البيهقي أبو بكر، محدث حافظ، كبير مشهور من أئمة الدين (٣٨٤-٤٥٨هـ). انظر: «وفيات الأعيان» ١/ ٧٥، «تذكرة الحفاظ» ٣/ ٢٠٩، «طبقات الشافعية الكبرى» ٤/ ٨، «طبقات الحفاظ» (٤٣٣).

(٥) «شعب الإيمان» ٢/ ٥٤٨.

ومن في حكمهم من الكبار، ليتعرفوا على قواعد الرسم منذ طفولتهم، ونعومة أظفارهم[١].

وأصدرت هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية القرار رقم (٧١) بتاريخ: ٢١/ ١٠/ ١٣٩٩هـ في حكم كتابة القرآن بطريقة الإملاء العادية الذي يخالف الرسم العثماني، وأن ذلك لا يجوز؛ لأنه ثبت أن كتابة المصاحف بالرسم العثماني كان في عهد عثمان بإجماع الصحابة، على ذلك، وأن العدول عن الرسم العثماني إلى الرسم الإملائي الموجود حاليًا يفضي إلى تغيير آخر إذا تغير الاصطلاح في الكتابة، وبالتالي قد يتسرب إلى القرآن التبديل والتحريف، وأنه إذا لم يلتزم الرسم العثماني في كتابة القرآن، فإنه يخشى أن يكون كتاب الله ألعوبة بأيدي الناس، كلما عنت لإنسان فكرة في كتابة اقترح تطبيقها، فيقترح بعضهم كتابته باللاتينية أو غيرها، وفي هذا من الخطر، ودرءُ المفاسد أولىٰ من جلب المصالح.

وأصدرت رابطة العالم الإسلامي ممثلة في المجمع الفقهي الإسلامي التابع لها قرارًا يؤيد ما جاء في قرار مجلس هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، من عدم جواز تغيير رسم المصحف العثماني، ووجوب بقاء رسمه على ما هو عليه، ليكون حجة خالدة على عدم تسرب أي تغيير أو تحريف في النص القرآني، واتباعًا لما كان عليه الصحابة وأئمة السلف رضوان الله عليهم أجمعين والله ولي التوفيق[٢].

---

(١) «تاريخ المصحف الشريف» (١٠٤).

(٢) «مجلة المجمع الفقهي الإسلامي» العدد الرابع السنة الثانية (١٤١٠هـ-١٩٨٩م) (٤٨٥).

المبحث الثاني

اختيار القراءة الموافقة لرسم المصحف

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول: ذكر بعض الأئمة الذين اعتمدوا هذا الضابط واختاروا على وفقه.**
- **المطلب الثاني: اختيار القراءة الموافقة لرسم المصحف.**

⋆ المطلب الأول: ذكر بعض الأئمة الذين اعتمدوا هذا الضابط واختاروا على وفقه

اعتمد هذا الضابط علماء الأمة، وأجمعوا على لزوم اتباع المصاحف العثمانية في الوقف إبدالًا، وإثباتًا، وحذفًا ووصلًا وقطعًا[(١)]، ومن هؤلاء الأئمة الذين اختاروا على وفق هذا الضابط، وضعفوا بعض القراءات لخلافه:

١- أبو زكريا يحيى بن سلام[(٢)] (ت: ٢٠٠هـ):

تقول الدكتورة هند شلبي عن التزامه بما يتفق ورسم المصحف: إن اقتفاء أثر القراءات في تفسير يحيى بن سلام يوقف الباحث على

---

(١) انظر: «الإتقان» ١/ ٢٩٤.

(٢) يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي، البصري، أبو زكريا، مفسر، فقيه، عالم بالحديث واللغة (١٢٤-٢٠٠هـ). انظر: «الثقات» ٩/ ٢٦١، «ميزان الاعتدال» ٤/ ٣٨٠، «غاية النهاية» ٢/ ٣٧٣، «لسان الميزان» ٧/ ٤٠٢.

الوجهة العامة التي سار عليها يحيى، ولعل الفكرة الرئيسية التي يمكن تسجيلها تتمثل في أن ابن سلام قد سلك المسلك الرسمي في القراءات، يعني أنه قد اتبع المصحف العثماني فيها[١].

٢- **ومنهم أبو زكريا الفراء (ت: ٢٠٧هـ):**

قال رَحِمَهُ اللَّهُ أثناء حديثه عن إثبات الياء وحذفها من قوله عَزَّ وَجَلَّ ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٣٦] اتباع المصحف إذا وجدت له وجهًا من كلام العرب، وقراءة القراء أحب إلي من خلافه، وقد كان أبو عمرو يقرأ: ﴿إن هذين لساحران﴾ [طه: ٦٣] ولست أجترئ على ذلك، وقرأ ﴿فأصدق وأكون﴾ [المنافقون: ١٠] فزادوا واوًا في الكتاب، ولست أستحب ذلك[٢].

٣- **ومنهم أبو عبيد القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤هـ):**

فقد قرر رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الضابط، وقد نقلت كلامه في تقريره لهذا الضابط في الضابط السابق، ضابط الاختيار بالإجماع، واعتماد أبي عبيد له، وقد اختار أبو عبيد على وفق هذا الضابط قال مكي بن أبي طالب أثناء حديثه عن القراءات في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨]: وكان أبو عبيد يختار القراءة بنون واحدة اتباعًا للمصحف[٣]، وكان أبو عبيد يرد بعض القراءات التي تخالف رسم المصحف، فقد رد قراءة أبي عمرو لقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٩].

---

(١) «القراءات القرآنية بإفريقية» (١٦٦).

(٢) «معاني القرآن» ٢/ ٢٩٣.

(٣) «الكشف عن وجوه القراءات» ٢/ ١١٣.

قال أبو جعفر النحاس: وقراءة أبي عمرو: (ليهب) بلا اختلاف عنه، قال أبو عبيد: وهذا مخالف لجميع المصاحف كلها، قال: ولو جاز أن يغير حرف من المصحف للرأي لجاز في غيره[١].

٤- **ومنهم أبو حاتم السجستاني (ت: ٢٥٥هـ):**

اختار أبو حاتم على وفق هذا الضابط فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: أقف ﴿ٱلظُّنُونَا۠﴾ و﴿ٱلرَّسُولَا۠﴾ ﴿ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: ١٥، ٦٦، ٦٧] ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا۠﴾ [الإنسان: ١٥] فأثبت الألف في الوقف، فإذا وصلت طرحتهن جمع، وأما رأس أربع آيات من الأحزاب: ﴿وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤] فقد اجتمعوا على الوقف عليها بغير ألف؛ لأنها ليست مثبتة في المصحف، ونحن نتبع المصحف[٢].

واختلف القراء في قراءة قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُۜ﴾ [البقرة: ٢٤٥] وقوله تعالى: ﴿وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةًۖ﴾ [الأعراف: ٦٩]، وقوله تعالى: ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧] فقرأ بعضهم بصاد، وقرأ آخرون بالسين[٣]. قال أبو حاتم: هما لغتان، فكيف قرأت فأنت مصيب، واختار في ذلك أن يتبع خط المصحف[٤].

٥- **ومنهم أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ):**

فقد قرر هذا الضابط ونبه عليه حيث قال: ولا يجوز أن يقع شيء في المصحف مجمع عليه فيخالف؛ لأن اتباع المصحف أصل اتباع

---

(١) «إعراب القرآن» ٣/ ١٠.

(٢) «معاني القراءات» للأزهري ٢/ ٢٧٩.

(٣) انظر: «الغاية» (١٩٩)، «التيسير» (٨١)، «النشر» ٢/ ٢٢٨.

(٤) «الكشف عن وجوه القراءات» ١/ ٣٠٣.

السنة[١]، واختار الزجاج بعض القراءات؛ لأنها متفقة مع رسم المصحف، وضعف أخرى، لأنها مخالفة للرسم، ففي أثناء حديثه عن معنى قوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]. قال: وقد قُرِئَتْ: (لا ينال عهدي الظالمون) والمعنى في الرفع والنصب واحد؛ لأن النيل مشتمل على العهد، وعلى الظالمين إلَّا أنه منفي عنهم، والقراءة الجيدة هي على نصب ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لأن المصحف هكذا فيه، وتلك القراءة جيدة بالغة (برفع الظالمين)، إلَّا أني لا أقرأ بها، ولا ينبغي أن يقرأ بها؛ لأنها على خلاف المصحف[٢].

٦- **ومنهم أبو جعفر النحاس (ت: ٣٣٨هـ):**

اختار ابن النحاس على وفق هذا الضابط، فالقراءة الصحيحة المقبولة عنده هي التي توافق رسم المصحف مع الشروط الأخرى، وأما التي تخالفه فإنها قراءة تفسيرية، فعندما ذكر قراءة الجمهور لقوله تعالى: ﴿ٱهْبِطُواْ مِصْرًا﴾ [البقرة: ٦١] بالألف والتنوين في ﴿مِصْرًا﴾ قال: هذا أجود الوجوه؛ لأنها في السواد بألف[٣].

وفي أثناء حديثه عن القراءات في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢] ذكر قراءة ابن عباس: و(لا يضارِر) بكسر الراء الأولى، وقراءة ابن مسعود: (ولا يضارَر) بفتح الراء الأولى، ثم قال: وهاتان القراءتان على التفسير، ولا يجوز أن تخالف التلاوة

---

(١) «معاني القرآن» ١/ ١٢٧.

(٢) «معاني القرآن» ١/ ٢٠٥، وانظر: أمثلة أخرى في «معاني القرآن» ١/ ٢٣٦، ٤٥٤، ٣/ ٧٧.

(٣) «إعراب القرآن» ١/ ٢٣٢.

التي في المصحف[١].

٧- **ومنهم أبو عبد الله بن خالويه (ت: ٣٧٠هـ):**

فقد جعل جل اهتمامه برسم المصحف، وعدم مخالفته، فكثيرًا ما تجده يقول: فهذه القراءة على خلاف المصحف، فلا تجوز القراءة بها، ولولا خلاف المصحف لكانت قراءة جيدة[٢].

٨- **ومنهم أبو منصور الأزهري (ت: ٣٧٠هـ):**

قال مقررًا هذا الضابط: من قرأ بحرف شاذ يخالف المصحف، وخالف بذلك جمهور القَرَأَة المعروفين فهو غير مصيب، وهذا مذهب أهل العلم الذين هم القدوة ومذهب الراسخين في علم القرآن قديمًا وحديثًا[٣].

وقد اختار الأزهري على وفق هذا الضابط، حيث قال بعد أن ذكر خلاف القراء في إثبات الألف وحذفها في قوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الأحزاب: ١٠] وقوله تعالى: ﴿ٱلرَّسُولَا۠﴾ ﴿ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٦، ٦٧]: والاختيار عندي الوقف على هذه الألفات، ليكون القارئ متبعًا للمصحف، محققًا لما كتب فيه[٤].

٩- **ومنهم أبو محمد مكي القيسي (ت: ٤٣٧هـ):**

فقد جعل هذا الضابط من الأسس التي يجب أن تتوفر في القراءة

---

(١) «إعراب القرآن» ١/ ٣٤٨، وانظر مزيدًا من الأمثلة في «إعراب القرآن» ٣/ ٢٠٧، ٤٥٤.

(٢) انظر: «إعراب القراءات» ١/ ٨٥، ٢/ ٢١٧.

(٣) «تهذيب اللغة» ٥/ ١٤.

(٤) «معاني القراءات» ٢/ ٢٧٩، وانظر مزيدًا من الأمثلة في «معاني القراءات» ١/ ٤١٩، ٢/ ٢٣١.

الصحيحة، وكل قراءة خالفت رسم المصحف، فهي قراءة مردودة، وعن هذا يقول: الأصل الذي يعتمد عليه في هذا أن ما صح سنده، واستقام وجهه في العربية، ووافق لفظه خط المصحف، فهو من السبعة المنصوص عليها، ولو رواه سبعون ألفًا متفرقين، أو مجتمعين، فهذا هو الأصل الذي بني عليه قبول القراءات، من سبعة أو سبعة آلاف، فاعرفه وابن عليه[١].

وفي كتابه: «مشكل إعراب القرآن»، ذكر أن القراءة لا تصح إلَّا بما روي وصح عن الثقات المشهورين عن الصحابة والتابعين ﷺ ووافق خط المصحف[٢]، وفي كتابه «الكشف عن وجوه القراءات السبع» اختار مكي في مواضع كثيرة جدًّا على وفق هذا الضابط، ومنها ما يلي: فبعد أن ذكر خلاف القراء في قراءة: ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ و﴿صِرَٰطَ﴾ من قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفاتحة: ٦-٧] وبعد أن ذكر حجة كل قراءة قال: فإن قيل: فما اختيارك في ذلك؟

فالجواب أن الاختيار: القراءة بالصاد، اتباعًا لخط المصحف[٣].

وعند تعرضه للقراءات في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ﴾ [البقرة: ١١٦] ذكر أن ابن عامر وحده قرأ: ﴿قالوا﴾ بحذف الواو، والجمهور: ﴿وَقَالُواْ﴾ بإثبات الواو، ثم قال: وإثبات الواو هو الاختيار لثباتها في

---

(١) «الإبانة» (١٠٣).

(٢) انظر: «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٠.

(٣) «الكشف عن وجوه القراءات» ١/ ٣٥.

أكثر المصاحف[١].

واختار القراءة بنون واحدة في قوله: ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي﴾ من قوله تعالى: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ [النمل: ٢١] وعلل اختياره، بأن عليه الجماعة، وعليه خط المصحف[٢].

١٠- ومنهم أبو عمر بن عبد البر (ت: ٤٦٣هـ):

فقد قرر هذا الضابط بقوله: وأجمع العلماء أن ما في مصحف عثمان ابن عفان رضي الله عنه -وهو الذي بأيدي المسلمين اليوم في أقطار الأرض، حيث كانوا- هو القرآن الذي لا يجوز لأحد أن يتجاوزه، ولا تحل الصلاة لمسلم إلَّا بما فيه، وأن كل ما روي من القراءات في الآثار عن النبي ﷺ أو عن أُبيّ، أو عمر بن الخطاب، أو عائشة، أو ابن مسعود، أو ابن عباس، أو غيرهم من الصحابة مما يخالف مصحف عثمان المذكور، لا يقطع بشيء من ذلك على الله ﷻ، ولكن ذلك في الأحكام يجري في العمل مجرى خبر الواحد.

وإنما حل مصحف عثمان رضي الله عنه هذا المحل، لإجماع الصحابة وسائر الأمة عليه، ولم يجمعوا على ما سواه وبالله التوفيق[٣].

١١- ومنهم أبو القاسم الهذلي (ت: ٤٦٥هـ):

فقد اختار في «كامله» القراءات التي توافق رسم المصحف، أو رسوم أكثر المصاحف، ورد القراءة التي تخالف رسم المصحف، وذلك في

---

(١) «الكشف عن وجوه القراءات» ١/ ٢٦٠.

(٢) «الكشف عن وجوه القراءات» ٢/ ١٥٥.

(٣) «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد» ٤/ ٢٧٨.

مواطن كثيرة جدًّا فمنها ما يلي:

اختار القراءة بالألف في قوله: ﴿قِيَـٰمًا﴾ من قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [النساء: ٥] وعلل اختياره بأن تلك القراءة موافقة للمصحف(١).

واختار القراءة بألف بعد اللام في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الحجر: ٨٦] وعلل اختياره بأن هذه القراءة على وفق المصحف(٢).

١٢- ومنهم أبو محمد البغوي(٣) (ت: ٥١٦هـ):

حيث قرر هذا الضابط بقوله: فأما القراءة باللغات المختلفة، فما يوافق الخط والكتاب فالفسحة فيها باقية، والتوسعة قائمة بعد ثبوتها وصحتها، بنقل العدول عن الرسول ﷺ على ما قرأ به القراء المعروفون بالنقل الصحيح عن الصحابة رضي الله عنهم(٤).

---

(١) انظر: «الكامل» (١٧٨/ب).

(٢) انظر: «الكامل» (٢٠٩/ب).

(٣) الحسين بن مسعود بن محمد، الفراء أو ابن الفراء، أبو محمد ويلقب محيي السنة، البغوي، فقيه، محدث مفسر (٤٣٦-٥١٦هـ)، انظر: «تذكرة الحفاظ» ٤/ ٣٧، «الوافي بالوفيات» ١٣/ ٢٦، «طبقات الشافعية الكبرى» ٧/ ٧٥، «طبقات الحفاظ» (٤٥٧).

(٤) «شرح السنة» ٤/ ٥١١.

★ **المطلب الثاني: اختيار القراءة الموافقة لرسم المصحف :**

هذا الضابط من الضوابط التي لها أهمية كبرى عند أبي جعفر رَحِمَهُ اللَّهُ فمع اشتراطه لقبول القراءة التواتر، يشترط إلى جانبه الموافقة لرسم المصحف، حيث يقول: كل ما صح عندنا من القراءات أنه علمه رسول الله ﷺ لأمته من الأحرف السبعة التي أذن الله له، ولهم أن يقرءوا بها القرآن، فليس لنا أن نخطئ من قرأ به إذا كان ذلك موافقًا لخط المصحف.

فإن كان مخالفًا لخط المصحف لم نقرأ به، ووقفنا عنه، وعن الكلام فيه[(١)].

ويقول أيضًا: فاتباع المصحف مع قراءة جماعة القراء، وصحة المقروء به أولى من خلاف ذلك كله[(٢)].

وهذا الذي اشترطه أبو جعفر، هو ما يشترطه علماء القراءات؛ لأن الأمة أجمعت على ما تضمنته المصاحف التي كتبها عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وترك ما خالفها من زيادة ونقص وإبدال كلمة بأخرى، وجردت تلك المصاحف من النقط والشكل، ليحتملها ما صح نقله، وثبتت تلاوته عن النبي ﷺ[(٣)]، فالاحتكام إلى الرسم وحده في إثبات القراءة ليس المعتمد عند أبي جعفر الطبري وكذا عند أئمة القراءة، فلا يكون الرسم بمعزل عن الرواية.

---

(١) «الإبانة» (٦٠)، ولعله نقله من كتاب «القراءات» للطبري.

(٢) «جامع البيان» ١٨/ ١٠٢.

(٣) انظر: «الإبانة» ص (٥٨)، «النشر» ١/ ٩).

الأمثلة التطبيقية:

المثال الأول:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١].

قال أبو جعفر: اختلف القَرَأَة في قراءة قوله: ﴿مِصْرًا﴾ فقرأه عامة القَرَأَة ﴿مِصْرًا﴾ بتنوين المصر، وإجرائه.

وقرأ بعضهم بترك التنوين وحذف الألف منه، فأما الذين نونوه وأجروه، فإنهم عنوا به مصرًا من الأمصار بعينه فتأويله على قراءتهم: اهبطوا مصرًا من الأمصار؛ لأنكم في البدو، والذي طلبتم لا يكون في البوادي والفيافي، وإنما يكون في القرى والأمصار، فإن لكم -إذا هبطتموه- ما سألتم من العيش وقد يجوز أن يكون بعض من قرأ ذلك بالإجراء والتنوين، كان تأويل الكلام عنده: ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا﴾ البلدة التي تعرف بهذا الاسم، وهي مصر التي خرجوا عنها، غير أنه أجراها ونونها اتباعًا منه خط المصحف؛ لأن في المصحف ألفًا ثابتة في (مصر)، فيكون سبيل قراءته ذلك بالإجراء والتنوين، سبيل من قرأ: ﴿قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ١٥، ١٦] منونة، اتباعًا منه خط المصحف، وأما الذي لم ينون (مصر) فإنه لا شك أنه عنى (مصر) التي تعرف بهذا الاسم بعينها دون سائر البلدان غيرها.

فأما القراءة فإنها بالألف والتنوين: ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا﴾[١]، وهي القراءة التي لا يجوز عندي غيرها، لاجتماع خطوط مصاحف المسلمين، واتفاق قراءة القَرَأَة على ذلك، ولم يقرأ بترك التنوين فيه، وإسقاط الألف منه، إلَّا من لا يجوز الاعتراض به على الحجة، فيما جاءت به القراءة مستفيضًا بينها[٢].

فالطبري في هذا المثال اختار القراءة التي توافق رسم المصحف: ﴿مِصۡرٗا﴾ بالألف والتنوين، فهكذا جاءت رسوم مصاحف المسلمين، مع اتفاق القراء على القراءة بذلك، وكان الاختيار بصيغة تقتضي الترجيح للقراءة المختارة، وردًا للقراءة الأخرى، ولا نكارة في هذا، فهي قراءة لم تتوفر على شروط التواتر.

قال أبو داود سليمان بن نجاح[٣] رَحِمَهُ اللَّهُ و﴿مصرًا﴾ بالألف على جراء إجماع من المصاحف[٤].

وقال أبو عبد الله القرطبي: و﴿مصرًا﴾ منكرًا قراءة الجمهور، وهو خط المصحف[٥]، ومثله قال السمين الحلبي[٦] وابن عادل،

---

(١) وهي قراءة العشرة. انظر: «مختصر ابن خالويه» (١٤)، «إعراب القراءات الشواذ» للعكبري ١/ ١٦٨، «إتحاف فضلاء البشر» ١/ ٣٩٥.

(٢) «جامع البيان» ١/ ٣١٣، «تحقيق شاكر» ٢/ ١٣٢.

(٣) سليمان بن نجاح بن أبي القاسم الأموي الأندلسي، مفسر، عالم بالقراءات عمدة فيها: (٤١٣-٤٩٦هـ). انظر: «الوافي بالوفيات» ١٥/ ٤٣٧، «غاية النهاية» ١/ ٣١٦، «طبقات المفسرين» للداودي ١/ ٢١٣، «الأعلام» ٣/ ١٣٧.

(٤) «التنزيل في هجاء المصاحف» (٢٠).

(٥) «الجامع لأحكام القرآن» ١/ ٤٢٩.

(٦) أحمد بن يوسف بن عبد الدائم الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، المعروف =

وسليمان[١] الجمل[٢]، والقراءة بالتنوين والألف: ﴿مِصْرًا﴾ هي اختيار أبي بحرية السكوني، وسلام الطويل، وأيوب بن المتوكل، وأبي عبيد، وأبي حاتم[٣].

المثال الثاني:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٦، ٨٧] قال أبو جعفر: وقد اختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ﴾ فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والعراق والشام: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ﴾ سوى أبي عمرو فإنه خالفهم فقرأه:

= بالسمين، مفسر، عالم بالعربية والقراءات، شافعي، توفي سنة (٧٥٦هـ). انظر: «غاية النهاية» ١/ ١٥٢، «بغية الوعاة» ١/ ٤٠٢، «طبقات المفسرين» للداودي ١/ ١٠٠، «الأعلام» ١/ ٢٧٤.

(١) سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهري المعروف بالجمل، مفسر، فقيه مشارك في بعض العلوم، توفي سنة (١٢٠٤هـ). انظر: «الأعلام» ٣/ ١٣١، «معجم المؤلفين» ٤/ ٢٧١، «كشف الظنون» ٥/ ٤٠٦.

(٢) انظر: «الدر المصون» ١/ ٣٩٥، «اللباب في علوم الكتاب» ٢/ ١٢٠، «الفتوحات الإلهية» ١/ ٨٧.

(٣) «الكامل» ص (١٦٠/أ).

فائدة: نصادف في بعض التفاسير عبارات تشعر بعدم دقة كُتَّاب المصاحف من الصحابة وتحريهم لما يكتبون، نحو قولهم: هذا من خطأ الكاتب، أو زيادة من الكاتب، ونحو ذلك. فهذا كلام ساقط لا يعول عليه ولا يلتفت إليه.

قال الزمخشري: ولا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحنًا في خط المصحف، وربما التفت إليه من لم ينظر في الكتاب، ولم يعرف مذاهب العرب، وما لهم النصب على الاختصاص من الافتنان، وغبي عليه أن السابقين الأولين الذين مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كانوا أبعد همة في الغيرة على الإسلام، وذب المطاعن من أن يتركوا ثلمة ليسدها من بعدهم وخرقًا يرفوه من يلحق بهم. «الكشاف» ١/ ٣١٣.

﴿سيقولون الله﴾ في هذا الموضع، وفي الآخر الذي بعده، اتباعًا لخط المصحف، فإن ذلك كذلك في مصاحف الأمصار، إلَّا في مصحف أهل البصرة، فإنه في الموضعين بالألف فقرؤوا بالألف اتباعًا لخط مصحفهم، فأما الذين قرؤوه بالألف فلا مؤنة[1] في قراءتهم ذلك كذلك؛ لأنهم أجروا الجواب على الابتداء، وردوا مرفوعًا على مرفوع، وذلك أن معنى الكلام على قراءتهم: قل من رب السماوات السبع، ورب العرش العظيم سيقولون رب ذلك الله، فلا مؤنة في قراءة ذلك كذلك.

وأما الذين قرؤوا ذلك في هذا والذي يليه بغير ألف، فإنهم قالوا: معنى قوله: ﴿قل مَنْ ربُّ السمٰوات﴾: لمن السماوات، لمن ملك ذلك؟ فجعل الجواب على المعنى، فقيل: ﴿لله﴾؛ لأن المسألة عن ملك ذلك لمن هو؟ قالوا: وذلك نظير قول قائل لرجل: من مولاك؟ فيجيب المجيب عن معنى ما سئل، فيقول: أنا لفلان؛ لأنه مفهوم بذلك من الجواب، ماهو مفهوم بقوله: مولاي فلان، وكان بعضهم يذكر أن بعض بني عامر أنشده:

وأعْلَمُ أنَّنِي سأكُونُ رَمْسًا
إذا سارَ النَّواجعُ لا يسيرُ
فقال السَّائلونَ لِمَنْ حَفَرْتُمْ
فقَالَ المُخْبرونَ لَهُمْ وَزِيَرُ[2]

---

(١) أي: لا تكلف في قراءتهم، فالمؤونة التكلف وهي فعولة من مانهم يمونهم، أي: يتكلف مؤونتهم. انظر: «العين» ٨/ ٩، «معجم مقاييس اللغة» ٢/ ٤٩٣، «الصحاح» ٥/ ١٧٦٢.

(٢) البيتان مما أنشده الفراء عن بعض بني عامر، ومعنى رمسًا: قبرًا، أي: سأكون ملازمًا رمسًا، والنواجع: هم الذين يخرجون إلى البادية لطلب الكلأ. انظر: «معاني القرآن» =

فأجاب المخفوض بمرفوع؛ لأن معنى الكلام: فقال السائلون: من الميت؟ فقال المخبرون: الميت وزير، فأجابوا عن المعنى دون اللفظ، والصواب من القراءة في ذلك أنهما قراءتان قد قرأ بهما علماء من القراء، متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، غير أني مع ذلك أختار قراءة جميع ذلك بغير ألف[(١)]؛ لإجماع خطوط مصاحف الأمصار على ذلك، سوى خط مصحف أهل البصرة[(٢)].

فالطبري في هذا المثال صوب القراءتين، ثم اختار القراءة التي توافق رسوم مصاحف الأمصار، سوى مصحف أهل البصرة، فإنها مرسومة فيه بالألف.

قال أبو عبد الله الجهني[(٣)]: ووقع في مصاحف أهل البصرة: ﴿سيقولون الله قل أفلا تتقون﴾ [المؤمنون: ٨٧] ﴿فسيقولون الله فأنى تسحرون﴾ [المؤمنون: ٨٩] بالألف فيهما جميعًا[(٤)].

= للفراء ٢/ ٢٤٠، «جمهرة اللغة» ١/ ٤٨٥، «مختار الصحاح» للرازي (١٣٩)، «معاني القراءات» للأزهري ٢/ ١٩٤.

(١) وهي قراءة العشرة، عدا أبي عمرو، ويعقوب. انظر: «المهذب» (٣١٣)، «التيسير» (١٦٠)، «النشر» ٢/ ٣٢٩.

(٢) «جامع البيان» ١٨/ ٤٧.

(٣) محمد بن يوسف بن يوسف بن أحمد بن معاذ الجهني الأندلسي، أبو عبد الله القرطبي، عالم بالقراءات، وبالعربية والفرائض، والحساب (٣٧٨-٤٠٧هـ). انظر: «معرفة القراء الكبار» ١/ ٣٨٨، «غاية النهاية» ٢/ ٢٨٩، «بغية الوعاة» ١/ ٢٨٧، «الأعلام» ٧/ ١٤٨.

(٤) «البديع في رسم مصاحف عثمان» (١٧٩).

وقال الإمام البغوي: قرأ العامة: ﴿لِلَّهِ﴾ ومثله ما بعده، فجعلوا الجواب على المعنى، كقول القائل للرجل: من مولاك؟ فيقول: لفلان، وهو مولاي، وقرأ أهل البصرة فيهما: ﴿الله﴾ وكذلك هو في مصحف أهل البصرة، وفي سائر المصاحف مكتوب بألف كالأول[١]، وصوب ابن خالويه القراءتين، ولم يختر منهما، حيث قال بعد أن ذكر حجة قراءة أبي عمرو وأنها معتمدة على مصحف أهل البصرة، حيث أثبت الألف فيه: وقرأ الباقون: ﴿لِلَّهِ﴾، ﴿لِلَّهِ﴾، ﴿لِلَّهِ﴾ ثلاثها، واحتجوا بمصحف عثمان الذي يقال: إنه الإمام. كذلك كتبت فيه، وكذلك مصاحف أهل الحجاز، والكوفة، والأمر فيهما واحد، وهما صوابان ولله الحمد[٢].

وقد اختار مكي القيسي القراءة التي اختارها الطبري للعلة نفسها حيث قال: وحجة من قرأ بغير ألف أنه حمل الجواب على معنى الكلام، دون ظاهر لفظه؛ لأنك إذا قلت: من رب الدار؟ فمعناه: لمن الدار؟ فالجواب في قولك لمن الدار؟ لفلان، كذلك لما قال: ﴿مَنْ رَبُّ السمٰوات؟﴾ كان معناه: لمن السماوات؟ ولما قال: ﴿قُل من بيده ملكوت كلّ شيء؟﴾ كان معناه، لمن ملكوت كل شيء؟ فالجواب في هذا ﴿لِلَّهِ﴾، فحمل الجواب على معنى الكلام دون ظاهر لفظه، وهو الاختيار؛ لأن الجماعة عليه، وكذلك هي بغير ألف في جميع المصاحف إلَّا في مصاحف أهل البصرة، فإن الثاني والثالث فيهما بالألف على قراءة أبي عمرو[٣].

---

(١) «معالم التنزيل» ٥/ ٤٢٦.

(٢) «إعراب القراءات السبع وعللها» ٢/ ٩٤.

(٣) «الكشف عن وجوه القراءات» ٢/ ١٣٠.

والقراءة بغير ألف هي اختيار أبي بحرية السكوني، وأيوب بن المتوكل، وأبي عبيد القاسم بن سلام، والقراءة بالألف هي اختيار سلام بن سليمان الطويل، وأبي حاتم السجستاني[1].

---

(١) انظر: «الغاية» (٣٣٥)، «المنتهى» (٤٩٢)، «الكامل» (٢٢٢/أ)، «سوق العروس» (٢٣٧).

انظر بقية المواضع في سورة البقرة: قوله تعالى: ﴿صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ١٨﴾ «جامع البيان» ١/ ١٤٦، وقوله تعالى: ﴿أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ ... إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٤﴾ «جامع البيان» ٢/ ١٤١، وقوله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٢١٠﴾ «جامع البيان» ٢/ ٣٢٧، وقوله تعالى: ﴿أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ ... فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٥٩﴾ «جامع البيان» ٣/ ٣٧، وقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ وَلَمۡ تَجِدُواْ كَاتِبٗا فَرِهَٰنٞ مَّقۡبُوضَةٞۖ ... وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٢٨٣﴾ «جامع البيان» ٣/ ١٣٩.

سورة آل عمران قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ٢﴾ «جامع البيان» ٣/ ١٦٣، وقوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡۖ ... إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٤٩﴾ «جامع البيان» ٣/ ٢٧٥.

سورة المائدة قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ... وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٥٤﴾ «جامع البيان» ٦/ ٢٨٦.

سورة يونس قوله تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ ... ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ٧١﴾ «جامع البيان» ١١/ ١٤٢.

سورة هود قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ ١٠٥﴾ «جامع البيان» ١٢/ ١١٥.

سورة مريم قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ١٩﴾ «جامع البيان» ١٦/ ٦١.

سورة طه قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ٦٣﴾ «جامع البيان» ١٦/ ١٨٠. =

= سورة المؤمنون قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ «جامع البيان» ١٨/ ٣٣.

سورة النور قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ... وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ «جامع البيان» ١٨/ ١٠١.

سورة الأحزاب قوله تعالى: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ ﴾ «جامع البيان» ٢١/ ١٣٢.

سورة الحجرات قوله تعالى: ﴿ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ «جامع البيان» ٢٦/ ١٤٣.

سورة التكوير قوله تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ «جامع البيان» ٣٠/ ٨١.

سورة القدر قوله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾ ﴾ «جامع البيان» ٣٠/ ٢٦٠.

الفصل الثالث

ضابط الاختيار بدلالة اللغة

وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

المبحث الأول: اختيار القراءة لكونها فصيحة شائعة معروفة عند العرب.

المبحث الثاني: اختيار القراءة لتخريج نحوي.

المبحث الثالث: اختيار القراءة لأجل التصريف والاشتقاق.

المبحث الرابع: اختيار القراءة لوجود ما يدعمها من الشعر العربي الفصيح.

تمهيد

أولًا: اعتماد الإمام الطبري لضابط الاختيار بدلالة اللغة:

إن هذا الضابط من الضوابط المهمة غاية الأهمية عند أبي جعفر رَحِمَهُ اللَّهُ، فهو يرى أن لغة القرآن الكريم يجب أن تحمل على أفصح كلام العرب، وأصحه مخرجًا عندهم، ولذا يقول: وأحق اللغات أن يقرأ بها كتاب الله من لغات العرب: أفصحها وأشهرها فيهم[(١)]، ويقول: وأولى ما قرئ به كتاب الله من الألسن أفصحها وأعرفها، دون أنكرها وأشذها[(٢)].

ويقول: وقراءة القرآن بأفصح اللغات، أولى وأحق منها بغير ذلك[(٣)].

ويقول: وكتاب الله الذي نزل على محمد ﷺ بلسانها يعني العرب، فليس لأحد أن يتلوه إلَّا بالأفصح من كلامها، وإن كان معروفًا بعض ذلك من لغة بعضها، فكيف بما ليس بمعروف من لغة حي ولا قبيلة منها[(٤)].

فالطبري فيما نقلت من كلامه يقرر أن الأخذ بالقراءة الفصحى والجودى أحق وأولى، مع اعترافه بالأخرى، لكن بشرط أن تثبت بالنقل المستفيض، فلا تثبت بالاعتماد على العربية، وأنها مشتهرة فصيحة، فالقراءة سنة متبعة فالطبري يراعي العلاقة بين النقل واللغة، ومتى قام بينهما تعارض قدم النقل؛ لأن ذلك هو الأصل وما قواعد اللغة إلَّا تبع له.

---

(١) «جامع البيان» ٢٥/ ٨٥.

(٢) «جامع البيان» ٨/ ٢٥، «تحقيق شاكر» ١٢/ ٣١٧.

(٣) «جامع البيان» ٦/ ٦٤، «تحقيق شاكر» ٩/ ٤٨٥.

(٤) «جامع البيان» ١١/ ١٢٦، «تحقيق شاكر» ١٥/ ١١.

ثانيًا: ذكر بعض الأئمة الذين اعتمدوا هذا الضابط واختاروا على وفقه:

اعتمد هذا الضابط في الاختيار جماعة من الأئمة، اختاروا بعض القراءات على وفقه، وكذا ضَعَّفُوا بعض القراءات على وفقه، ومن هؤلاء الأئمة:

١- أبو زكريا الفراء (ت: ٢٠٧هـ):

الفراء من علماء اللغة والأدب ومن المهتمين بكتاب الله تعالى، العارفين بقراءاته، وهو من أئمة الاختيار في القراءة، وكانت له أسس وضوابط بنى عليها اختياره، ومن أهمها، ضابط الاختيار باللغة، ولذا يقول الداني:

وابْـــن زِيَـــادٍ، وَهُـــو الـــفَـــرَّاءُ
لَـــهُ اخْــتِــيَــارٌ مَــا بِــهِ خَــفَــاءُ
عَـــلَّـــلَـــهُ بِـــوَاضِـــحِ الإعْـــراب
وَمَـــا رَوَاهُ عَـــنْ ذَوِي الألْـــبـــابِ[1]

فكما ذكر الداني هنا أنه علل اختياره بواضح الإعراب، ومن أمثلة ذلك قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى: ﴿ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ﴾ [النور: ٥٨]: فنصبها عاصم والأعمش، ورفع غيرهما، والرفع في العربية أحب إلي وكذلك أقرأ[2].

(١) «الأرجوزة المنبهة» (١٦١)، البيت رقم (٤٤٤) والذي بعده.

(٢) «معاني القرآن» ٢/ ٢٦٠.

٢- **ومنهم أبو عبيد القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤هـ):**

قال ابن الجزري: له اختيار في القراءة وافق فيه العربية والأثر[١]. وقال هو عن اختياره: إنما توخينا في جميع ما اخترنا من القراءات أكثرها من القَرَأَة أهلًا، وأعربها في كلام العرب لغة، وأصحها في التأويل مذهبًا، بمبلغ علمنا، واجتهاد رأينا. والله الموفق للصواب[٢].

وذكر ابن الأنباري[٣] خلاف القراء في إثبات هاء: ﴿يَتَسَنَّهْ﴾ [البقرة: ٢٥٩] وما أشبهه، ثم عرض لاختيار أبي عبيد في ذلك فقال: وقال أبو عبيد القاسم بن سلام الأسدي: الاختيار عندي في هذا الباب كله الوقوف عليها بالهاء، بالتعمد لذلك؛ لأنها إن أدمجت في القراءة مع إثبات الهاء كان خروجًا من كلام العرب، وإن حذفت في الوصل كان خلاف الكتاب، فإذا صار قارئها إلى السكت عندها على ثبوت الهاءات اجتمعت له المعاني الثلاثة، من أن يكون مصيبًا في العربية، وموافقًا للخط، وغير خارج من قراءة القراء[٤].

ومن القراءات التي اختارها أيضًا وفق هذا الضابط قراءة أبي عمرو والكسائي لقوله تعالى: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦] بكسر النون من ﴿يَقْنِطُ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟﴾ [الشورى: ٢٨] بفتح النون من ﴿قَنَطُوا۟﴾.

---

(١) «غاية النهاية» ٢/ ١٨.

(٢) انظر: «قراءات القراء المعروفين» (١٤٥).

(٣) محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري، من أعلم أهل زمانه بالأدب واللغة، ومن أكثر الناس حفظًا للشعر والأخبار (٢٧١-٣٢٨هـ). انظر: «نزهة الألباء» (١٩٧)، «إنباه الرواة» ٣/ ٢٠١، «وفيات الأعيان» ٤/ ٣٤١، «غاية النهاية» ٢/ ٢٣٠.

(٤) «إيضاح الوقف والابتداء» ١/ ٣١١.

قال أبو جعفر النحاس: أبو عبيد القاسم بن سلام يختار قراءة أبي عمرو والكسائي في هذا، وزعم أنها أصح في العربية[١].

٣- **ومنهم أبو حاتم السجستاني (ت: ٢٥٥هـ):**

استعمل أبو حاتم هذا الضابط استعمالًا واسعًا؛ لأنه كان عالمًا بوجوه القراءات، بصيرًا بالنحو والعربية، واختلاف اللغات[٢]. ومن أمثلة الاختيار على وفق هذا الضابط عند أبي حاتم: اختياره الكسر في ﴿قِيلَ﴾، وأخواتها، من قوله تعالى: ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: ٦] وقوله تعالى: ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا﴾ [الواقعة: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ﴾ [الزخرف: ٨٨]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢] وعلل اختياره بقوله: الكسر قراءة العامة في جميع ذلك وهي في اللغات أفشى، وفي الآثار أكثر، وعلى الألسنة أخف، وفي قياس النحو أجود[٣].

٤- **ومنهم أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ):**

لم يقصد الزجاج في كتابه «معاني القرآن وإعرابه» القراءات، ولكنه ألم بقراءات اللغويين، ومعظمها من الشواذ، ولهذا تجده في مواضع كثيرة، يقول يجوز في هذه الآية كذا وكذا إن كان قرئ به، أو هذا ما تجيزه اللغة، ولا تَقْرَأَنَّ به حتى تثبت رواية صحيحة أنه قرئ به، وهكذا[٤]، غير أننا نجد أبا إسحاق إذا صرح باختياره القراءة وفق

---

(١) «إعراب القرآن» ٢/ ٣٨٤.

(٢) «قراءات القراء المعروفين» (١٥١).

(٣) انظر: «الكشف عن وجوه القراءات» ١/ ٢٣٢.

(٤) انظر: بعض الأمثلة على ذلك في «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٨٢، ٢٣٦، ٣/ ٨٨، ٢٨٨.

ضابط لغوي فإنها تكون قراءة صحيحة ثابتة.

ومن ذلك قوله عند حديثه عن حذف الياء وإثباتها في قوله: ﴿نِعْمَتِيَ﴾ من قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧] فيها وجهان أجودهما فتح الياء؛ لأن الذي بعدها ساكن ...، ويجوز أن تحذف الياء في اللفظ لالتقاء الساكنين فتقرأ (نعمت التي) بحذف الياء، والاختيار إثبات الياء وفتحها؛ لأنه أقوى في العربية، وأجزل في اللفظ، وأتم للثواب؛ لأن القارئ يجازى على كل ما يقرؤه من كتاب الله بكل حرف حسنة، فإن إثباته، أوجه في اللغة(١).

٥- **ومنهم أبو جعفر النحاس (ت: ٣٣٨هـ):**

لقد استعمل النحاس هذا الضابط استعمالًا واسعًا، ولذا تجده يكرر التأكيد على الأخذ بالأغلب والأشهر في اللغة، ويرد الشاذ فيقول: ولا يحمل شيء من كتاب الله ﷻ على هذه، ولا يكون إلَّا بأفصح اللغات وأصحها(٢). ويقول: ولا يحمل كتاب الله ﷻ إلَّا على الأغلب الأشهر(٣). ويقول: وإنما يحمل كتاب الله على الكثير والفصيح، ولا يجوز أن يقاس عليه ما لا يشبهه(٤). وعند إعرابه لقوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ [البقرة: ٢١٢].

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ١/ ١٢٠، وانظر أمثلة أخرى ١/ ٢١٣، ٣٨٦، ٢/ ٢٨٢، ٣/ ٢٨٠.

(٢) «إعراب القرآن» ١/ ٣٠٧.

(٣) «إعراب القرآن» ٤/ ٢٨٣.

(٤) «إعراب القرآن» ٣/ ٢٦٣.

قال: وقرأ مجاهد وحميد بن قيس: (زَيَّنَ للذين كفروا الحياةَ الدُّنْيَا) وهي قراءة شاذة؛ لأنه لم يتقدم للفاعل ذكر[١]، ويذكر أحيانًا وجوهًا في قراءة الآية، ثم يقدم أجودها في نظر نحوي أو لغوي[٢].

٦- **ومنهم أبو منصور الأزهري (ت: ٣٧٠هـ):**

قال الأزهري بعد أن ذكر خلاف القراء في إثبات الهمزة وحذفها في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ [الأنعام: ١٠]: القراءة بالهمز لتتابع القراء عليه، وأنه أفصح وأتم[٣].

وقال بعد ذكره لخلاف القراء في قراءة قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ١٧٧]: الاختيار الرفع؛ لأن (ليس) يرفع الاسم الذي يليه، ومن نصب فعلى أنه جعل اسم ليس البر: ﴿أَن تُوَلُّوا۟﴾ و﴿ٱلْبِرَّ﴾ خبره، وهو جائز، والرفع أجود القراءتين[٤].

٧- **ومنهم أبو عبد الله بن خالويه (ت: ٣٧٠هـ):**

قال ابن خالويه ذاكرًا خلاف القراء في قراءة قوله تعالى: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٢٦٠]: قرأ حمزة وحده: ﴿فَصِرْهُنَّ إليك﴾ بكسر الصاد، وقرأ الباقون: ﴿فَصُرْهُنَّ﴾ بالضم، وهو الاختيار؛ لأن العرب تقول: صار يصور إذا مال، قال الشاعر[٥]:

---

(١) «إعراب القرآن» ١/ ٣٠٣.

(٢) انظر: «إعراب القرآن» ١/ ١٨٤.

(٣) «معاني القراءات» ١/ ٣٤٥.

(٤) «معاني القراءات» ١/ ١٩١، وانظر: أمثلة أخرى في «معاني القراءات» ١/ ٢٧٨، ٢/ ١١٦، ٣١٩.

(٥) هذا البيت لأوس بن حجر التميمي كما في ديوانه ص (١٤٠)، وهو بيت ملفق من =

يـصُـورُ عَـنُـوقُـهـا أحـوى زَنِـيـمٌ
لـه ظـابٌ كـمـا صَـخِـبَ الـغَـرِيْـمُ[١]

وقال في موضع آخر: قرأ حمزة وحده: ﴿لبثين فيها﴾ [النبأ: ٢٣] بغير ألف مثل: فرحين وفرهين.

وقرأ الباقون: ﴿لَّٰبِثِينَ﴾ بألف، وهو الاختيار؛ لأنه اسم فاعل من لبث يَلْبَثُ فهو لابث[٢].

٨- **ومنهم أبو محمد مكي القيسي (ت: ٤٣٧هـ):**

اعتمد مكي بن أبي طالب على الاختيار بهذا الضابط اعتمادًا كبيرًا في كثير من المواضع في كتابه «الكشف عن وجوه القراءات» ولذا يقول: الأصل الذي يعتمد عليه في هذا: أن ما صح سنده، واستقام وجهه في العربية، ووافق لفظه خط المصحف فهو من السبعة المنصوص عليها، ولو رواه سبعون ألفًا، متفرقين أو مجتمعين.

= عجز بيتين للشاعر، ونسبه الطبري إلى المعلى بن جمال العبدي. «تفسير الطبري» ٣/ ٥٤، تحقيق شاكر ٥/ ٤٩٩.

ويصور: أي يعطف عنوقها تيس أحوى، ويجمعها، والأحوى: الذي تضرب حمرته إلى السواد، يعني: تيس المعز، والزنيم: الذي له زنمتان في حلقه، وظاب: يعني: صوته وصياحه وصخبه، وهذا أشد ما يكون عند السفاد، والغريم: الذي له الدين على المدين، والمعنى: أن له صخبًا وصخبًا كصخب صاحب الدين على المدين الذي يماطله دينه.

انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٤٦، «الصحاح» ٤/ ١٥٧٩، «لسان العرب» ٤/ ٤٧٤، هامش «تفسير الطبري» بتحقيق شاكر ٥/ ٤٩٩.

(١) «إعراب القراءات السبع» ١/ ٩٧.

(٢) «إعراب القراءات السبع» ٢/ ٤٣١.

فهذا هو الأصل الذي بني عليه من قبول القراءات عن سبعة أو سبعة آلاف، فاعرفه، وابن عليه[١]، وقد اختار مكي في مواضع كثيرة جدًّا، ثم يعلل اختياره بعلة داخلة في عموم اللغة، فمرة بصحة إعراب القراءة المختارة، ومرة أخرى بأن كلام العرب أتى على وفق القراءة المختارة، ومرة ثالثة يعلل اختياره بأن القراءة المختارة أكثر في الاستعمال وأبين، ونحو هذا وفيما يلي أمثلة على ذلك: فعند حديثه عن القراءات في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۚ﴾ [النساء: ١٦] قال مكي: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا﴾ قرأ ابن كثير بتشديد النون، ومثله: ﴿هَٰذَانِ﴾ [طه: ٦٣] و﴿هَٰتَيۡنِ﴾ [القصص: ٢٧] و﴿فَذَٰنِكَ﴾ [القصص: ٣٢] و﴿اللذينَّ﴾ [فصلت: ٢٩] ووافقه أبو عمرو على التشديد في ﴿فَذَٰنِكَ﴾ خاصة، وقرأ ذلك الباقون بالتخفيف ...، وحجة من خفف أنه أجرى المبهم مجرى سائر الأسماء، فخفف النون، كما تخفف في كل الأسماء، وهو الاختيار، وعليه أتى كلام العرب، وهو المستعمل، وعليه أكثر القراء[٢].

وقال في موضع آخر بعد أن ذكر خلاف القراء في قراءة قوله تعالى: ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ﴾ [الأعراف: ١٨٠] اختار الضم في ﴿يُلۡحِدُونَ﴾ بقوله: والضم الاختيار؛ لأنه أكثر في الاستعمال، وأبين وعليه أكثر القراء[٣]. واختار الرفع في ﴿يَعۡقُوبَ﴾ من قوله

---

(١) «الإبانة» (١٠٣).

(٢) «الكشف عن وجوه القراءات» ١/ ٣٨١.

(٣) «الكشف عن وجوه القراءات» ١/ ٤٨٥.

تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ﴾ [هود: ٧١] فقال: والرفع الاختيار لصحة إعرابه؛ ولأن الأكثر من القراء عليه(١).

٩- **ومنهم أبو القاسم الهذلي (ت: ٤٦٥هـ):**

فقد اعتمد هذا الضابط، واختار على وفقه في مواضع كثيرة جدًّا في «كامله»، فعند قوله تعالى: ﴿هَيۡتَ لَكَۚ﴾ [يوسف: ٢٣] ذكر خلاف القراء في الحرفين ثم اختار قراءة الجمهور بالفتح فيهما حيث قال: وهو الاختيار؛ لأنه أشهر اللغات(٢)، وعند قوله تعالى: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ [النجم: ١٢] ذكر خلاف القراء في ذلك ثم اختار القراءة بالألف: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ﴾ وقال: لأن المفاعلة هنا أولى(٣).

(١) «الكشف عن وجوه القراءات» ١/ ٥٣٥.

(٢) «الكامل» (١٢٠/ ب).

(٣) «الكامل» (٢٤٠/ أ).

المبحث الأول

اختيار القراءة لكونها فصيحة شائعة معروفة عند العرب

إنه مما لا ريب فيه أن القرآن الكريم بقراءاته المتعددة أفصح وأسلم ما نطقت به العرب؛ لأن ألفاظه لب كلامها وزبدته، ومعانيه قد بهرت ذوي الألباب والأبصار، مدحه الله تعالى جَدُّه بالبيان والإفصاح، وبحسن التفصيل والإيضاح، وبجودة الإفهام، وحكمة الإبلاغ، وسماه فرقانًا، كما سماه قرآنًا[1]. وما تَعَدُّد القراءات في اللفظة القرآنية الواحدة، إلَّا تيسير وتخفيف على الأمة، وتهوين عليها، فكان من تيسير الله أن أمر الرسول ﷺ بأن يقرئ كل قوم بلغتهم، وما جرت عليه عادتهم، ولو أن كل فريق من هؤلاء أُمر أن يزول عن لغته، وما جرى عليه اعتباره طفلًا وناشئًا وكهلًا، لاشتد ذلك عليه، وعظمت المحنة فيه، ولم يمكنه إلَّا بعد رياضة للنفس طويلة، وتذليل للسان، وقطع للعادة، فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل لهم متسعًا في اللغات، ومتصرفًا في الحركات، كتيسيره عليهم في الدين[2] فيكون طبعيًا إذًا أن تكون بعض القراءات أفصح من بعض؛ لأن العرب الذين نزل القرآن بلغاتهم منهم الفصيح، ومنهم الأفصح، فإن قلت: هل يفضي ترجيح بعض القراءات على بعض إلى أن تكون الراجحة أبلغ من المرجوحة فيفضي إلى أن المرجوحة أضعف في الإعجاز؟

---

(١) «البيان والتبيين» ١/ ٣١.

(٢) انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (٣٩).

قلت: حد الإعجاز مطابقة الكلام لجميع مقتضى الحال، وهو لا يقبل التفاوت، ويجوز مع ذلك أن يكون بعض الكلام المعجز مشتملًا على لطائف وخصوصيات تتعلق بوجوه الحسن كالجناس والمبالغة، أو تتعلق بزيادة الفصاحة، أو بالتفنن مثل: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ [المؤمنون: ٧٢] على أنه يجوز أن تكون إحدى القراءات نشأت عن ترخيص النبي ﷺ للقارئ أن يقرأ بالمرادف تيسيرًا على الناس كما يشعر به حديث تنازع عمر مع هشام بن حكيم فتروى تلك القراءة للخلف، فيكون تمييز غيرها عليها بسبب أن المتميزة هي البالغة غاية البلاغة، وأن الأخرى توسعة ورخصة، ولا يعكر ذلك على كونها أيضًا بالغة الطرف الأعلى من البلاغة، وهو ما يقرب من حد الإعجاز[(١)] وبالتالي فلا غرابة أن كان الطبري يختار قراءة، ثم يعلل اختياره بأنها قراءة فصيحة شائعة معروفة عند العرب، فمن القراءات الفصيح، ومنها الأفصح، والقراءة المختارة عند أبي جعفر هي البالغة غاية الفصاحة؛ لأنه يقول: وأولى ما قرئ به كتاب الله من الألسن أفصحها وأعرفها، دون أنكرها وأشذها[(٢)].

الأمثلة التطبيقية:

المثال الأول:

قال تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٢٨].

---

(١) انظر: «التحرير والتنوير» ١/ ٦٢.

(٢) «جامع البيان» ٨/ ١٢، «تحقيق شاكر» ١٢/ ٣١٧.

قال أبو جعفر: واختلفت القَرَأَة في قراءة قوله: ﴿أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ فقرأ ذلك عامة قَرَأَة أهل المدينة وبعض أهل البصرة بفتح الياء وتشديد الصاد، بمعنى: أن يتصالحا بينهما صلحًا، ثم أدغمت التاء في الصاد فصيرتا: صادًا مشددة. وقرأ ذلك عامة قَرَأَة أهل الكوفة: ﴿أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ بضم الياء، وتخفيف الصاد بمعنى: أصلح الزوج والمرأة بينهما. قال أبوجعفر: وأعجب القراءتين في ذلك إلي قراءة من قرأ: ﴿أن يَصَّالحا بينهما صلحًا﴾ بفتح الياء، وتشديد الصاد[1] بمعنى: يتصالحا؛ لأن التصالح في هذا الموضع أشهر وأوضح معنى، وأفصح وأكثر على ألسن العرب من الإصلاح، والإصلاح في خلاف الإفساد أشهر منه في معنى التصالح، فإن ظن ظان أن في قوله: ﴿صُلْحًا﴾ دلالة على أن قراءة من قرأ ذلك: ﴿يُصْلِحَا﴾ بضم الياء، أولى بالصواب، فإن الأمر في ذلك بخلاف ما ظن، وذلك أن الصلح اسم وليس بفعل، فيستدل به على أولى القراءتين بالصواب في قوله: ﴿يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾[2].

فالطبري في هذا الموضع صوب القراءتين، ثم اختار القراءة بفتح الياء وتشديد الصاد ثم علل اختياره لهذه القراءة، بأنها أفصح وأشهر وأكثر على ألسن العرب من القراءة الأخرى، وإن كانت القراءتان فصيحتين، ولذا قال مكي في حجة القراءة التي اختارها الطبري: وحجة من قرأ بألف وفتح الياء أنه لما رأى الفعل من اثنين من زوجة وزوج، وهما مذكوران في أول

---

(١) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وأبي جعفر، ويعقوب. انظر: «المبسوط» (١٨٢)، «التذكرة» ٢/ ٣١٠، «النشر» ٢/ ٢٥٢.

(٢) «جامع البيان» ٥/ ٣١٠، «تحقيق شاكر» ٩/ ٢٧٨.

الكلام، أتى الفعل من باب المفاعلة التي تثبت للاثنين، فجاء على: تصالح الرجلان يتصالحان، ثم أدغمت الياء على الصاد، ونصب ﴿صُلْحًا﴾ كنصبه في القراءة الأولى على الوجهين، والمعروف في كلام العرب: التصالح عند التنازع، فـ ﴿يصالحا﴾ أولى به من الإصلاح، وهو مروي عن علي وابن عباس وعائشة وغيرهم، وهو اختيار أبي حاتم وأبي عبيد والطبري، وهو أحب إلي[١].

وقال ابن أبي مريم: والتصالح هو المعروف في هذا الباب[٢]، وقال أبو عبد الله القرطبي: فمن قرأ: ﴿يصالحا﴾ فوجهه أن المعروف في كلام العرب إذا كان بين قوم تشاجر أن يقال: تصالح القوم، ولا يقال أصلح القوم ولو كان أصلح لكان مصدره إصلاحًا، ومن قرأ ﴿يُصْلِحَا﴾ فقد استعمل مثله في التشاجر والتنازع كما قال: ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾[٣] [البقرة: ١٨٢]. وسبق الطبري في اختياره كذلك أبو بحرية السكوني، وسلام الطويل، وأيوب بن المتوكل[٤].

المثال الثاني:

قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ [الكهف: ١٦]، قال أبو جعفر: وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء أهل المدينة: ﴿ويهيئ لكم من أمركم مَرفِقا﴾ بفتح الميم وكسر الفاء، وقرأته عامة قراء العراق في المصرين

---

(١) «الكشف عن وجوه القراءات» ١/ ٣٩٨.

(٢) «الموضح في وجوه القراءات» ١/ ٤٢٨.

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» ٥/ ٤٠٥.

(٤) انظر: «المنتهى» (٣٢٣)، «الكامل» (١٨١/ ب)، «سوق العروس» (١٥٩).

﴿مِّرْفَقًا﴾ بكسر الميم وفتح الفاء، والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان بمعنى واحد، قد قرأ بكل واحدة منهما قراء من أهل القرآن، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، غير أن الأمر وإن كان كذلك، فإن الذي أختار في قراءة ذلك: ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ بكسر الميم وفتح الفاء[١]؛ لأن ذلك أفصح اللغتين وأشهرهما في العرب، وكذلك ذلك في كل ما ارْتُفِقَ به من شيء[٢]، فالطبري في هذا المثال يصوب القراءتين أيضًا، ثم يميل إلى القراءة بكسر الميم وفتح الفاء ويختارها، معللًا ذلك بأنها أفصح اللغتين، وأشهرهما في العرب.

قال النحاس: وزعم الكسائي أن اللغة الفصيحة كسر الميم وأن الفتح جائز[٣]، وقال الفراء: وأكثر العرب على كسر الميم من الأمر ومن الإنسان: (المرفق من الأمر، والمرفق من الإنسان)[٤]، والعرب أيضًا تفتح الميم من مرفق الإنسان[٥].

وقال الزجاج: وقرأت القراء: ﴿مَرفِقًا﴾ بفتح الميم وكسر الفاء، وذكر قطرب[٦] وغيره من أهل اللغة، اللغتين: مَرفق الأمر ومِرفق اليد، وقالوا

---

(١) وهي قراءة العشرة خلا نافع وابن عامر وأبي جعفر، انظر: «المبسوط» (٢٧٥)، «التذكرة» ٢/ ٤١٢، «النشر» ٢/ ٣١٠.

(٢) «جامع البيان» ١٥/ ٢٠٩.

(٣) «إعراب القرآن» ٢/ ٤٥٠، وانظر: «معاني القرآن» للكسائي ص (١٨٤).

(٤) زيادة لتوضيح العبارة.

(٥) «معاني القرآن» ٢/ ١٣٦.

(٦) محمد بن المستنير بن أحمد، أبو علي، الشهير بقطرب، نحوي عالم بالأدب واللغة، يرى رأي المعتزلة، توفي سنة (٢٠٦هـ).

جميعًا المرفق لليد بكسر الميم هو أكثر في اللغة وأجود[١]، وهذه القراءة التي اختارها الطبري قد سبقه في اختيارها، أبو بحرية السكوني، وأيوب بن المتوكل، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وأبو حاتم السجستاني[٢].

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٧٢.

(٢) انظر: «الغاية» (٣٠٥)، «المنتهى» ص (٤٤٦)، «الكامل» (٢١٣/ب)، «سوق العروس» (٢٢٦).

وانظر بقية المواضع في: سورة البقرة قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ... وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ «جامع البيان» ١/ ٤٠٠، وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ... كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾﴾ «جامع البيان» ٢/ ٣٦٨، وقوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ ۖ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ «جامع البيان» ٢/ ٥٩٤.

سورة آل عمران قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾ «جامع البيان» ٣/ ٢٥١، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ... وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾ «جامع البيان» ٩/ ١٩٠.

سورة النساء قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ... إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ «جامع البيان» ٥/ ٣١، وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ ...وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ «جامع البيان» ٦/ ٢٨.

سورة المائدة قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ... إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ «جامع البيان» ٦/ ٦٤.

سورة الأنعام قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾ «جامع البيان» ٨/ ١١١.

سورة الأعراف قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ... فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ «جامع البيان» ٨/ ١٨٧، وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾﴾ «جامع البيان» ٩/ ١٧، وقوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ... وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ =

.....

= ﴿٣٧﴾ ﴾ «جامع البيان» ٩/ ٤٤، وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ «جامع البيان» (١٣٤).

سورة التوبة قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ... أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ «جامع البيان» ١٠/ ١١٣.

سورة يونس قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ ... فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ «جامع البيان» ١١/ ١١٦.

سورة هود قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ «جامع البيان» ١٢/ ٥٤، وقوله تعالى: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ ۖ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ ﴾ «جامع البيان» ١٢/ ٧٥.

سورة يوسف قوله تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ ... إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ «جامع البيان» ١٢/ ١٨٠.

سورة النحل قوله تعالى: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ «جامع البيان» ١٤/ ١٠٤، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ «جامع البيان» ١٤/ ١٣١.

سورة الإسراء قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ﴾ «جامع البيان» ١٥/ ١٨، وقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ... وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾ «جامع البيان» ١٥/ ٦٤، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ ﴾ «جامع البيان» ١٥/ ١٥٣.

سورة الكهف قوله تعالى: ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ ﴾ «جامع البيان» ١٥/ ٢٩١، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ ﴾ «جامع البيان» ١٦/ ١٦.

سورة مريم قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ ﴾ «جامع البيان» ١٦/ ١٢١.

سورة طه قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ ﴾ «جامع البيان» ١٦/ ١٧٩، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ ﴾ «جامع البيان» =

.....

= ١٩٢/١٦.

سورة الحج قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ﴾ «جامع البيان» ١٥٢/١٧.

سورة المؤمنون قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا۟ ... فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ «جامع البيان» ٢٤/١٨.

سورة النمل قوله تعالى: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ «جامع البيان» ١٤٧/١٩، وقوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ «جامع البيان» ١٧٣/١٩.

سورة القصص قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ «جامع البيان» ٧٠/٢٠.

سورة الأحزاب قوله تعالى: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ ... وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴿١٠﴾ ﴾ «جامع البيان» ١٣٢/٢١.

سورة الصافات قوله تعالى: ﴿ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ «جامع البيان» ٧٣/٢٣.

سورة ص قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ ﴾ «جامع البيان» ١٧٦/٢٣.

سورة الزخرف قوله تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ «جامع البيان» ٨٤/٢٥.

سورة الأحقاف قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ ... وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ «جامع البيان» ٢١/٢٦.

سورة الطور قوله تعالى: ﴿ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ «جامع البيان» ٣٦/٢٧.

سورة الرحمن قوله تعالى: ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ ﴾ «جامع البيان» ١٤٠/٢٧، وقوله تعالى: ﴿ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾ «جامع البيان» ١٦٣/٢٧.

سورة الحديد قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ... وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ ﴾ «جامع البيان» ٢٢٤/٢٧.

سورة الملك قوله تعالى: ﴿ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ ﴾ «جامع البيان» ٦/٢٩. =

.....

= سورة القلم قوله تعالى: ﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ ﴾ «جامع البيان» ٢٩/ ١٦.
سورة الجن قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣ ﴾ «جامع البيان» ٢٩/ ١٠٥.
سورة النازعات قوله تعالى: ﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ ﴾ «جامع البيان» ٣٠/ ٣٩.
سورة الطارق قوله تعالى: ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤ ﴾ «جامع البيان» ٣٠/ ١٤٢.
سورة المسد قوله تعالى: ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ ﴾ «جامع البيان» ٣٠/ ٣٣٨.
سورة الإخلاص قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ ﴾ «جامع البيان» ٣٠/ ٣٤٤.

المبحث الثاني

اختيار القراءة لتخريج نحوي

وفيه ثلاثة مطالب:

- ⋆ **المطلب الأول: تعريف النحو في اللغة والاصطلاح.**
- ⋆ **المطلب الثاني: معنى هذا الضابط عند الإمام الطبري.**
- ⋆ **المطلب الثالث: الأمثلة التطبيقية.**

- ⋆ **المطلب الأول: تعريف النحو في اللغة والاصطلاح :**

أولًا: النحو في اللغة:

القصد والطريق يقال: نحاه ينحوه، وانتحاه ... قال ابن فارس: النون والحاء والواو كلمة تدل على قصد، ونحوت نحوه، ولذلك سمي نحو الكلام؛ لأنه يقصد أصول الكلام فيتكلم على حسب ما كان العرب تتكلم به[(١)].

وقال الأزهري: قال الليث[(٢)]: النحو، القصد نحو الشيء، نحوت نحو فلان إذا قصدت قصده، قال:

---

(١) «معجم مقاييس اللغة» ٢/ ٥٤٨.

(٢) الليث بن المظفر، وقيل: ابن نصر بن سيَّار، وقيل: ابن رافع بن نصر بن سيار، الخراساني اللغوي النحوي، صاحب العربية.
انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري ١/ ٢٨، «إنباه الرواة» ٣/ ٤٢، «بغية الوعاة» ٢/ ٢٧٠ (١٩٥٩).

وبلغنا أن أبا الأسود[١] وضع وجوه العربية وقال للناس: انحوا نحوه، فسمي نحوًا[٢].

وقد جمع الشيخ الداودي[٣] رَحِمَهُ اللَّهُ المعاني اللغوية لكلمة نحو فقال:

لِلنَّحْوِ سَبْعُ مَعَانٍ قَدْ أَتَتْ لُغَةً
جَمَعْتُهَا ضِمْنَ بَيتٍ مُفْرِدٍ كَمُلَا
قَصدٌ، وَمِثْلٌ، ومِقْدَارٌ، ونَاصِيَةٌ
نوعٌ، وبعْضٌ، وحرْفٌ فَاحْفَظِ المَثلَا[٤]

ثانيًا: والنحو في الاصطلاح عُرِّفَ بعدة تعريفات منها:

١- عُرِّف بأنه: انتحاء سمت كلام العرب، في تصرفه، من إعراب وغيره كالتثنية والجمع، والتحقير والتكبير، والإضافة، والنسب. وهو في الأصل مصدر شائع، أي نحوت نحوًا كقولك: قصدت قصدًا، ثم خُص به انتحاء هذا القبيل من العلم[٥].

---

(١) ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي، واضع علم النحو تابعي مشهور (١ق هـ-٦٩هـ).
انظر: «نزهة الألباء» (١٨)، «إنباه الرواة» ١/ ٤٨، «أسد الغابة» ٣/ ١٠٣، «الإصابة» ٣/ ٥٦١.

(٢) «تهذيب اللغة» ٥/ ٢٥٢.

(٣) محمد بن علي بن أحمد شمس الدين الداودي المالكي، شيخ أهل الحديث في عصره، مصري، من تلاميذ جلال الدين السيوطي، توفي سنة (٩٤٥هـ).
انظر: «شذرات الذهب» ١٠/ ٣٧٥، «هدية العارفين» ٦/ ٢٣٧، «الأعلام» ٦/ ٢٩١.

(٤) انظر: «حاشية الخضري على شرح ابن عقيل» ١/ ١٠.

(٥) «الخصائص» ١/ ٣٤. وانظر: «لسان العرب» ١٥/ ٣١٠.

٢- وعُرِّف بأنه: علم يعرف به كيفية التركيب العربي، صحة وسقامًا، وكيفية ما يتعلق بالألفاظ من حيث وقوعها فيها[١].

٣- وعُرِّف بأنه: علم بقوانين يعرف بها أحوال التراكيب العربية من الإعراب والبناء وغيرهما[٢].

٤- وعُرِّف بأنه: علم بأصول يعرف بها صحة الكلام وفساده[٣].

* * *

(١) «كشاف اصطلاحات الفنون» ١/ ٢٤.

(٢) «التعريفات» (٣٠٨).

(٣) «التعريفات» (٣٠٨).

★ **المطلب الثاني: معنى هذا الضابط عند الإمام الطبري :**

إن هذا الضابط من الضوابط التي يكثر اختيار القراءة على وفقه عند أبي جعفر رَحِمَهُ اللَّهُ ولا حجة في هذا الضابط لمن أنكر بعض القراءات؛ لأنها خالفت قواعد النحو، فإذا خالفت القراءة قاعدة نحوية فإنها تحفظ، ولا يقاس عليها عند بعض النحاة والمفسرين؛ لأنه لم يمكن إعادة هذه القراءة إلى أصل من أصول النحاة.

إن القرآن الكريم هو أوثق المصادر، وهو الينبوع الصافي، والمعين الذي لا ينضب، فإذا ثبتت القراءة فإنها الأصل، وقواعد النحو تبعًا لها، فالقرآن حكم على قواعد اللغة لا العكس، فلا يجوز الحكم على القراءة صحة أو ضعفًا، من خلال قواعد اللغة أو النحو، وإنما الحكم على القراءة بالصحة أو الضعف، يرجع في أساسه إلى الرواية وصحة النقل، فإذا ثبتت القراءة وصح نقلها وجب اتباعها؛ لأنها سنة متبعة لابد من التزامها والمصير إليها ولو خالفت الأقيسة اللغوية، والقواعد النحوية[١].

ومن الملاحظ أن أبا جعفر الطبري لا يحمل القراءة على القواعد النحوية، فإذا خالفت القراءة إجماع الحجة من القراء فإنه يردها، وإن كان لها في العربية مخرج فيقول: وتلك قراءة عندي غير جائزة، وإن كان لها مخرج في العربية، لمخالفتها لما عليه الحجة مجمعة[٢].

---

(١) «مدرسة التفسير في الأندلس» (٣٢٠).

(٢) «جامع البيان» ٢/ ٣١٩، «تحقيق شاكر» ٤/ ٢٤٣.

ويقول: وهذا وإن كان جائزًا في العربية، فلا أستجيز القراءة به؛ لإجماع الحجة من القراء على خلافه[١]...، ويقول: وغير جائز في القرآن أن يقرأ بكل ما جاز في العربية؛ لأن القراءة إنما هي ما قرأت به الأئمة الماضية، وجاء به السلف على النحو الذي أخذوه عمن قبلهم[٢].

فالقراءة لا تثبت بالقياس على قواعد النحو، وإنما تثبت بالرواية والنقل، فإذا ثبتت بذلك فإنها تحمل على أفصح كلام العرب، وأصحه مخرجًا في العربية، تأكيدًا وتقريرًا وتمكينًا للإعجاز.

* * *

(١) «جامع البيان» ٣/ ١٩٤، «تحقيق شاكر» ٦/ ٢٣٢.

(٢) «جامع البيان» ٢٢/ ١٤٦.

★ **المطلب الثالث: الأمثلة التطبيقية :**

المثال الأول:

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

قال أبو جعفر: واختلفت القَرَأَة في قراءة ذلك، فقرأته عامة قَرَأَة أهل المدينة وبعض المكيين والكوفيين: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ بدون تنوين ﴿عُزَيْرٌ﴾ وقرأه بعض المكيين والكوفيين ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ بتنوين ﴿عُزَيْرٌ﴾ قال: هو اسم مجرًى وإن كان أعجميًّا لخفته، وهو مع ذلك غير منسوب إلى الله، فيكون بمنزلة قول القائل: زيدٌ ابن عبد الله وأوقع الابن موقع الخبر. ولو كان منسوبًا إلى الله، لكان الوجه فيه إذا كان الابن خبرًا الإجراء والتنوين، فكيف وهو منسوب إلى غير أبيه؟

وأما من ترك تنوين ﴿عُزَيْرٌ﴾ فإنه لما كانت الباء من ﴿ٱبْنُ﴾ ساكنة مع التنوين الساكن، والتقى ساكنان، فحذف الأول منهما استثقالًا لتحريكه ...

قال أبو جعفر: وأولى القراءتين بالصواب في ذلك، قراءة من قرأ ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ بتنوين ﴿عُزَيْرٌ﴾[1]؛ لأن العرب لا تنون الأسماء إذا كان الابن نعتًا للاسم، وتنونه إذا كان خبرًا كقولهم: هذا زيدٌ ابن عبد الله فأرادوا الخبر عن زيد بأنه ابن عبد الله، ولم يريدوا أن يجعلوا الابن له نعتًا، والابن في هذا الموضع خبر لـ ﴿عُزَيْرٌ﴾ لأن الذين ذكر الله عنهم أنهم قالوا

---

(١) وهذه قراءة عاصم، والكسائي، ويعقوب. انظر: «المبسوط» (٢٢٦)، «التيسير» (١١٨)، «النشر» ٢/ ٢٧٩.

ذلك، إنما أخبروا عن عزير أنه كذلك، وإن كانوا بقيلهم ذلك كانوا كاذبين على الله مفترين[١].

فالطبري في هذا المثال اختار قراءة التنوين في ﴿عُزَيْرٌ﴾ ثم علل اختياره بأن العرب لا تنون الأسماء إذا كان الابن نعتًا للاسم.

قال الفراء: قرأها الثقات بالتنوين وبطرح التنوين، والوجه أن ينون؛ لأن الكلام ناقص، و﴿ٱبْنُ﴾ في موضع خبر لـ﴿عُزَيْرٌ﴾، فوجه العمل في ذلك أن تنون ما رأيت الكلام محتاجًا إلى ابن، فإذا اكتفى دون ابن فوجه الكلام ألا ينون، وذلك مع ظهور اسم أبي الرجل أو كنيته فإذا جاوزت ذلك فأضفت: ابن إلى مكنى عنه، مثل ابنك، وابنه، أو قلت: ابن الرجل، أو ابن الصالح، أدخلت النون في التام منه والناقص[٢]. واختار أبو عبيدة التنوين، وقال: لأن هذا ليس بمنسوب إلى أبيه، إنما هو كقولك: زيد ابن الأمير، وزيد ابن أختنا، فـ﴿عُزَيْرٌ﴾ مبتدأ وما بعده خبر له[٣].

وقال أبو الحسن الأخفش: وقد طرح بعضهم التنوين وذلك ردئ؛ لأنه إنما يترك التنوين إذا كان الاسم يستغني عن الابن، وكان ينسب إلى اسم معروف، فالاسم ههنا لا يستغني، ولو قلت: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ﴾ لم يتم كلامًا إلَّا أنه قد قرئ وكثر، وبه نقرأ على الحكاية، كأنهم أرادوا: وقالت اليهود: نبينا عزير ابن الله[٤].

---

(١) «جامع البيان» ١٠/ ١١٢، «تحقيق شاكر» ١٤/ ٢٠٤.

(٢) «معاني القرآن» ١/ ٤٣١.

(٣) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٣٦.

(٤) «معاني القرآن» ١/ ٣٥٦.

وقال الزجاج: قرئت ﴿عُزَيْرٌ﴾ بالتنوين وبغير تنوين، والوجه إثبات التنوين؛ لأن ﴿ٱبْنُ﴾ خبر، وإنما يحذف التنوين في الصفة نحو قولك: جاءني زيد بن عمرو، فيحذف التنوين لالتقاء الساكنين، وأن ﴿ٱبْنُ﴾ مضاف إلى علم، وأن النعت والمنعوت كالشيء الواحد، فإذا كان خبرًا فالتنوين، وقد يجوز حذف التنوين على ضعف، لالتقاء الساكنين، وقد قرئت: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدُ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١-٢] بحذف التنوين، لسكونها وسكون الباء في قوله: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ وفيه وجه آخر: أن يكون الخبر محذوفًا، فيكون معناها عزير ابن الله معبودنا، فيكون: ﴿ٱبْنُ﴾ نعتا، ولا اختلاف بين النحويين أن إثبات التنوين أجود[(١)]، والقراءة بالتنوين اختيار سلام بن سليمان الطويل، وأبي عبيد القاسم بن سلام، وأبي حاتم السجستاني[(٢)]، واختار مكي ترك التنوين وقال: لأنه يجمع الوجهين، وعليه أكثر القراء[(٣)].

المثال الثاني:

قال تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ النور: ٣١]

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٤٢.

(٢) انظر: «الغاية»(٢٦٧)، «المنتهى»(٣٨٠)، «الكامل»(١٩٨/ أ)، «سوق العروس»(٢١٠).

(٣) «الكشف عن وجوه القراءات» ١/ ٥٠١.

قال أبو جعفر: اختلف القراء في قوله: ﴿غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ﴾[١] فقرأ ذلك بعض أهل الشام، وبعض أهل المدينة والكوفة ﴿غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ﴾ بنصب ﴿غَيْرِ﴾، ولنصب غير هاهنا وجهان: أحدهما على القطع من التابعين لأن التابعين معرفة، وغير نكرة والآخر على الاستثناء وتوجيه غير إلى معنى إلَّا فكأنه قيل: إلا. وقرأ غير من ذكرت بخفض ﴿غَيْرِ﴾ على أنها نعت للتابعين وجاز نعت ﴿ٱلتَّٰبِعِينَ﴾ بـ ﴿غَيْرِ﴾، والتابعون معرفة وغير نكرة؛ لأن التابعين معرفة غير مؤقتة[٢] فتأويل الكلام على هذه القراءة: أو الذين هذه صفتهم.

قال أبو جعفر: والقول في ذلك عندي: أنهما قراءتان متقاربتا المعنى، مستفيضة القراءة بهما في الأمصار[٣]، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، غير أن الخفض في ﴿غَيْرِ﴾ أقوى في العربية فالقراءة به أعجب إلي[٤].

فالطبري في هذا المثال اختار القراءة القوية في الإعراب وهي الخفض في ﴿غَيْرِ﴾ مع أن القراءة بالنصب أيضًا جائزة لكن القراءة المختارة أجود عند النحاة، ولذا قال الفراء: وأما قوله: ﴿غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ﴾ فإنه يخفض؛ لأنه نعت لـ ﴿ٱلتَّٰبِعِينَ﴾، وليسوا بموقتين فلذلك صلحت ﴿غَيْرِ﴾ نعتًا لهم، وإن كانوا معرفة، والنصب جائز قد قرأ به عاصم، وغير عاصم

---

(١) الإربة: الحاجة. انظر: «جامع البيان» ١٨/ ١٢٣.

(٢) يريد: ليسوا بمعينين ومحددين، انظر: «معجم مقاييس اللغة» ٢/ ٦٤١، «الصحاح» ١/ ٢٣٩، «مختار الصحاح» (٣٧٣).

(٣) وهي قراءة العشرة خلا ابن عامر، وشعبة، وأبي جعفر. انظر: «المبسوط» ص (٣١٨)، «التيسير» (١٦١)، «النشر» ٢/ ٣٣٢.

(٤) «جامع البيان» ١٨/ ١٢٣.

ومثله: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء: ٩٥] والنصب فيهما جميعًا على القطع؛ لأن ﴿غَيْرِ﴾ نكرة، وإن شئت جعلته على الاستثناء فتوضع في موضع ﴿غَيْرِ﴾ فيصلح، والوجه الأول أجود(١).

وقد سبق الإمام الطبري إلى اختيار قراءة الخفض في ﴿غَيْرِ﴾ جماعة من أئمة الاختيار منهم: أبو بحرية السكوني، وسلام بن سليمان الطويل، وأيوب بن المتوكل، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وأبو حاتم السجستاني(٢).

---

(١) «معاني القرآن» ٢/ ٢٥٠.

(٢) انظر: «الغاية» (٣٣٩)، «المنتهى» (٤٩٨)، «الكامل» (٢٢٣/ أ).
وانظر: بقية المواضع في: سورة الفاتحة قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ «جامع البيان» ١/ ٧٧.
سورة البقرة قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ... وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٤٥﴾ «جامع البيان» ٢/ ٥٩٣، وقوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ... وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٢٧١﴾ «جامع البيان» ٣/ ٩٣، وقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ... وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝٢٨٣﴾ «جامع البيان» ٣/ ١٣٩.
سورة آل عمران قوله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا... إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٧﴾ «جامع البيان» ٣/ ٢٤٢، وقوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٣٩﴾ «جامع البيان» ٣/ ٢٤٩، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٤٧﴾ «جامع البيان» ٤/ ١٢١، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ... وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١٨٠﴾ «جامع البيان» ٤/ ١٨٩.
سورة النساء قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ... إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١١﴾ «جامع البيان» ٤/ ٢٨١، وقوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ... إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ۝٣٤﴾ «جامع البيان» ٥/ ٦٠، وقوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ =

.....

= إِعۡرَاضًا ... فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٤٨﴾ ﴾ «جامع البيان» ٥/ ٣١٠.

سورة المائدة قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ ... ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ ﴾ «جامع البيان» ٧/ ١٤٠.

سورة الأنعام قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ «جامع البيان» ٧/ ١٦٦، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ ... وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِي ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ «جامع البيان» ٧/ ٢٤٣، وقوله تعالى: ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ «جامع البيان» ٨/ ٧٢.

سورة الأعراف قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ «جامع البيان» ٨/ ١٢٥، وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ ... كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ «جامع البيان» ٨/ ١٦٥.

سورة التوبة قوله تعالى: قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدٗا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡخِزۡيُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ ﴾ «جامع البيان» ١٠/ ١٧٠، وقوله تعالى: ﴿ أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ «جامع البيان» ١١/ ٣١.

سورة يونس قوله تعالى: ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ «جامع البيان» ١١/ ١٢٦.

سورة الإسراء قوله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ ... وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴿٢٣﴾ ﴾ «جامع البيان» ١٥/ ٦٤

سورة الكهف قوله تعالى: ﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ﴿٢٥﴾ ﴾ «جامع البيان» ١٥/ ٢٣٢، وقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا ﴿٨٨﴾ ﴾ «جامع البيان» ١٦/ ١٣.

سورة طه قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ ﴾ «جامع البيان» ١٦/ ١٤٤، وقوله تعالى: ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾ ﴾ «جامع البيان» ١٦/ ١٤٦، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾ «جامع البيان» ١٦/ ٢٢٣.

سورة المؤمنون قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴾ «جامع البيان» ١٨/ ٢٩، وقوله تعالى: ﴿ إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ =

.....

= «جامع البيان» ١٨/ ٦١.

سورة النور قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ «جامع البيان» ١٨/ ١٤٥، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾﴾ «جامع البيان» ١٨/ ١٥٣.

سورة النمل قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾﴾ «جامع البيان» ٢٠/ ٢٣.

سورة ص قوله تعالى: ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾﴾ «جامع البيان» ٢٣/ ١١٨، وقوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾﴾ «جامع البيان» ٢٣/ ١٧٨

سورة فصلت قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾﴾ «جامع البيان» ٢٤/ ١٠٤.

سورة النبأ قوله تعالى: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾﴾ «جامع البيان» ٣٠/ ٩.

سورة الانفطار قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾﴾ «جامع البيان» ٣٠/ ٨٧.

المبحث الثالث:

اختيار القراءة
لأجل التصريف والاشتقاق

وفيه مطلبان:

- ⋆ **المطلب الأول: التعريف بالتصريف والاشتقاق والعلاقة بينهما.**
- ⋆ **المطلب الثاني: الأمثلة التطبيقية.**

⋆ المطلب الأول: التعريف بالتصريف والاشتقاق، والعلاقة بينهما :

أولًا: تعريف التصريف في اللغة:

الصرف والتصريف لفظان مترادفان في اصطلاح المتأخرين من علماء العربية، ويطلقان في لسان العرب على معان منها: التحويل والتغيير، ومنه تصريف الرياح، وتصريف الأمور، وتصريف الآيات، وتصريف الخيل، وتصريف المياه، ومنه قولهم: صرفت فلانًا عن وجهه، وصرفت الصبيان، وصرف الله عنك الأذى، كل ذلك يراد به التحويل من وجه إلى وجه ومن حال إلى حال، قال تعالى: ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٦]، وقال سبحانه: ﴿ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [البقرة: ١٦٤][(١)].

---

(١) انظر: «معجم مقاييس اللغة» ٢/ ٣٧، «لسان العرب» ٩/ ١٨٩، «مختار الصحاح» (١٩٢).

ثانيًا: تعريف التصريف في الاصطلاح:

عُرف الصرف والتصريف بعدة تعريفات منها:

١- الصرف: علم يُعْرَف به أحوال الكلم من حيث الإعلال[١].

والتصريف: تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعان مقصودة لا تحصل إلَّا بها[٢].

٢- وعرف بأنه: علم بأصول يعرف بها أحوال أبنية الكلمة التي ليست بإعراب[٣].

٣- وعرف بأنه: اشتقاق بعض الكلام من بعض[٤].

٤- وعرف بأنه: صوغ الأمثلة المختلفة من ماض ومضارع واسم فاعل واسم مفعول ونحوها من الجذر الأصلي[٥].

ثالثًا: تعريف الاشتقاق في اللغة:

الاشتقاق في اللغة: الأخذ في الخصومة وفي الكلام يمينًا وشمالًا، مع ترك القصد، واشتقاق الحرف من الحرف أخذه منه، ويقال: شَقَّقَ الكلام، إذا أخرجه أحسن مخرج، وشققت الحطب وغيره فتشقق، واشتق الفرس في عدوه، أي مال في أحد شقيه، وقعدوا في شق من الدار، أي: في ناحية منه[٦].

---

(١) «التعريفات» (١٧٤).

(٢) «التعريفات» (٨٢).

(٣) «التعريفات» (٨٢).

(٤) «الكليات» (٥٦٢).

(٥) «مناهج الصرفيين» (١٦).

(٦) انظر: «الصحاح» ٤/ ١٢٣٩، «لسان العرب» ١٠/ ١٨١، «مختار الصحاح» (١٨٢).

رابعًا: تعريف الاشتقاق في الاصطلاح:

عُرِّفَ الاشتقاق بعدة تعريفات منها:

١- نزع لفظ من آخر، بشرط مناسبتهما معنىٰ وتركيبًا، ومغايرتهما في الصيغة[١].

٢- وعُرِّفَ بأنه: اقتطاع فرع من أصل يدور في تصاريفه حول ذلك الأصل[٢].

٣- وعُرِّفَ بأنه: أخذ كلمة من أخرى بتغيير ما، مع التناسب في المعنى[٣].

خامسًا: العلاقة بين التصريف والاشتقاق:

إن المتأمل في نصوص الصرفيين يجد أنهم لا يفرقون بين التصريف والاشتقاق، فيسمون الاشتقاق تصريفًا، ويسمون التصريف اشتقاقًا.

قال السيرافي[٤]: فأما الاشتقاق فهو أن ترد عليك الكلمة وفيها بعض حروف الزيادة، فإذا صرفتها سقط ذلك الحرف في بعض تصاريفها، فيحكم على الحرف بالزيادة لسقوطه في بعض تصاريف الكلمة، وذلك نحو الهمزة في أحمر، والألف في ضارب، والواو في كوثر، والياء في سعيد؛ لأنك إذا اعتبرت أحمر وجدت الفعل الذي تصرف منه: احْمَرَّ يَحْمَرُّ، فتجد الهمزة ساقطة في يحمر، وتجد أيضًا المصدر الذي هو مأخوذ منه الحمرة،

---

(١) «التعريفات» (٤٣).

(٢) «الكليات» (١١٧).

(٣) «الكليات» (١١٧).

(٤) الحسن بن عبد الله السيرافي، أبو سعيد نحوي، عالم بالأدب (٢٨٤-٣٦٨هـ). انظر: «طبقات النحويين واللغويين» (١٢٩)، «نزهة الألباء» (٢٢٧)، «إنباه الرواة» ١/ ٣٤٨، «بغية الوعاة» ١/ ٥٠٧.

وليس فيها همزة[١] فالاشتقاق هو: الاستدلال على زيادة الحرف بسقوطه في بعض الصيغ المشتقة، وهذه الصيغ هي التصريف. وكذا فعل الرماني[٢] فأطلق على الاشتقاق: التصريف، حيث قال: وإنما جازت الزيادات في الكلام؛ لأن المعنى الواحد لما كان يتصرف في الأوجه المختلفة، فتارة يكون في جهة الماضي، ومرة يكون في جهة المستقبل، ومرة يكون في جهة الحاضر، ومرة يكون في جهة الأمر، ومرة في جهة النهي، ومرة في جهة الفاعل، ومرة في جهة المفعول، ومرة في جهة صفة المبالغة، ومرة في جهة الآلة للعمل، ومرة للمخاطب، ومرة للغائب، ومرة للمتكلم، ومرة لجماعة المتكلمين، فتصرف المعنى الواحد في هذه الأوجه الكثيرة أوجب أن يتصرف اللفظ بالصيغ المختلفة من الأصل الواحد ليدل على المعنى الواحد في الجهات المختلفة مثال ذلك: معنى الضرب، ينصرف في كل هذه الأوجه التي ذكرنا، فتقول: ضَرَبَ بمعنى: كان منه ضَرْبٌ، وسيضرب بمعنى: سيكون منه ضرب، ويضرب بمعنى: يكون منه ضرب، واضرب بمعنى: ليكن منك ضرب، ولا تضرب بمعنى: لا يكن منك ضرب، وضارب بمعنى: فاعل للضرب، ومضروب: مفعول من الضرب، وضرُوب بمعنى: كثير الضرب، ومضراب بمعنى: آلة للضرب، تضرب: للمخاطب بالضرب، ويضرب للإخبار عن الغائب بالضرب،

---

(١) «شرح كتاب سيبويه» للسيرافي مخطوط بواسطة نقل د/ حسن هنداوي في «مناهج الصرفيين» ص (٤٨).

(٢) علي بن عيسى الرماني، أبو الحسن، معتزلي مفسر، من كبار النحاة (٢٩٦-٣٨٤هـ). انظر: «طبقات النحويين واللغويين» (١٢٠)، «نزهة الألباء» (٢٣٣)، «إنباه الرواة» ٢/ ٢٩٤، «بغية الوعاة» ٢/ ١٨٠.

وأضرب: لإخبار المتكلم عن نفسه بالضرب، ونضرب: لإخباره عن نفسه مع غيره بالضرب[١].

ثم جاء ابن جني فأوضح هذا التقارب وأبانه حيث قال: وينبغي أن يُعْلَم أن بين التصريف والاشتقاق نسبًا قريبًا، واتصالًا شديدًا؛ لأن التصريف إنما هو: أن تجيء إلى الكلمة الواحدة فتصرفها على وجوه شتى، مثال ذلك: أن تأتي إلى ضرب فتبني منه مثل جعفر فتقول: ضَرَّبْ، ومثل: قِمطر ضِرَب، ومثل: درهم ضَرْبِبْ، ومثل: عَلِم ضَرِب، ومثل: ظرف ضَرُبَ، أفلا ترى إلى تصريفك الكلمة على وجوه كثيرة. وكذلك الاشتقاق أيضًا ألا ترى أنك تجيء إلى الضرب الذي هو المصدر فتشق منه الماضي فتقول: ضرب، ثم تشتق منه المضارع فتقول: يضرب، ثم تقول في اسم الفاعل: ضارب وعلى هذا ما أشبه هذه الكلمة أولا ترى إلى قول رؤبة في وصفه امرأة بكثرة الصخب والخصومة:

تشتقُّ في الباطل منها المُمْتَذَق[٢].

وهذا كقولك: تتصرف في الباطل، أي: تأخذ في ضروبه وأفانينه، فمن هاهنا تقاربا واشتبكا، إلَّا أن التصريف وسيطة بين النحو واللغة يتجاذبانه والاشتقاق أقعد في اللغة من التصريف[٣].

---

(١) «شرح كتاب سيبويه» للرماني مخطوط بواسطة نقل د/ حسن هنداوي في «مناهج الصرفيين» (٤٩).

(٢) انظر: «ديوان رؤبة» (١٠٤)، «جمهرة اللغة» ١/ ٤٠٨، «الفصوص» ٢/ ١٣١، ٥/ ١٧٧، «مغني اللبيب» ١/ ٦٤٥.

(٣) «المنصف» (٣٣).

ومما تقدم يتبين لنا أن الاشتقاق والتصريف يرتبطان ارتباطًا وثيقًا متينًا، ولا أدل على ذلك من خلط النحاة بينهما فتارة يسمون الاشتقاق تصريفًا، وتارة يسمونه باسمه[١].

* * *

(١) انظر: «التصريف الملوكي» (٥).

★ **المطلب الثاني: الأمثلة التطبيقية على هذا الضابط:**

المثال الأول:

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

قال أبو جعفر: اختلفت القَرَأَة في قراءة قوله: ﴿إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾ فقرأه عامة قَرَأَة أهل المدينة والبصرة: ﴿غَرْفَةً﴾ بنصب الغين من الغرفة بمعنى: الغَرفة الواحدة، من قولك: اغترفت غرفة، والغرفة هي الفعل بعينه من الاغتراف. وقرأه آخرون بالضم، بمعنى الماء الذي يصير في كف المغترف، فالغُرفة الاسم، والغَرفة المصدر.

وأعجب القراءتين في ذلك إليَّ، ضم الغين في الغرفة[(١)]، بمعنى: إلَّا من اغترف كفًّا من ماء، لاختلاف (غَرفة) إذا فتحت غينها، وما هي له مصدر، وذلك أن مصدر اغترف اغترافة، وإنما غُرفة مصدر: غرفت، فلما كانت غَرفة مخالفة مصدر اغترف، كانت الغُرفة التي بمعنى الاسم على ما قد وصفنا، أشبه منها بالغَرفة التي هي بمعنى الفعل[(٢)].

فالطبري في هذا الموضع اختار القراءة التي توافق المصدر، فمصدر اغترف: اغترافة، ومصدر غرفة: غَرَفَةٌ، فنظر إلى مصدر الكلمة واشتقاقها وما هي له، ثم اختار القراءة بالضم؛ لأنها توافق المصدر.

قال أبو علي الفارسي: من فتح الفاء التي هي غين من غَرفة عدى الفعل

---

(١) وهي قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف. انظر: «المبسوط» (١٤٩)، «التيسير» (١٨١)، «النشر» ٢/ ٢٣٠.

(٢) «جامع البيان» ٢/ ٦١٩، «تحقيق شاكر» ٥/ ٣٤٢.

إلى المصدر، والمفعول في قوله محذوف، إلَّا من اغترف ماء غرفة، ومن قال: غُرفة عدى الفعل إلى المفعول به، ولم يعده إلى المصدر كما عداه الآخرون إليه، ولم يعدوه إلى المفعول به، وإنما جعلت هذا مفعولًا به؛ لأن الغُرفة العين المغترفة، فهو بمنزلة: إلَّا من اغترف ماء.

والبغداديون يجعلون هذه الأسماء المشتقة من المصادر بمنزلة المصادر، ويعملونها كما يعملون المصادر .... ولو قيل: إن الضم هنا أوجه لقوله: ﴿فَشَرِبُواْ مِنْهُ﴾ والمشروب: الغُرفة، لكان قولًا[1]، والقراءة بالضم هي اختيار سلام بن سليمان الطويل، وأبي عبيد القاسم بن سلام، وأبي حاتم السجستاني، وخالفهم أبو بحرية السكوني، وأيوب بن المتوكل، فاختارا الفتح[2].

المثال الثاني:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٠].

قال أبو جعفر: اختلفت القَرَأَة في قراءة: ﴿مَعَٰيِشَ﴾ فقرأ ذلك عامة قَرَأَة الأمصار: ﴿مَعَٰيِشَ﴾ بغير همز، وقرأه عبد الرحمن الأعرج[3] ﴿معائش﴾ بالهمز.

---

(١) «إعراب القرآن» ٢/ ٣٥١، وانظر: «حجة القراءات» لأبي زرعة ابن زنجلة (١٤٠)، «معاني الزجاج» ١/ ٣٣٠، «معالم التنزيل» ١/ ٣٠١، «المحرر الوجيز» ١/ ٣٣٥.

(٢) انظر: «الغاية» (٢٠١)، «المنتهى» (٢٧٧)، «الكامل» (١٧٠)، «سوق العروس» (١٨٢).

(٣) عبد الرحمن بن هرمز الأعرج، أبو داود، حافظ قارئ، نحوي، توفي سنة (١١٧هـ). انظر: «معرفة القراء الكبار» ١/ ٧٧، «غاية النهاية» ١/ ٣٨١، «طبقات الحفاظ» (٣٨)، «بغية الوعاة» ٢/ ٩١.

قال أبو جعفر: والصواب من القراءة في ذلك عندنا: ﴿مَعَٰيِشَ﴾ بغير همز[1]؛ لأنها مفاعل من قول القائل عشت تعيش، فالميم فيها زائدة، والياء في الحكم متحركة؛ لأن واحدها مفعلة، مَعْيَشَة متحركة الياء، نقلت حركة الياء منها إلى العين في واحدها، فلما جمعت، ردت حركتها إليها لسكون ما قبلها وتحركها، وكذا تفعل العرب بالياء والواو إذا سكن ما قبلهما وتحركتا، في نظائر ما وصفنا من الجمع الذي يأتي على مثال مفاعل، وذلك مخالف لما جاء من الجمع على مثال فعائل التي تكون الياء فيها زائدة ليست بأصل، فإن ما جاء من الجمع على هذا المثال، فالعرب تهمزه، كقولهم: هذه مدائن، وصحائف، ونظائرهما؛ لأن مدائن جمع مدينة، والمدينة فعيلة، من قولهم: مدنت المدينة، وكذلك صحائف جمع صحيفة، والصحيفة فعيلة من قولك: صحفت الصحيفة، فالياء في واحدها زائدة ساكنة، فإذا جمعت همزت، لخلافها في الجمع الياء التي كانت في واحدها، وذلك أنها كانت في واحدها ساكنة، وهي في الجمع متحركة، ولو جعلت مدينة مفعلة من دان يدين، وجمعت على مفاعل، كان الفصيح ترك الهمز فيها وتحريك الياء، وربما همزت العرب جمع مفعلة، في ذوات الياء والواو، وإن كان الفصيح في كلامها ترك الهمز فيها، إذا جاءت على مفاعل تشبيهًا منهم جمعها بجمع فعيلة كما تشبه مفعلًا بفعيل فتقول سيل الماء من سال يسيل، ثم تجمعها جمع فعيل، فتقول: هي أمسِلة في الجمع تشبيهًا منهم لها بجمع بعير وهو فعيل إذ

---

(١) وهي قراءة العشرة، إلَّا أن خارجة بن مصعب روى عن نافع: ﴿معائش﴾ ممدودة مهموزة. انظر: «المبسوط» ص (٢٠٧)، «السبعة» (٢٧٨).

تجمعه أبعرة، وكذلك يجمع المصير وهو مفعل مُصران، تشبيهًا له بجمع بعير، وهو فعيل إذ تجمعه بعران، وعلى هذا همز الأعرج: ﴿معائش﴾ وذلك ليس بالفصيح في كلامها، وأولى ما قرئ به كتاب الله من الألسن أفصحها وأعرفها، دون أنكرها وأشذها[١].

قال أبو عثمان المازني[٢]: فأما قراءة من قرأ من أهل المدينة: ﴿معائش﴾ بالهمز فهي خطأ فلا يلتفت إليها، وإنما أخذت عن نافع بن أبي نعيم، ولم يكن يدري ما العربية، وله أحرف يقرؤها لحنًا نحوًا من هذا[٣].

وقد تابع أبا عثمان المازني، تلميذُه أبو العباس المُبِّرد[٤] حيث غَلَّط نافعًا في قراءته: ﴿معائش﴾ بالهمز، وزعم أن نافعًا لا علم له بالعربية، وله في القرآن حروف قد وقف عليها[٥].

وهذا ما زعمه شيخه المازني، فعلى منواله نسج المبرد، وكذا أبو إسحاق الزجاج فقد تابع شيخه المبرد، فلم يستحب قراءة:

---

(١) «جامع البيان» ٨/ ١٢٥، «تحقيق شاكر» ١٢/ ٣١٦.

(٢) بكر بن محمد بن حبيب بن بقية، أبو عثمان المازني، أحد الأئمة في النحو، توفي سنة (٢٤٩هـ). انظر: «نزهة الألباء» (١٤٠)، «إنباه الرواة» ١/ ٢٨١، «غاية النهاية» ١/ ١٧٩، «بغية الوعاة» ١/ ٤٦٣.

(٣) «المنصف» (٢٦١).

(٤) محمد بن يزيد الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد، إمام العربية في بغداد في زمانه، وأحد أئمة الأدب والأخبار (٢١٠-٢٨٦هـ). انظر: «طبقات النحويين واللغويين» (١٠١)، «نزهة الألباء» (١٦٤)، «إنباه الرواة» ٣/ ٢٤١، «بغية الوعاة» ١/ ٢٦٩.

(٥) «المقتضب» ١/ ١٢٣.

﴿معائش﴾ بالهمز؛ لأن أكثر القراء على تركه[١].

وذهب إلى هذا القول أيضًا أبو علي الفارسي حيث قال عن قراءة: ﴿معائش﴾ بالهمز: ومن أعل فهمز فمجازه على وجه الغلط، وهو أن معيشة على وزن سفينة، فتوهمها فعيلة، فهمز[٢].

فالقراءة المختارة عند هؤلاء الأئمة هي التي وافقت أصول التصريف، وأما القراءة التي اصطدمت بذلك فإنها خاطئة، وهذا ليس على إطلاقه؛ لأنه منهج غير سديد، فصحة القراءة إنما تقاس بصحة سندها، وليس بالمقاييس التي استنبطها النحاة والصرفيون، والمنهج السليم في ذلك أن يمعن النحاة في القراءات الصحيحة السند، فما خالف منها قواعدهم صححوا به تلك القواعد، ورجعوا النظر فيها، فذلك أعود على النحو بالخير أما تحكيم قواعدهم الموضوعة في القراءات التي نقلها الفصحاء العلماء فقلب للأوضاع، وعكس للمنطق، إذ كانت الروايات الصحيحة، مصدر القواعد لا العكس[٣]. وعلى أية حال فإن القراءة التي رواها خارجة[٤] عن نافع: (معائش) ممدودة مهموزة لعلها لم تثبت فقد قال ابن مجاهد بعد أن ذكرها: وهو غلط[٥].

---

(١) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٣٢٠.

(٢) «إعراب القرآن» ٤/ ٧.

(٣) «في أصول النحو» (٣٢).

(٤) خارجة بن مصعب السرخسي، أبو الحجاج، محدث تكلموا في حفظه توفي سنة (١٦٩هـ). انظر: الأنساب ٣/ ٥٨٩، «تهذيب الكمال» ٢/ ٣٣٣، «غاية النهاية» ١/ ٢٦٨، «التقريب» ١/ ٢٥٤.

(٥) «كتاب السبعة» (٢٧٨).

وقال أبو الفتح ابن جني: اختلفت الرواية عن نافع، فأكثر أصحابه يروي عنه: ﴿مَعَٰيِشَ﴾ بلا همز، والذي روى عنه بالهمز خارجة بن مصعب، وإنما كان همزها خطأ عنده[١]. وإذا ثبت أن نافعًا قرأ بها فهي قراءة صحيحة وإن خالفت أصول التصريف؛ لأن نافعًا كما قال ابن مجاهد: أجمعت الخاصة والعامة على قراءته، وسلكوا فيها طريقه، وتمسكوا بمذهبه[٢].

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سألت أُبَيّ أي قراءة أحب إليك؟ قال: قراءة أهل المدينة[٣]. يعني: قراءة نافع، ويقول نافع عن نفسه: قرأت على سبعين من التابعين[٤].

وقال الإمام مالك: قراءة نافع سنة[٥] وقال ابن مجاهد: كان عالمًا بوجوه القراءات متبعًا لآثار الأئمة الماضين ببلده، أخذ القراءة عن جماعة من التابعين[٦] ولهذا ولغيره فإن ما طعن به أبو العباس المبرد محاكيًا لشيخه أبي عثمان المازني، على الإمام نافع، وما رمياه به من اللحن قول ساقط لا يلتفت إليه، ولا يعول عليه، إضافة إلى أنه إن وُجِدَ في بعض الطرق عن نافع روايات شاذة فإنما هي من تحريفات الرواة، ولذا قال ابن الجزري في ترجمة خارجة: أخذ القراءة عن نافع وأُبَيّ

---

(١) انظر: «كتاب السبعة» ص (٦٢)، «غاية النهاية» ٢/ ٣٣١.
(٢) «السبعة» (٦٢).
(٣) «غاية النهاية» ٢/ ٢٣٢.
(٤) «كتاب السبعة» (٦١).
(٥) «كتاب السبعة» (٦٢).
(٦) «كتاب السبعة» (٥٤).

عمرو وله شذوذ كثير عنهما لم يتابع عليه[١].

وخلاصة القول: إن الطبري ذكر خلاف القَرَأَة في هذه الآية ﴿مَعَٰيِشَ﴾ ثم اختار القراءة بغير همز ﴿مَعَٰيِشَ﴾؛ لأن الياء أصلية لا تهمز، فهي أصل في المفرد الذي هو معيشة، وإنما يهمز من ذلك ما كان حرف العلة فيه زائدًا نحو مدائن وصحائف، وقد وافق الطبري في اختياره لهذه القراءة جمهور القراء، وأهل الاختيار جميعًا[٢].

---

(١) «غاية النهاية» ١/ ٢٦٨.

(٢) انظر: «المبسوط» (٢٠٧)، «السبعة» (٢٧٨)، «الهادي» ٢٢/ أ، «معاني الزجاج» ٢/ ٣٢٠. وانظر: بقية المواضع في:
سورة البقرة قوله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ... إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾ «جامع البيان» ٢/ ١٤١، وقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ... وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾﴾ «جامع البيان» ٣/ ١٤٠
سورة النساء قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ «جامع البيان» ٥/ ٤٥، وقوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ... إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ «جامع البيان» ٥/ ٦٠.
سورة المائدة قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ ... إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ «جامع البيان» ٦/ ٦٤.
سورة المرسلات قوله تعالى: ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾﴾ «جامع البيان» ٢٩/ ٢٣٣.
سورة القدر قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾ «جامع البيان» ٣٠/ ٢٦١.

المبحث الرابع

اختيار القراءة
لوجود ما يدعمها من الشعر العربي الفصيح

وفيه مطلبان:

- ⋆ **المطلب الأول: التعريف بالشعر والفصاحة في اللغة والاصطلاح.**
- ⋆ **المطلب الثاني: الأمثلة التطبيقية.**

⋆ المطلب الأول: التعريف بالشعر والفصاحة في اللغة والاصطلاح:

أولًا: تعريف الشعر لغة:

الشعر في اللغة: العلم[(١)]. قال ابن فارس: الشين والعين والراء أصلان معروفان، يدل أحدهما على نبات، والآخر على عِلْم وعلَم[(٢)].

ثانيا: تعريف الشعر اصطلاحًا:

عُرِّف بعدة تعريفات منها:

١- الشعر: هو القريض المحدد بعلامات لا يجاوزها[(٣)].

٢- وقيل: هو كلام مقفى موزون على سبيل القصد[(٤)].

---

(١) انظر: «التعريفات» (١٦٧)، «لسان العرب» ٤/ ٤٠٩.

(٢) «معجم مقاييس اللغة» ١/ ٦١٦.

(٣) «العين» ١/ ٢٥١.

(٤) «التعريفات» (١٦٧).

٣- والشعر في اصطلاح المنطقيين: قياس مؤلف من المخيلات، والغرض منه انفعال النفس بالترغيب والتنفير[١].

ثالثًا: الفصاحة لغة:

البيان والظهور.

قال ابن فارس: الفاء والصاد والحاء، أصل يدل على خلوص في شيء، ونقاء من الشوب[٢]، ومنه رجل فصيح وكلام فصيح، أي بليغ، ولسان فصيح، أي طلق[٣].

والفصيح في اللغة: المنطلق اللسان في القول، الذي يعرف جيد الكلام من رديئه[٤].

رابعًا: تعريف الفصاحة اصطلاحًا:

الفصاحة في المفرد: خلوصه من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس.

والفصاحة في الكلام: خلوصه من ضعف التأليف، وتنافر الكلام مع فصاحتها.

والفصاحة في المتكلم: ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح[٥].

* * *

(١) «التعريفات» (١٧٦).

(٢) «معجم مقاييس اللغة» ٢/ ٣٥٦.

(٣) «الصحاح» ١/ ٣٤٣.

(٤) «لسان العرب» ٢/ ٥٤٤.

(٥) «التعريفات» (٢١٤)، وانظر: «الكليات» (١٤٣، ٢٣٦، ٦٩١).

★ **المطلب الثاني: الأمثلة التطبيقية :**

قبل أن نورد الأمثلة على هذا الضابط، ينبغي التنبيه إلىٰ مسألة، وهي أن الإمام الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ حين يختار بعض القراءات القرآنية، يعلل اختياره لتلك القراءة بأن أشعار العرب كذلك جاءت، إنه حين يفعل ذلك، لا يقصد أن يكون الشعر مصدر احتجاج لصحة تلك القراءة، ولولاه لم تصح، إنما يعتمد ذلك ليدلل أن القرآن المُعْجِز لم يخرج عما اعتاده العرب من طرق التعبير، وأساليب الأداء، ولذا فلا حرج على أبي جعفر إن التمس في الشعر الجاهلي الفصيح تفسيرًا لبعض الظواهر القرآنية، أو استشهد به على ورود بعض التراكيب القرآنية، كتناسب الفواصل، أو الحذف والزيادة، أو التقديم والتأخير، ولذا يقول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إن الشعر ديوان العرب، فإن خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بها، رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه[(١)]. وفي ضوء هذا ليس من المستغرب أن تسير رواية الشعر الجاهلي جنبًا إلى جنب مع رواية القرآن الكريم وتسجيله وقت نزوله على السعف والرقاق، والعظام واللَّخاف، وأن تكون الرواية الدقيقة الأمينة تسجيلًا صادقًا للنص القرآني، وأن يكون تواترها شرطًا في صحة القراءة، إذ لا يصح من القراءات إلَّا ما بلغ بسنده الرسول الأمين عليه الصلاة والسلام[(٢)]، فالشعر لا يكون وحده مصدر احتجاج على صحة القراءة، بل هو مسوغ لاختيارها، وفيما يلي بعض الأمثلة على هذا الضابط.

---

(١) انظر: «العمدة في محاسن الشعر» لابن رشيق ١/ ٤٦، «تاريخ آداب العرب» للرافعي (٢٩٦).

(٢) «أثر القرآن في أصول مدرسة البصرة» (٣٤٢).

المثال الأول:

قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف: ٩٤].

قال أبو جعفر: اختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ فقرأت القراء من أهل الحجاز والعراق وغيرهم: ﴿إن ياجوج وماجوج﴾ بغير همز على فاعول من يججت ومججت، وجعلوا الألفين فيهما زائدتين، غير عاصم بن أبي النجود والأعرج، فإنه ذكر أنهما قرآ ذلك بالهمز فيهما جميعًا، وجعلا الهمز فيهما من أصل الكلام، وكأنهما جعلا يأجوج: يفعول من أججت، ومأجوج: مفعول.

والقراءة التي هي القراءة الصحيحة عندنا: ﴿إنَّ ياجوج وماجوج﴾ بألف بغير همز[(١)]؛ لإجماع الحجة من القراء عليه، وأنه الكلام المعروف على ألسن العرب، ومنه قول رؤبة بن العجاج:

لَوْ أَنَّ يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ مَعَا

وَعَادَ عَادٌ وَاسْتَجَاشُوا تُبَّعَا[(٢)]

وهم أُمتان من وراء السد[(٣)].

فالطبري في هذا المثال اختار القراءة رواية ودراية، وذلك أن جمهور القراء يقرؤون بالقراءة المختارة، وكذلك بين الطبري أن هذا هو المعروف

---

(١) وهي قراءة العشرة خلا عاصمًا، انظر: «المبسوط» (٢٨٣)، «السبعة» (٣٩٩)، «النشر» ١/ ٣٩٥.

(٢) «ديوان رؤبة» (٩٢)، وانظر: «إعراب القراءات السبع» ١/ ٤١٨.

(٣) «جامع البيان» ١٦/ ١٦.

من ألسن العرب وجاءت به أشعارهم، فجمع بين الرواية والدراية في اختياره لهذه القراءة.

قال ابن خالويه بعد أن ذكر قراءة الجمهور التي اختارها الطبري: قال النحويون: وهو الاختيار؛ لأن الأسماء الأعجمية سوى هذا الحرف غير مهموزة نحو طالوت وجالوت وهاروت وماروت[١].

ثم قال: والاختيار أن تقول: لو كان عربيًّا لكان هذا اشتقاقه ولكن الأعجمي لا يشتق، قال رؤبة:

لَـوْ أَنَّ يَـاجُـوجَ وَمَـاجُـوجَ مَـعـا
وَعَـادَ عَـادٌ وَاسْـتَـجَـاشُـوا تُـبَّـعـا[٢]

فترك الصرف في الشعر كما هو في التنزيل[٣]، وهذه القراءة التي اختارها ابن جرير هي اختيار أئمة الاختيار قبله، ومنهم أبو بحرية السكوني، وسلام بن سليمان الطويل، وأيوب بن المتوكل، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وأبو حاتم السجستاني.

المثال الثاني:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾ [القيامة: ٧].

قال أبو جعفر: اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه أبو جعفر القارئ ونافع، وابن أبي إسحاق[٤] ﴿فَإِذَا بَرَقَ﴾ بفتح الراء، بمعنى شخص وفتح

---

(١) «إعراب القراءات السبع» ١/ ٤١٨، وانظر: «حجة أبي زرعة ابن زنجلة» (٤٣٣).

(٢) «إعراب القراءات السبع» ١/ ٤١٨.

(٣) انظر: «الغاية» (٣١٢)، «المنتهى» (٤٥٥)، «الكامل» (١٢١/ب)، «سوق العروس» (٢٢٩).

(٤) عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، أبو بحر، كان ملمًّا بالعربية والقراءة إمامًا فيها، =

عند الموت، وقرأ ذلك شيبة وأبو عمرو، وعامة قراء الكوفة: ﴿بَرِقَ﴾ بكسر الراء بمعنى: فزع وشق ...

قال أبو جعفر: وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب كسر الراء ﴿فَإِذَا بَرِقَ﴾[(١)] بمعنى: فزع فشق، وفتح من هول القيامة وفزع الموت، وبذلك جاءت أشعار العرب.

أنشدني بعض الرواة عن أبي عبيدة الكلابي[(٢)]:

لما أتانا ابنُ صُبَيْحٍ راغِبًا
أعطيته عَيساء مِنْها فَبَرِقْ[(٣)]

وحدثت عن أبي زكريا الفراء قال: أنشدني بعض العرب:

نَعاني حَنانَةُ طُوبالَةً
تُسَفُّ يبيسًا من العَشْرقِ

= توفي سنة (١١٧هـ). انظر: «نزهة الألباء» (٢٦)، «غاية النهاية» ١/ ٤١٠، «تهذيب التهذيب» ٥/ ١٣١، «بغية الوعاة» ٢/ ٤٠٢.

(١) وهي قراءة العشرة خلا نافع وأبي جعفر، انظر: «المبسوط» (٤٥٣)، «السبعة» (٦٦١)، «النشر» ٢/ ٣٩٣.

(٢) لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من المراجع المتيسرة.

(٣) البيت من شواهد أبي عبيدة في «مجاز القرآن» ٢/ ٢٧٧، ومن شواهد الخليل في «العين» ٥/ ١٥٦، إلَّا أن فيه ابن عمير بدلًا من ابن صبيح، وهو بهذه الرواية أيضًا في «معجم مقاييس اللغة» ١/ ١١٨، وينسب للأعور بن براء الكلابي كما في «إصلاح المنطق» (٥٨)، ومعنى البيت: لما أعطاه الناقة عجب وتحير حتى برق بعينه أي: لألأ بها من شدة النظر إلى الإبل.
انظر: «العين» ٥/ ١٥٦، «معجم مقاييس اللغة» ١/ ١١٨.

فَـنَـفْـسَـكَ فـانْـعَ وَلا تَـنـعـنِـي
وَدَاوِ الـكـلُـومَ ولا تَـبْـرَقِ[١]

بفتح الراء، وفسره أنه يقول: لا تفزع من هول الجراح التي بك، قال: وكذلك يبرق البصر يوم القيامة[٢].

فالطبري في هذا المثال ذكر قراءتين متواترتين ثابتتين عنده، ثم اختار القراءة التي وافقت أكثر كلام العرب، وجاءت بها أشعارها.

قال أبو عبد الله بن خالويه: إجماع القراء على كسر الراء إلَّا نافعًا فإنه فتحها. فالحجة لمن كسر: أن الكسر لا يكون إلَّا في التحير. وأنشد:

لـمـا أتـانِ ابـنُ صُـبَـيْـحٍ طـالـبًـا
أعـطـيْـتُـهُ عَـيْـسَـاء مـنـهـا فَـبَـرِق

أي: تَحَيَّر. فأما الفتح فلا يكون إلَّا الضياء وظهوره، كقولهم: برق الصبح والبرق إذا لمعا وأضاءا.

وقال أهل اللغة برَق، وبرِق، فهما بمعنى واحد، وهو تحير الناظر عند الموت، والعرب تقول: لكل داخل برقة، أي: دهشة وحيرة[٣].

---

(١) البيتان في «ديوان طرفة بن العبد» (١٨٢)، «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٢٠٩، «لسان العرب» ١٠/ ١٦، «تفسير القرطبي» ١٩/ ٩٦، «الدر المصون» ١٠/ ٥٦٧، «اللباب» ١٩/ ٥٥٠.

(٢) «جامع البيان» ٢٩/ ١٧٨.

(٣) «الحجة في القراءات» (٣٥٧).
وانظر: «حجة أبي علي» ٦/ ٣٤٥، «حجة أبي زرعة» (٧٣٦)، «تفسير القرطبي» ١٩/ ٩٦، «الدر المصون» ١٠/ ٥٦٧، «اللباب» ١٩/ ٥٥٠.

وقد سبق الطبريَّ إلى اختيار هذه القراءة جماعة من الأئمة منهم: أبو بحرية السكوني، وسلام بن سليمان الطويل، وأيوب بن المتوكل، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وأبو حاتم السجستاني[1].

---

(١) انظر: «الغاية» (٤٢٤)، «المنتهى» (٦٢٥)، «الكامل» (٢٤٦/أ)، «سوق العروس» (٢٧٦).

وانظر بقية المواضع:

سورة النساء قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ ... فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ «جامع البيان» ٥/ ٣٢٥.

سورة المائدة قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ ... إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ «جامع البيان» ٦/ ٦٤.

سورة الأعراف قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ «جامع البيان» ٩/ ١٠٠.

سورة التوبة قوله تعالى: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ ... لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾ «جامع البيان» ١٠/ ٢٠٠.

سورة هود قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾﴾ «جامع البيان» ١٢/ ١١٥.

سورة النحل قوله تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ ... ﴿٧﴾﴾ «جامع البيان» ١٤/ ٨١، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ... ﴿٦٦﴾﴾ «جامع البيان» ١٤/ ١٣١، وقوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ... ﴿١٢٧﴾﴾ «جامع البيان» ١٤/ ١٩٨.

سورة النور قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ... وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ «جامع البيان» ١٨/ ١٩٨.

سورة الجن قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾ «جامع البيان» ٢٩/ ١١٧.

سورة المطففين قوله تعالى: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ «جامع البيان» ٣٠/ ١٠٧.

الفصل الرابع
ضابط اختيار القراءة لقوة المعنى

وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

المبحث الأول: موافقة القراءة المختارة المعنى الذي يتفق وعصمة النبوة.

المبحث الثاني: اختيار القراءة لكونها أصح معنى في التأويل.

المبحث الثالث: جمع القراءة المختارة لمعاني القراءات الأُخر.

المبحث الرابع: اختيار القراءة لكون المعنى الراجح على وفقها.

التمهيد

وفيه مسألتان:

- **المسالة الأولى: تعريف المعنى في اللغة والاصطلاح.**
- **المسألة الثانية: ذِكْرُ بعض العلماء الذين اعتمدوا هذا الضابط واختاروا على وفقه.**

- **المسألة الأولى: تعريف المعنى في اللغة والاصطلاح:**

أولًا: تعريف المعنى في اللغة:

المعنى: هو إما (مَفْعل) كما هو الظاهر من (عنى يعني) (إذا قصد المقصد)، وإما مخفف (مُعنَّى) بالتشديد اسم مفعول منه أي: المقصود، والذي يدل عليه قياس اللغة أن المعنى هو القصد الذي يبرز ويظهر في الشيء إذا بحث عنه؛ يقال: هذا معنى الكلام ومعنى الشعر، أي: الذي يبرز من مكنون ما تضمنه اللفظ.

ومعنى الكلام ومَعْنَاتُه واحد، تقول: عرفت ذلك في معنى كلامه، وفي مَعْنَاةِ كلامه، وفي مَعْنِيِّ كلامه، أي: فحواه، ومعنى كل شيء: مِحْنته وحاله التي يصير إليها أمره[1].

(١) انظر: «العين» ٢/ ٢٥٣، «معجم مقاييس اللغة» ٢/ ١٧٩، «الصحاح» ٥/ ١٩٤٢، «مختار الصحاح» (٢٤٠)، «الكليات» (٨٤٢).

ثانيًا: تعريف المعنى اصطلاحًا:

المعنى: هو المفهوم من ظاهر اللفظ، والذي تصل إليه بغير واسطة[١].

ومعنى المعنى: هو أن يعقل من اللفظ معنى ثم يفضي لك ذلك المعنى إلى معنى آخر[٢]. ودلالة الألفاظ على المعاني قد يكون مأخذها من منطوق الكلام الملفوظ به، وقد يكون مأخذها من مفهوم الكلام، وهذا ما يسمى بالمنطوق والمفهوم، فالمنطوق: هو ما دل عليه اللفظ في محل النطق، ومنه النص، والظاهر، والمؤول:

فالنص: هو ما يفيد بنفسه معنى صريحًا لا يحتمل غيره، كقوله تعالى: ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ﴾ [البقرة: ١٩٦] فلا يمكن أن يحتمل اللفظ غير كمال الأيام العشرة التي نطقت بها الآية ونصت عليها.

والظاهر: هو الذي يسبق إلى الفهم منه عند الإطلاق معنى مع احتمال غيره، احتمالًا مرجوحًا، فالنص والظاهر يشتركان في أن دلالتهما في محل النطق، ويختلفان في أن النص يفيد معنى لا يحتمل غيره، بخلاف الظاهر عند الإطلاق فإنه يفيد معنى مع احتمال غيره احتمالًا مرجوحًا، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ﴾ [البقرة: ٢٢٢] فانقطاع الحيض يقال فيه: طهر، والوضوء والغسل يقال فيهما: طهر، ودلالة الطهر على الثاني أظهر، فهي دلالة راجحة والأولى مرجوحة.

والمؤول: هو ما حمل لفظه على المعنى المرجوح لدليل يمنع من إرادة

---

(١) «الكليات» (٨٤٢).

(٢) «الكليات» (٨٤٢).

المعنى الراجح كقوله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤] فإنه محمول على الخضوع والتواضع، وحسن معاملة الوالدين؛ لاستحالة أن يكون للإنسان أجنحة.

والمفهوم: هو مادل عليه اللفظ لا في محل النطق، ويسمى مفهوم موافقة؛ إذا وافق حكمه المنطوق، ومفهوم مخالفة؛ إذا خالف حكمه المنطوق[١].

اعتماد الطبري لهذا الضابط:

إن الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ كما تقدم، لم يتحدث عن القراءات في تفسيره إلَّا لأجل المعنى، فبالقراءات تعرف جلالة المعاني وجزالتها[٢]، فإذا كانت القراءتان صحيحتين متقاربتي المعنى، فإنه لا يختار منهما، بل يصححهما جميعًا ويترك حق الاختيار للقارئ، وإذا كان في إحدى القراءتين زيادة معنى على الأخرى، فإنها هي القراءة المختارة عند أبي جعفر رَحِمَهُ اللَّهُ ولذلك يقول: وإنما يجوز اختيار بعض القراءات على بعض لبينونة المختارة على غيرها بزيادة معنى أوجبت لها الصحة دون غيرها، وأما إذا كانت المعاني في جميعها متفقة فلا وجه للحكم لبعضها بأنه أولى أن يكون مقروءًا به من غيره[٣]؛ وسيأتي في الأمثلة التطبيقية على هذا الضابط زيادة من الوضوح لاعتماد الطبري لهذا الضابط.

---

(١) انظر: «الإتقان» ٢/ ١٧، «التحبير في علم التفسير» (٢٤٥)، «البرهان» ٢/ ٢٠٦، «مباحث في علوم القرآن» لمناع القطان (٢٥٠)، «مباحث في علوم القرآن» لصبحي الصالح (٢٩٩).

(٢) «البرهان» ١/ ٣٩٣.

(٣) «جامع البيان» ٢/ ٥٣٨، تحقيق شاكر ٥/ ٢٣٦.

- المسألة الثانية: ذِكْرُ بعض العلماء الذين اعتمدوا هذا الضابط واختاروا على وفقه

إن هذا الضابط من الضوابط المهمة؛ ولذا فإن كثيرًا من أئمة الاختيار اختاروا على وفقه، وعللوا اختياراتهم بوجه يدخل في عموم المعنى، فمن هؤلاء الأئمة:

١- أبو زكريا الفراء (ت ٢٠٧هـ):

فقد ألمع إلى هذا الضابط في كتابه «معاني القرآن» حيث اختار بعض القراءات على وفقه، فذكر رَحِمَهُ اللَّهُ خلاف القراء في قراءة قوله تعالى: ﴿ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ﴾ [النور: ٥٨]، ثم اختار القراءة بالرفع، حيث قال: (واخترت الرفع؛ لأن المعنى -والله أعلم- هذه الخصال وقت العورات ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن ...)[(١)]

٢- ومنهم أبو عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ):

فقد قرر هذا الضابط بقوله: إنما توخينا في جميع ما أخبرنا من القراءات، أكثرها من القراءة أصلًا، وأعربها في كلام العرب لغة، وأصحها في التأويل مذهبًا، بمبلغ علمنا، واجتهاد رأينا، والله الموفق للصواب[(٢)]

واختار رَحِمَهُ اللَّهُ بعض القراءات على وفق هذا الضابط، ففي قراءة قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ﴾ [يوسف: ١٩] اختلف القراء فقرأ عاصم وحمزة والكسائي: ﴿يَٰبُشْرَىٰ﴾ بغير ياء بعد الألف، وقرأ الباقون:

---

(١) «معاني القرآن» ٢/ ٢٦٠.

(٢) انظر: «قراءات القراء المعروفين» (١٤٥).

﴿يا بشرايَ﴾ بالألف وفتح الياء[١]. قال مكي بن أبي طالب: اختار أبو عبيد ﴿يَٰبُشۡرَىٰ﴾ بغير ياء، اسم رجل دعاه إلى المستقى، واحتج أبو عبيد في اختياره لذلك؛ أنه يجمع المعنيين: اسمًا لرجل، ونداء البشرى[٢].

وقال أبو جعفر النحاس: قرأ أبو عمرو والكسائي وحمزة: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ﴾ [البقرة: ١٨٤] بتنوين ﴿فِدۡيَةٞ﴾ ورفع ﴿طَعَامُ﴾ وتوحيد ﴿مِسۡكِينٖۖ﴾، وهذا اختيار أبي عبيد، وزعم أنه اختاره؛ لأن معناه لكل يوم إطعام واحد منهم، فالواحد مترجم عن الجميع، وليس الجميع بمترجم عن الواحد[٣].

١- **ومنهم أبو إسحاق الزَّجاج (ت٣١١هـ):**

فقد اختار بعض القراءات في «معانيه»، ورجحها لأجل المعنى، فعند حديثه عن معنى قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢] ذكر خلاف القَرَأَة في قراءة قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتَ﴾ فقال: وقرأ بعضهم: ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتُ﴾ بضم التاء. والأجود في القراءة ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتَ﴾ بفتح التاء؛ لأن علم فرعون بأنها آيات من عند الله أوكد في الحجة عليه[٤].

---

(١) انظر: «المبسوط» (٢٤٥)، «السبعة» (٣٤٧)، «النشر» ٢/ ٢٩٣.

(٢) «الكشف عن وجوه القراءات» ٢/ ٧.

(٣) «إعراب القرآن» ١/ ٢٨٦، وانظر أمثلة أخرى في «إعراب القرآن» ٢/ ٣٣٥، ٤/ ٣١، ٦٦، ٣٤١.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٦٣.

٢- **ومنهم أبو جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ):**

فقد اختار بعض القراءات على وفق هذا الضابط، وهذا كثير عند أبي جعفر في كتابيه «إعراب القرآن»، و«معاني القرآن الكريم». فبعد حديثه عن القراءات في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٤] اختار القراءة بالألف ﴿قاتلوا﴾ وقال معللًا سبب اختياره لهذه القراءة: هي أبين في المعنى[(١)].

وكذلك بعد ذكره لخلاف القراء في قراءة قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٧] قال: والقراءة ﴿مَسَٰجِدَ﴾ أصوب؛ لأنه يحتمل المعنيين[(٢)].

٣- **ومنهم أبو محمد مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ):**

فقد اختار على وفق هذا الضابط في مواضع كثيرة جدًّا من «كشفه»، فمن ذلك مثلًا قوله عند تعرضه لخلاف القراء في قراءة ﴿حَرَجًا﴾ من قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥]: قرأ نافع وأبو بكر بكسر الراء، جعلاه اسم فاعل، كفرق وحذر، ومعناه الضيق ... وقرأ الباقون بفتح الراء جعلوه مصدرًا ... وقد اختلف في فتح الراء وكسرها عند عمر بن الخطاب، فسأل ابن الخطاب رجلًا من كنانة[(٣)] راعيًا

---

(١) «إعراب القرآن» ٤/ ١٨٠.

(٢) «معاني القرآن الكريم» ٣/ ١٩١.

(٣) هي قبيلة ضخمة من قبائل كلب، ومنها بنو عدي، وزهير، وعليم، وهم بطون ضخمة تسكن مكة، منازلها قريبة من الحرم.

فقال: ما الحَرَجَةُ عندكم؟ قال: الحَرَجَة: الشجرة تكون بين الأشجار، لا تصل إليها راعية ولا وحشية ولا شيء، فقال عمر: كذلك قلب المنافق، لا يصل إليه شيء من الخير. فيكون المعنى أن الله جل ذكره وصف صدر الكافر بشدة الضيق، عن وصول الموعظة إليه، ودخول الإيمان فيه، فشبهه في امتناع وصول المواعظ إليه بالحرجة، وهي الشجرة التي لا يوصل إليها لرعي ولا لغيره، فهذا يدل على الفتح، وهو الاختيار؛ لصحة معناه، ولأن أكثر القراء عليه(١).

وكذا عند قول الله تعالى: ﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزخرف: ٨٥] قال رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ قرأه ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء، ردوه على لفظ الغيبة التي قبله، وهو قوله: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟﴾ [الزخرف: ٨٣] وقرأ الباقون بالتاء على المخاطبة، على معنى: قل لهم يا محمد: إلى الله ترجعون، ويجوز أن يراد به الغُيَّب والمخاطبون، فيغلب الخطاب على الغيبة، والتاء الاختيار؛ لأن التاء تشتمل على المعنيين(٢).

٤- ومنهم أبو القاسم الهذلي (ت٤٦٥هـ):

فقد اختار على وفق هذا الضابط في مواضع كثيرة في كتابه «الكامل في القراءات الخمسين»، فمن ذلك ذكره لخلاف القراء في قوله:

انظر «جمهرة أنساب العرب» (٤٥٦)، «معجم البلدان» ٣/ ٢٨٧.

(١) «الكشف عن وجوه القراءات» ١/ ٤٥٠.

(٢) «الكشف عن وجوه القراءات» ٢/ ٢٦٢

﴿قَرۡحٞ﴾ من قوله تعالى: ﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ﴾ [آل عمران: ١٤٠] وأن بعضهم قرأها بالضم، وآخرون قرؤوها بالفتح، ثم اختار الفتح، وقال في حجة اختياره: لأنه يجمع الجراحة، والضم يختص بأحد المعنيين، فالجامع لمعنيين أولى مما يختص بمعنى واحد(١).

(١) «الكامل» (١٧٥/ب).

المبحث الأول

موافقة القراءة المختارة
المعنى الذي يتفق وعصمة النبوة

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول:تعريف العصمة وثبوتها لأنبياء الله .**
- **المطلب الثاني:الأمثلة التطبيقية.**

- **المطلب الأول: تعريف العصمة وثبوتها لأنبياء الله**

أولًا: تعريف العصمة في اللغة:

العصمة في اللغة: المنع. قال ابن فارس: العين والصاد والميم أصل واحد صحيح يدل على إمساك ومنع وملازمة، والمعنى في ذلك كله معنى واحد، من ذلك العصمة: أن يعصم الله تعالى عبده من سوء يقع فيه، واعتصم العبد بالله تعالى إذا امتنع، واستعصم: التجأ؛ وتقول العرب: أعصمت فلانًا، أي: هيأت له شيئًا يعتصم بما نالته يده أي يلتجئ ويتمسك به[1].

ثانيًا: تعريف العصمة في الاصطلاح:

العصمة هي: صرف دواعي المعصية عن الرسول المعصوم، بما يلهمه الله من ترغيب وترهيب وكمال معرفة.

---

(١) «معجم مقاييس اللغة» ٢/ ٢٧٢، وانظر «الصحاح» ٤/ ١٦١٠، «لسان العرب» ١٢/ ٤٠٣، «القاموس المحيط» ٤/ ١٥٢.

كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[(١)] [الأنعام: ١٥] والعصمة ثابتة لأنبياء الله، فهم معصومون عن الخطأ فيما يخبرون به عن الله ﷻ باتفاق الأمة على ذلك[(٢)]، ويستحيل عليهم الكذب، والكتمان، والخطأ، والسهو[(٣)]، والإغفال[(٤)]، والتورية[(٥)]، والإلغاز[(٦)] فيما طريقه البلاغ والأداء عن الله، وحراستهم من كل سبب يقدح في نبوتهم ودلالة معجزاتهم، وما خصهم الله به من شرف المنزلة وعلو القدر[(٧)]. والصحيح الذي عليه المُعَوَّلُ من أقوال العلماء هو: أن الأنبياء عليهم السلام معصومون عن المعاصي الصغائر والكبائر بعد النبوة بالاتفاق[(٨)]. وأما قبل النبوة فيحتمل أن تقع منهم بعض المخالفات

---

(١) انظر: «البحر المحيط» للزركشي ٤/ ١٧٢، «شرح الكوكب المنير» ٢/ ١٦٧، «إرشاد الفحول» (٧٠)، «دراسات في التفسير الموضوعي» للدكتور زاهر الألمعي (٢٢٧)، «والكليات» (٦٤٥).

(٢) انظر: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» ١٠/ ٢٨٩، «شرح الكوكب المنير» ٢/ ١٦٩.

(٣) السهو: نسيان الشيء والغفلة عنه، وذهاب القلب عنه إلى غيره، انظر: «مختار الصحاح» (١٧٠).

(٤) الإغفال: ترك الشيء والسهو عنه، انظر «لسان العرب» ١١/ ٤٩٧.

(٥) التورية: هي أن يريد المتكلم بكلامه خلاف ظاهره، مثل أن يقول في الحرب: مات إمامكم وهو ينوي أحدًا من المتقدمين. انظر «التعريفات» (٩٧).

(٦) الإلغاز: تعمية المراد بالكلام، يقال: ألغز الكلام وألغز فيه: عمَّى مراده و أضمره على خلاف ما أظهره. انظر: «لسان العرب» ٥/ ٤٥٠.

(٧) انظر: «تفسير آيات أشكلت عل كثير من العلماء» لابن تيمية ١/ ١٧٩.

(٨) حكى الإجماع على ذلك كثير من العلماء منهم: أبو المعالي الجويني في «البرهان» ١/ ٣١٩، والبغدادي في «أصول الدين» (١٦٧)، والسفاريني في «لوامع الأنوار البهية» ٢/ ٣٠٣.

اليسيرة التي لا تخل بالمروءة، ولا تقدح في الكرامة والشرف، غير أنهم معصومون من الكفر والإشراك بالله، وقد حكى غير واحد من أهل العلم الإجماع على ذلك[١]. وروي عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال: من قال: إنه كان النبي ﷺ على دين قومه، فهو قول سوء[٢].

قال القاضي عياض: ولم ينقل أحد من أهل الأخبار أن أحدًا نُبِّئَ واصْطُفَي ممن عرف بكفر وإشراك قبل ذلك، ومستند هذا الباب النقل؛ وقد استدل بعضهم بأن القلوب تنفر عمن كانت هذه سبيله، وأنا أقول: إن قريشًا قد رمت نبينا بكل ما افترته، وعَيَّرَ كفارُ الأمم أنبياءها بكل

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» ١/ ٣٠٨، «مفاتيح الغيب» ١٠/ ٢٩٣، «دراسات في التفسير الموضوعي» للدكتور زاهر الألمعي ٢/ ٢٢٧.

(٢) إسناده ضعيف، أخرجه الخلال في «كتاب السنة» ١/ ١٩٥ (٢١٣)، من طريق عصمة بن عصام العكبري قال: ثنا حنبل بن إسحاق قال: قلت لأبي عبد الله -يعني: أحمد- من زعم أن النبي ﷺ كان على دين قومه قبل أن يبعث؟ فقال: هذا قول سوء، ينبغي لصاحب هذه المقالة أن يحذر كلامه ولا يجالس. قلت له: إن جارنا الناقد أبا العباس يقول هذه المقالة. فقال: قاتله الله، وأي شيء أبقى إذا زعم أن رسول الله كان على دين قومه، وهم يعبدون الأصنام؟ قال الله تعالى حاكيًا عن عيسى عليه السلام: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

قلت له: وزعم أن خديجة كانت على ذلك حين تزوجها النبي ﷺ في الجاهلية. فقال: أما خديجة فلا أقول شيئًا، قد كانت أول من آمن به من النساء، ثم قال: ماذا يُحدِث الناس من الكلام؟ هؤلاء أصحاب الكلام، من أحب الكلام لم يفلح، سبحان الله لهذا القول! واستعظم ذلك، واحتج في ذلك بكلام لم أحفظه، وذكر أمه حيث ولدت رأت نورًا، أفليس هذا عندما ولدت رأت هذا؟ وقبل أن يبعث كان طاهرًا مطهرًا من الأوثان؟ أوليس كان لا يأكل ما ذبح على النصب؟ ثم قال: احذروا الكلام؛ فإن أصحاب الكلام لا يؤول أمرهم إلى خير. قال المحقق: في إسناده عصمة بن عصام، مجهول الحال.

ما أمكنها واختلقته، مما نص الله تعالى عليه، أو نقلته إلينا الرواة، ولم نجد في شيء من ذلك تعبيرًا لواحد منهم برفضه آلهته، وتقريعه بذمه بترك ما كان قد جامعهم عليه.

ولو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين، وبتلوُّنه في معبوده محتجين، ولكان توبيخهم له بنهيهم عما كان يعبد قبل، أفظع وأقطع في الحجة من توبيخه بنهيهم عن تركهم آلهتهم وما كان يعبد آباؤهم من قبل.

ففي إطباقهم على الإعراض عنه دليل على أنهم لم يجدوا سبيلًا إليه، إذ لو كان لنقل وما سكتوا عنه، كما لم يسكتوا عند تحويل القبلة، وقالوا: ﴿مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ﴾ [البقرة: ١٤٢] كما حكاه الله عنهم(١).

فلما كان الأمر كذلك في حال الأنبياء والرسل عليهم السلام كان لزامًا أن يقرأ كتاب الله بما يتفق وعصمتهم، علمًا أنه لم تثبت قراءة صحيحة فيها طعن في عصمة النبوة ومقام الرسالة، وأما القراءات الثابتة التي تتعلق بصفات الأنبياء ومقامهم، فإنها تتفق مع عصمتهم وما هو من صفاتهم، لكن بعض القراءات في ذلك أبلغ تنزيهًا، وأكثر مدحًا وأوفر؛ فهي القراءة المختارة عند أبي جعفر رحمه الله وإن كانت القراءات الأخر غير مدفوعة صحتها.

* * *

(١) «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» ٢/ ٧١٩.

★ **المطلب الثاني: الأمثلة التطبيقية:**

المثال الأول:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [آل عمران: ٨١].

قال أبو جعفر: اختلفت القَرَأَة في قراءة ذلك، فقرأته عامة قَرَأَة الحجاز والعراق: ﴿لَمَآ ءَاتَيْتُكُم﴾ بفتح اللام من ﴿لَمَآ﴾ إلَّا أنهم اختلفوا في قراءة ﴿ءاتيناكم﴾ فقرأه بعضهم: ﴿ءَاتَيْتُكُم﴾ على التوحيد، وقرأ بعضهم ﴿أتيناكم﴾ على الجمع ... وقرأ ذلك آخرون ﴿لِمَا ءَاتَيْتُكُم﴾ بكسر اللام من ﴿لِمَا﴾ وذلك قراءة جماعة من أهل الكوفة ...

قال أبو جعفر: وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم﴾ بفتح اللام[(١)]؛ لأن الله ﷻ أخذ ميثاق جميع الأنبياء بتصديق كل رسول له ابتعثه إلى خلقه فيما ابتعثه به إليه؛ كان ممن آتاه كتابًا أو ممن لم يؤته كتابًا، وذلك أنه غير جائز وصف أحد من أنبياء الله ﷻ ورسله بأنه كان ممن أبيح له التكذيب بأحد من رسله، فإذا كان ذلك كذلك، وكان معلومًا أن منهم من أنزل عليه الكتاب، وأن منهم من لم ينزل عليه الكتاب، كان بينًا أن قراءة من قرأ ذلك: ﴿لِمَا ءَاتَيْتُكُم﴾ بكسر اللام، بمعنى: من أجل الذي آتيتكم من كتاب، لا وجه له مفهوم، إلَّا على تأويل بعيد وانتزاع عميق[(٢)].

---

(١) وهي قراءة العشرة خلا حمزة فإنه قرأها بالكسر، انظر «المبسوط» (١٦٧)، «السبعة» (٢١٣)، «النشر» ٢/ ٢٤١.

(٢) «جامع البيان» ٣/ ٣٣٠، تحقيق شاكر ٦/ ٥٥٠.

فالقراءة التي اختارها الطبري في هذا المثال هي الموافقة لعصمة الأنبياء والرسل؛ لأنه غير جائز وصف أحد من أنبياء الله ﷻ ورسله بأنه كان ممن أبيح له التكذيب بأحد من رسله، وإن كانت القراءة بكسر اللام من ﴿لِمَا﴾ دالة على ذلك أيضًا، ولكن من وجه بعيد وانتزاع عميق كما قال الطبري رحمه الله.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما استخرج الله الذرية من صلب آدم كالذر، والأنبياء فيهم كالمصابيح والسرج، أخذ الميثاق على الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد ﷺ وأن يصدقوه وينصروه إن أدركوه[(١)]؛ وقال طاوس بن كيسان[(٢)]: أخذ الله ميثاق الأول من الأنبياء أن يؤمن بما جاء الآخر[(٣)].

وقال أبو منصور الأزهري بعد أن ذكر معنى القراءتين: وأجود القراءتين فتح اللام[(٤)]. وقال أبو المظفر السمعاني[(٥)]: قرأ حمزة: ﴿لِمَا ءَاتَيْتُكُم﴾

---

(١) **إسناده ضعيف.** أخرجه الطبري في «تفسيره» بتحقيق شاكر ٦/ ٥٥٦. وفي السند محمد بن أبي محمد المدني، قال في «التقريب» ٢/ ١٣١: مجهول، من السابعة. وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ٨٤ إلى الطبري وابن المنذر، وذكره السمعاني في «تفسيره» ١/ ٣٣٦.

(٢) طاوس بن كيسان اليماني، أبو عبد الرحمن، من أكابر التابعين تفقهًا في الدين، ورواية في الحديث، وتقشفًا في العيش (٣٣-١٠٦هـ)، انظر «حلية الأولياء» ٤/ ٣، «تذكرة الحفاظ» ١/ ٦٩، «غاية النهاية» ١/ ٣٤١، «طبقات الحفاظ» (٣٤).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للنحاس ١/ ٤٣٠، «تفسير القرطبي» ٤/ ١٢٤.

(٤) «معاني القرآن» ١/ ٢٦٦.

(٥) منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، أبو المظفر، مفسر، محدث، حجة لأهل السنة (٤٢٦-٤٨٩هـ) انظر: «الأنساب» ٣/ ٣٢٢، «وفيات الأعيان» ٣/ ٢١١، «طبقات الشافعية الكبرى» ٥/ ٣٣٥، «طبقات المفسرين» للأدنروي (١٤٣).

مخففًا، بكسر اللام، وقرأ غيره (لَمَّا آتيتكم) بفتح اللام مشددًا، والقراءة المعروفة بفتح اللام مخففًا، ومعناه: للذي آتيتكم، بمعنى الخبر[١].

والقراءة بالفتح في ﴿لَمَآ﴾ اختيار أبي بحرية السكوني، وسلام بن سليمان الطويل، وأيوب بن المتوكل، وأبي عبيد القاسم بن سلَّام، وأبي حاتم السجستاني، ومكي القيسي.[٢]

المثال الثاني:

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١].

قال أبو جعفر: واختلفت القَرَأَة في قراءة ذلك، فقرأته عامة قَرَأَة الحجاز والعراق: ﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ﴾ على وجه الخبر من موسى عن الذي جاءت به سحرة فرعون، أنه سحر، كأن معنى الكلام على تأويلهم: قال موسى: الذي جئتم به، أيها السحرة، هو السحر.

وقرأ ذلك مجاهد وبعض المدنيين والبصريين: ﴿مَا جِئْتُم به آلسحر﴾، على وجه الاستفهام من موسى إلى السحرة عما جاءوا به: أسحر هو أم غيره؟ قال أبو جعفر: وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب، قراءة من قرأه على وجه الخبر[٣]، لا على الاستفهام؛ لأن موسى صلوات الله وسلامه عليه لم يكن شاكًّا فيما جاءت به السحرة أنه سحر لا حقيقة له،

---

(١) «تفسير القرآن» ١/ ٣٣٧.

(٢) انظر: «الغاية» (٢١٥)، «المنتهى» (٣٠٢)، «الكامل» (١٧٥/أ)، «سوق العروس» (١٨٩)، «الكشف عن وجوه القراءات» ١/ ٣٥١.

(٣) وهي قراءة العشرة خلا أبا عمرو وأبا جعفر.
انظر: «المبسوط» (٢٣٥)، «السبعة» (٣٢٨)، «النشر» ١/ ٣٧٨.

فيحتاج إلى استخبار السحرة عنه: أي شيء هو؟ وأخرى: أنه صلوات الله عليه قد كان على علم من السحرة إنما جاء بهم فرعون ليغالبوه على ما كان جاءهم به من الحق الذي كان الله آتاه، فلم يكن يذهب عليه أنهم لم يكونوا يصدقونه في الخبر عما جاءوه به من الباطل، فيستخبرهم أو يستجيز استخبارهم عنه، ولكنه صلوات الله عليه أعلمهم أنه عالم ببطول ما جاءوا به من ذلك بالحق الذي أتاه ومبطل كيدهم بحده[١]، وهذه أولى بصفة رسول الله ﷺ من الأخرى[٢].

فالطبري في هذا المثال اختار القراءة التى تؤدي معنى يليق بمقام النبي موسى عليه السلام فكونه يعلم بما جاء به السحرة، وأنه باطل بإذن الله، أليق من استفهامه واستخباره عما جاء به السحرة أهو سحر؟ فإنه لم يكن شاكا في ذلك فيسأل عنه، أي شئ هو؟.

قال الفراء: ﴿مَا﴾ في موضع الذي؛ كما تقول: ما جئت به باطل، وهي في قراءة عبد الله ما جئتم به سحر وإنما قال: ﴿ٱلسِّحْرُ﴾ بالألف واللام؛ لأنه جواب لكلام قد سبق، ألا ترى أنهم قالوا لما جاءهم به موسى: أهذا سحر؟ فقال: بل ما جئتم به السحر ... وكان مجاهد وأصحابه يقرؤون: ﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ﴾ فيستفهم ويرفع السحر من نية الاستفهام، وتكون ﴿مَا﴾ في مذهب أي، كأنه قال: أي شيء جئتم به؟ آلسحر هو؟ وفي حرف أبي: (ما أتيتم به سحر) قال الفراء: وأشك فيه ...[٣].

---

(١) الحِدَّة: الشدة والبأس. انظر: «مختار الصحاح» (٧٤).

(٢) «جامع البيان»: ١١/ ١٤٨، تحقيق شاكر ١٥/ ١٦٠.

(٣) «معاني القرآن»: ١/ ٤٧٥.

وقد منع مكي أن تكون ما موصولة على قراءة أبي عمرو، فقال: وقرأه أبو عمرو بالمد والهمز: ﴿آلسِّحْرُ﴾ فعلى هذه القراءة: تكون ﴿مَا﴾ استفهامًا مبتدأً مرفوعًا، ﴿مَا جِئْتُم بِهِ﴾ الخبر، و﴿آلسحر﴾ خبر ابتداء محذوف أي: هو السحر؟ ولا يجوز أن تكون ﴿مَا﴾ بمعنى: الذي على هذه القراءة؛ إذ لا خبر لها[1].

وكذلك الزمخشري، وأبو البقاء لم يجيزا كونها موصولة، إلَّا في قراءة غير أبي عمرو، لكنهما لم يتعرضا لعدم جوازه[2].

قال ابن حجر: وليس المراد في القراءة الأولى[3] الإخبار بأن ما جاءوا به سحر خاصة، ولكن مع تنزيه ما جاء به عن كونه سحرًا، وإنما يستفاد ذلك بما في هذا النظم المخصوص من إفادة الحصر ...، فإنا نعلم أن موسى عليه السلام حيث أطلقه فإنما أراد إضافة السحر إلى ما جاءوا به محصورًا فيه، حتى لا يتعدى إلى الحق الذي جاء به هو منه شيء.

وأما القراءة الثانية ففيها -والله أعلم- إرشاد إلى أن قول موسى عليه السلام أولًا: ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾ حكاية لقولهم ويكون ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾ هو الذي قالوه، ولا يناقض ذلك حكاية الله عنهم أنهم قالوا: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾؛ وذلك إما لأنهم قالوا الأمرين جميعًا، بدءوا بالاستفهام على سبيل الاستهتار بالحق والاستهزاء بكونه حقًّا، والاستهزاء بالحق إنكار له، بل قد يكون الاستفهام في بعض المواطن أبت من الإخبار ...

---

(١) انظر: «الكشف عن وجوه القراءات»: ١/ ٥٢١.

(٢) انظر: «الكشاف»: ٢/ ١٩٩، «التبيان»: ١/ ٥٢٥.

(٣) يعني: قراءة الجمهور.

وحاصل هذا البحث أن قول موسى عليه السلام: ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾ إنما حكى فيه قولهم ويرشد إلى ذلك أنه كافأهم عندما أتوا بالسحر بمثل مقالتهم، مستفهمًا فقال: ﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ﴾ على قراءة الاستفهام، قرضًا بوفاء على السواء، والذي يحقق لك أن الاستفهام والإخبار في مثل هذا المعنى مؤداهما واحد، أن الله تعالى حكى قول موسى عليه السلام: ﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ﴾ على الوجهين الخبر والاستفهام، على ما اقتضته القراءتان، وهو قول واحد دل على أن مؤدى الأمرين واحد، ضرورة صدق الخبر على الوجهين، وإنما حمل الزمخشري على تأويل القول بالتعييب أو إضمار مفعول تقولون استشكال وقوع الاستفهام محكيًّا بالقول، والمحكي أولًا عنهم الخبر وقد أوضحنا أنه لا تنافر ولا تنافي بين الأمرين، فشد بهذا الفصل عرى التمسك؛ فإنه من دقائق النكت، والله الموفق[(١)]. وهو كما قال رحمه الله وقد سبق الطبريَّ إلى اختيار القراءة بالوصل جماعةٌ من الأئمة منهم: أبو بحرية السكوني، وسلام الطويل، وأيوب بن المتوكل، وأبو عبيد، وأبو حاتم[(٢)]، وتابع الطبري في اختياره كذلك مكي القيسي[(٣)].

---

(١) «الكاف الشاف»: ٢/ ١٩٩ بهامش الكشاف.

(٢) انظر: «الغاية»: (٢٧٨)، «المنتهى»: (٣٩٥)، «الكامل»: (٢٠٢/أ) «سوق العروس»: (٢١٣).

(٣) انظر: «الكشف عن وجوه القراءات»: ١/ ٥٢١.
وانظر بقية المواضع: سورة آل عمران قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾﴾ «جامع البيان»: ٤/ ١٥٤. سورة مريم قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾﴾ «جامع البيان»: ١٦/ ٤٨.

المبحث الثاني:

اختيار القراءة
لكونها أصح معنى في التأويل

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول: التعريف بالتفسير والتأويل والفرق بينهما.**
- **المطلب الثاني: الأمثلة التطبيقية.**

⋆ المطلب الأول: التعريف بالتفسير والتأويل والفرق بينهما:

أولًا: تعريف التفسير لغة:

التفسير في اللغة: تفعيل من الفسر بمعنى: الإبانة وكشف المراد عن اللفظ المشكل وإيضاحه(١).

قال ابن فارس: الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه(٢). يقال: فسر الشيء يفسِره بالكسر ويفسُره بالضم، فسرًا، وفسَّره: أي أبانه(٣).

وقيل: هو مقلوب من سفر، ومعناه أيضًا: الكشف، يقال: سفرت المرأة سفورًا، إذا ألقت خمارها عن وجهها، وهي سافرة، وأسفر

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة»: ١٢/ ٤٠٧.

(٢) «معجم مقاييس اللغة»: ٢/ ٣٥٥.

(٣) انظر: «لسان العرب»: ٥/ ٥٥.

الصبح: أضاء، وإنما بنوه على التفعيل؛ لأنه للتكثير، كقوله تعالى: ﴿ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ ﴾ [البقرة: ٤٩] وقوله تعالى: ﴿ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ ﴾ [يوسف:٢٣] فكأنه يتبع سورة بعد سورة، وآية بعد أخرى[(١)]، وقال الراغب الأصفهاني[(٢)]: والفسر والسفر يتقارب معناهما، كتقارب لفظيهما؛ لكن جعل الفسر لإظهار المعنى المعقول ....، وجعل السفر لإبراز الأعيان للأبصار، فقيل: سفرت المرأة عن وجهها، وأسفر الصبح[(٣)]. وخلاصة القول: أن أصل المادة يدور على معنى البيان والكشف والإيضاح.

ثانيًا: التفسير في الاصطلاح:

١- عَرَّفَهُ أبو حيان بقوله: التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية، والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حال التركيب، وتتمات لذلك. ثم شرح التعريف فقال:

قولنا: علم: هو جنس يشمل سائر العلوم، وقولنا: يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن: هذا هو علم القراءات، وقولنا: ومدلولاتها: أي مدلولات تلك الألفاظ، وهذا علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم، وقولنا: وأحكامها الإفرادية والتركيبية: هذا يشمل علم التصريف، وعلم الإعراب، وعلم البيان، وعلم البديع. ومعانيها

---

(١) انظر: «البرهان في علوم القرآن»: ٢/ ١٤٧.

(٢) الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم الأصبهاني، المعروف بالراغب، أديب من الحكماء العلماء، توفى سنة: (٥٠٢هـ).

انظر: «بغية الوعاة»: ٢/ ٢٩٧، «هدية العارفين»: ٥/ ٣١١، «الأعلام»: ٢/ ٢٥٥.

(٣) مقدمة «جامع التفاسير»: (٤٧). وانظر: «المفردات»: (٣٨٠).

التي تحمل عليها حالة التركيب: شمل ما دلالته عليه بالحقيقة، وما دلالته عليه بالمجاز، فإن التركيب قد يقتضي بظاهره شيئًا، ويصد عن الحمل على الظاهر صاد، فيحتاج لأجل ذلك أن يحمل على غير الظاهر وهو المجاز.

وقولنا: وتتمات لذلك: هو معرفة النسخ، وسبب النزول، وقصة توضح بعض ما انبهم في القرآن ونحو ذلك[١].

٢- وعَرَّفَهُ الزركشي بقوله: علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ، وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه[٢].

٣- وعَرَّفَهُ الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ فقال: بيان معاني القرآن الكريم[٣]. وهذا التعريف هو أولى التعاريف السابقة، والله أعلم.

ثالثًا: تعريف التأويل لغة:

مأخوذ من الأول، وهو الرجوع إلى الأصل، يقال آل الشيء يؤول أولًا ومآلًا: رجع، وأول الكلام وتأوله: دبره وقدره، وأوله وتأوله: فسره[٤].

رابعًا: تعريف التأويل اصطلاحًا:

للتأويل اصطلاحًا: عدة معان:

الأول: تفسير الكلام وبيان معناه، سواء وافق ظاهره أو خالفه،

---

(١) «البحر المحيط»: ١/ ١٢١. وانظر: «الإتقان»: ٢/ ٤٢٨.

(٢) «البرهان في علوم القرآن»: ١/ ١٣، وانظر: «الإتقان»: ٢/ ٤٢٨.

(٣) «أصول في التفسير»: (٢٧).

(٤) انظر: «معجم مقاييس اللغة»: ١/ ٨٦، «والصحاح»: ٤/ ١٣٣٥، «ولسان العرب»: ١١/ ٣٢.

وهو ما يعنيه ابن جرير الطبري في «تفسيره» بقوله: القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا، وبقوله: اختلف أهل التأويل في هذه الآية، فإن مراده التفسير.

الثاني: أنه حقيقة الكلام وعين مقصوده، فتأويل الأمر هو الفعل المأمور به، فهذان المعنيان هما استعمال السلف.

وأما التأويل في عرف المتأخرين فهو: صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به. وهذا هو التأويل الذي يتكلمون عليه في أصول الفقه، ومسائل الخلاف[(١)].

خامسًا: الفرق بين التفسير والتأويل:

من العلماء من فرق بين التفسير والتأويل، وقد اختلفت أقوالهم في ذلك، وفي ضوء ما سبق من معنى التفسير والتأويل يمكن أن نذكر أهم الآراء فيما يأتي:

١- قال جماعة من السلف: إنهما بمعنى واحد، وهما مترادفان[(٢)]، وذلك إذا قلنا: إن التأويل هو تفسير الكلام، وبيان معناه.

٢- وقال جماعة: إنهما يفترقان[(٣)] وذلك إذا قلنا: إن التأويل هو نفس المراد بالكلام، فتأويل الطلب نفس الفعل المطلوب، وتأويل الخبر نفس الشيء المخبر به، وأما التفسير فهو شرح وإيضاح للكلام،

---

(١) انظر: «مجموع فتاوى ابن تيمية»: ١٣/ ٢٨٨، «التحفة المهدية»: (٢٠٩).

(٢) انظر: «البرهان»: ٢/ ١٤٦، «التيسير في قواعد التفسير»: (١٢٣)، «الإتقان»: ٢/ ٤٢٦.

(٣) ينظر: «البرهان»: ٢/ ١٤٦، «الإتقان»: ٢/ ٤٢٦، «مقدمتان في علوم القرآن»: (١٧٣).

ويكون وجوده في الذهن بتعلقه، وفي اللسان بالعبارة الدالة عليه، والتأويل هو نفس الأمور الموجودة في الخارج.

٣- وقيل: التفسير ما وقع مبينًا في كتاب الله أو معينًا في صحيح السنة؛ لأن معناه قد ظهر ووضح، والتأويل: ما استنبطه العلماء، فالتفسير ما يتعلق بالرواية، والتأويل ما يتعلق بالدراية[١].

٤- وقيل: التفسير أكثر ما يستعمل في الألفاظ ومفرداتها، والتأويل أكثر ما يستعمل في المعاني والجمل[٢]، وقيل غير ذلك[٣].

* * *

(١) انظر: «الإتقان»: ٢/ ٤٢٧.

(٢) انظر: «المفردات»: (٣٨٠)، «الإتقان»: ٢/ ٤٢٦، «مباحث في علوم القرآن» للقطان: (٣٢٧).

(٣) ينظر جملة من هذه الأقوال في: «البرهان»: ٢/ ١٤٩، «التيسير في قواعد علم التفسير»: (١٢٣)، «مقدمتان في علوم القرآن»: (١٧٣).

★ **المطلب الثاني: الأمثلة التطبيقية :**

المثال الأول:

قال تعالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾ الأعراف: ٢٦]

قال أبو جعفر:

اختلفت القَرَأَة في قراءة ذلك: فقرأته عامة قَرَأَة المكيين، والكوفيين، والبصريين: ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ﴾ برفع لباس، وقرأ ذلك عامة قَرَأَة المدينة: ﴿ وَلِبَاسَ ٱلتَّقۡوَىٰ ﴾ بنصب اللباس، وهي قراءة بعض قَرَأَة الكوفيين.

فتأويل الكلام إذا رفع: ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ﴾: ولباس التقوى -ذلك الذي قد علمتموه- خير لكم يا بني آدم من لباس الثياب التي تواري سوآتكم، ومن الرياش التي أنزلناها إليكم، هكذا فالبسوه.

وأما تأويل من قرأه نصبًا فإنه: ﴿ يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسًا يواري سوآتكم وريشًا ولباسَ التقوى ﴾ هذا الذي أنزلنا عليكم من اللباس الذي يواري سوآتكم والريش، ولباس التقوى خير لكم من التعري والتجرد من الثياب في طوافكم بالبيت، فاتقوا الله والبسوا ما رزقكم الله من الرياش، ولا تطيعوا الشيطان بالتجرد والتعري من الثياب، فإن ذلك سخرية منه بكم وخدعة، كما فعل بأبويكم آدم وحواء، فخدعهما حتى جردهما من لباس الله الذي كان ألبسهما بطاعتهما له، في أكل ما كان الله نهاهما عن أكله من ثمر الشجرة التي عصياه بأكلها.

قال أبو جعفر: وهذه القراءة أولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب، أعني نصب قوله: ﴿ولباسَ التَّقوى﴾[١]؛ لصحة معناه في التأويل على ما بينت، وأن الله إنما ابتدأ الخبر عن إنزاله اللباس الذي يوارى سوآتنا والرياش؛ توبيخًا للمشركين الذين كانوا يتجردون في حال طوافهم بالبيت، ويأمرهم بأخذ ثيابهم والاستتار بها في كل حال، مع الإيمان به واتباع طاعته، ويعلمهم أن كل ذلك خير من كل ما هم عليه مقيمون من كفرهم بالله وتعريهم، لا أنه أعلمهم أن بعض ما أنزل إليهم خير من بعض[٢].

قال الفراء: وقوله: ﴿وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ و ﴿ولباسَ التَّقوى﴾ بالنصب، يرفع بقوله: (ولباس التقوى خير)، ويجعل ﴿ذَٰلِكَ﴾ من نعته، وهي في قراءة أبي، وعبد الله جميعًا: (ولباس التقوى خير)، وفي قراءتنا ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ فنصب اللباس أحب إلي؛ لأنه تابع الريش، ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ فرفع ﴿خَيْرٌ﴾ بذلك[٣].

وقد وافق ابنَ جرير في اختيار قراءة النصب أيوبُ بن المتوكل، وخالفه جمهور أهل الاختيار، أبو بحرية السكوني، وسلام الطويل، وأبو عبيد، وأبو حاتم، ومكي القيسي، حيث اختاروا القراءة بالرفع[٤].

---

(١) وهي قراءة نافع وابن عامر والكسائي وأبي جعفر.
انظر: «المبسوط»: (٢٠٨)، «السبعة»: (٢٨٠)، «النشر»: ٢/ ٢٦٨.

(٢) «جامع البيان»: ٨/ ١٥٠، تحقيق شاكر: ١٢/ ٣٦٩.

(٣) «معاني القرآن»: ١/ ٣٧٥.

(٤) انظر: «الغاية»: (٢٣٥)، «المنتهى»: (٣٠٨)، «الكامل»: (١٩٣/ ب)، «سوق العروس»: (٢٠٤)، «الكشف»: ١/ ٤٦١.

المثال الثاني:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ [الصافات: ٦] قال أبو جعفر: اختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿بِزِينَةِ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة: ﴿بِزِينَةِ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ بإضافة الزينة إلى الكواكب، وخفض الكواكب: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾ التي تليكم أيها الناس، وهي الدنيا إليكم بتزيينها الكواكب: أي بأن زينتها الكواكب.

وقرأ ذلك جماعة من قراء الكوفة: ﴿بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ بتنوين زينة، وخفض ﴿ٱلْكَوَاكِبِ﴾ ردًّا لها على الزينة، بمعنى: إنا زينا السماء الدنيا بزينة هي الكواكب، كأنه قال: زيناها بالكواكب.

وروي عن بعض قراء الكوفة أنه كان ينون الزينة وينصب الكواكب، بمعنى: إنا زينا السماء الدنيا بتزييننا الكواكب، ولو كانت القراءة في الكواكب جاءت رفعًا إذا نونت الزينة، لم يكن لحنًا، وكان صوابًا في العربية، وكان معناه: إنا زينا السماء الدنيا بتزيينها الكواكب، أي بأن زينتها الكواكب، وذلك أن الزينة مصدر، فجائز توجيهها إلى أي هذه الوجوه التي وصفت في العربية.

وأما القراءة فأعجبها إلي بإضافة الزينة إلى الكواكب[(١)]؛ لصحة معنى ذلك في التأويل والعربية، وأنها قراءة أكثر قراء الأمصار، وإن كان التنوين في الزينة وخفض الكواكب عندي صحيحًا أيضًا[(٢)].

---

(١) وهي قراءة العشرة خلا عاصمًا وحمزة، انظر «المبسوط»: (٣٧٥)، «السبعة»: (٥٤٦)، «النشر»: ٢/ ٣٥٦.

(٢) «جامع البيان»: ٢٣/ ٣٥.

فالطبري في هذا المثال اختار القراءة بالإضافة لسببين:

أولهما: لصحة معناها في التأويل.

ثانيهما: أنها قراءة أكثر القراء.

قال أبو جعفر النحاس: وأجود مما قال أن يكون بمعنى: بأن زينا الكواكب فيها[١]. وقال أبو منصور الأزهري: من قرأ: ﴿بزينةٍ الكواكبِ﴾ جعل الكواكب بدلًا من الزينة، المعنى: إنا زينا السماء الدنيا بالكواكب، ومن قرأ: ﴿بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبَ﴾ أقام الزينة مكان التزيين، فنصبت الكواكب بها، المعنى: بتزييننا الكواكب، ومن قرأ ﴿بِزِينَةِ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ فهو على إضافة الزينة إلى الكواكب، وعلى هذه القراءة أكثر القراء[٢].

وهذه القراءة التي اختارها الطبري هي اختيار جماعة من الأئمة قبله منهم: أبو بحرية السكوني، وسلام الطويل، وأيوب بن المتوكل، وأبو عبيد، وأبو حاتم[٣].

---

(١) «معاني القرآن الكريم»: ٦/ ١٠.

(٢) «معاني القراءات»: ٢/ ٣١٦.

(٣) انظر: «الغاية» (٣٧٧)، «المنتهى»: (٥٥٨)، «الكامل»: (٢٣٢/ب)، «سوق العروس»: (٢٥٣). وانظر بقية المواضع:
سورة البقرة قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ... ﴿٣٦﴾﴾ «جامع البيان»: ١/ ٢٣٤ وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ... ﴿١٦٥﴾﴾ «جامع البيان»: ٢/ ٦٧، وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ... ﴿١٨٤﴾﴾ «جامع البيان»: ٢/ ١٤١. ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ... ﴿١٩١﴾﴾ «جامع البيان»: ٢/ ١٩٢.
سورة المعارج قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾﴾ «جامع البيان»: ٢٩/ ٧٤.

المبحث الثالث:

جمع القراءة المختارة لمعاني القراءات الأُخر

إن القراءة التي تجمع معاني القراءات الأخر، هي القراءة المختارة عند الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ، فتجده في بعض المواضع يذكر خلاف القَرَأَة ثم يذكر معنى كل قراءة؛ والقراءة التي تحتمل معنى ما تحتمله القراءة الأخرى هي المختارة عنده.

الأمثلة التطبيقية:

المثال الأول:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء: ٩٤].

قال أبو جعفر: اختلفت القَرَأَة في قراءة قوله: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ ﴾ فقرأ ذلك عامة قَرَأَة المكيين والمدنيين والكوفيين: ﴿السلم﴾ بغير ألف، بمعنى الاستسلام.

وقرأ بعض الكوفيين والبصريين: ﴿ ٱلسَّلَٰمَ ﴾ بألف، بمعنى التحية، قال أبو جعفر: والصواب من القراءة في ذلك عندنا: ﴿لمن ألقى إليكم السلم﴾[1] بمعنى: من استسلم لكم، مذعنًا لله بالتوحيد، مقرًّا لكم بملتكم.

---

(١) وهي قراءة نافع وابن عامر وحمزة وأبي جعفر وخلف.

انظر: «المبسوط» (١٨٠)، «السبعة» (٢٣٦)، «النشر» ٢/ ٢٥١.

وإنما اخترنا ذلك؛ لاختلاف الرواية في ذلك: فمن راوٍ روى أنه استسلم بأن شهد شهادة الحق وقال: إني مسلم، ومن راوٍ روى أنه قال: السلام عليكم فحياهم تحية الإسلام، ومن راوٍ روى أنه كان مسلمًا بإسلام قد تقدم منه قبل قتلهم إياه، وكل هذه المعاني يجمعها: السلم؛ لأن المسلم مستسلم، والمحيي بتحية الإسلام مستسلم، والمتشهد شهادة الحق مستسلم لأهل الإسلام، فمعنى ﴿السلم﴾ جامع جميع المعاني التي رويت في أمر المقتول الذي نزلت في شأنه الآية، وليس ذلك في ﴿ٱلسَّلَمَ﴾؛ لأن ﴿ٱلسَّلَمَ﴾ لا وجه له في هذا الموضع إلَّا التحية، فلذلك وصفنا ﴿السَّلَمَ﴾ بالصواب[1].

فالطبري هنا اختار القراءة التي تجمع معنى القراءتين وهي: ﴿السلم﴾ بدون ألف. قال أبو جعفر النحاس: واختار أبو عبيد القاسم بن سلام ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾ وخالفه أهل النظر فقالوا: السلم ههنا أشبه؛ لأنه بمعنى الانقياد والتسلم، كما قال جل وعز: ﴿فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءٖۚ﴾[2] [النحل: ٢٨].

وقال أبو عبد الله بن خالويه: و﴿ٱلسَّلَمَ﴾ هو السلام المعروف، وهو الاختيار: لما روي عن ابن عباس أن رجلًا سلم عليهم فقتلوه، قدروا أنه فعل ذلك خوفًا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا﴾[3]. واختار مكي القيسي ﴿ٱلسَّلَمَ﴾ بالألف

---

(١) «جامع البيان»: ٥/ ٢٢٥، وتحقيق شاكر: ٩/ ٨١.

(٢) «معاني القرآن الكريم»: ٢/ ١٦٩.

(٣) «إعراب القراءات السبع»، ١/ ١٣٧. والأثر صحيح.
أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ لَسۡتَ =

وقال: لأن أكثر القراء عليه؛ ولأنه أبين في المعنى[١].

وقال ابن حجر بعد أن ذكر القراءة بالألف: السلام فيها دليل على أن من أظهر شيئًا من علامات الإسلام، لم يحل دمه حتى يختبر أمره؛ لأن السلام تحية المسلمين، وكانت تحيتهم في الجاهلية بخلاف ذلك، فكانت هذه علامة.

وأما على قراءة ﴿السَّلَمَ﴾ على اختلاف ضبطه فالمراد به الانقياد، وهو علامة الإسلام؛ لأن معنى الإسلام في اللغة: الانقياد، ولا يلزم من الذي ذكرته الحكم بإسلام من اقتصر على ذلك وإجراء أحكام المسلمين عليه، بل لا بد من التلفظ بالشهادتين، على تفاصيل في ذلك بين أهل الكتاب، وغيرهم والله أعلم[٢].

وقد وافق الطبري في اختيار القراءة بغير ألف ﴿السَّلَمَ﴾ أبو بحرية السكوني، وأيوب بن المتوكل، وأبو حاتم السجستاني، واختار سلام، وأبو عبيد القراءة بالألف ﴿ٱلسَّلَمَ﴾[٣].

المثال الثاني:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام: ١١١].

= مُؤْمِنَا...﴾، السَّلَم والسلام والسِّلْم واحد.
انظر: «صحيح البخاري مع الفتح»: ٨/ ١٠٧.

(١) «الكشف عن وجوه القراءات»: ١/ ٣٩٥.

(٢) «فتح الباري»: ٨/ ١٠٨.

(٣) انظر: «الغاية» (٢٢٨)، «معاني القرآن الكريم» ٢/ ١٦٩، «المنتهى» (٣٢٢)، «الكامل» (١٨١/ب)، «سوق العروس» (١٩٤).

قال أبو جعفر: واختلفت القَرَأَة في قراءة قوله: ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾ فقرأته قَرَأَة أهل المدينة ﴿قِبَلًا﴾ بكسر القاف وفتح الباء، بمعنى: معاينة، من قول القائل: لقيته قبلًا، أي معاينة ومجاهرة.

وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين والبصريين: ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾ بضم القاف والباء.

وإذا قرئ كذلك، كان له من التأويل ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يكون القُبُلُ جمع قبيل، كالرُّغُف التي هي جمع رغيف، والقُضُب التي هي جمع قضيب، ويكون القُبُلُ: الضمناء والكفلاء، وإذا كان ذلك معناه، كان تأويل الكلام: وحشرنا عليهم كل شيء كفلاء يكفلون لهم بأن الذي نعدهم على إيمانهم بالله إن آمنوا، أو نوعدهم على كفرهم بالله إن هلكوا على كفرهم، ما آمنوا إلَّا أن يشاء الله.

والوجه الآخر: أن يكون القُبُلُ بمعنى المقابلة والمواجهة، من قول القائل: أتيتك قُبُلًا لا دبرًا إذا أتاه من قبل وجهه.

والوجه الثالث: أن يكون معناه: وحشرنا عليهم كل شيء قبيلة قبيلة، صنفًا صنفًا، وجماعة جماعة، فيكون القُبُلُ الذي هو جمع قبيلة، فيكون القبل جمع الجمع.

قال أبو جعفر: وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندنا قراءة من قرأ: ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾ بضم القاف والباء[1]؛ لما ذكرنا من احتمال ذلك الأوجه التي بينا من المعاني، وأن معنى القِبَل داخل فيه، وغير داخل في

---

(١) هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف، ويعقوب. انظر «المبسوط» (٢٠٠)، «السبعة» (٢٦٥)، «النشر» ٢/ ٢٦١.

القِبَل معاني القُبُل[١].

فلما كانت القراءة بضم القاف والباء مشتملة على ما تحمله القراءة الأخرى من معان، كانت هي القراءة المختارة عند أبي جعفر رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال الفراء: وقوله: ﴿قُبُلًا﴾ جمع قبيل، والقبيل الكفيل، وإنما اخترت هٰهنا أن يكون القبل في معنى الكفالة، لقولهم: ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٩٢] يظنون ذلك، وقد يكون ﴿قُبُلًا﴾ من قبل وجوههم، كما تقول: أتيتك قُبُلًا ولم آتك دُبُرًا، وقد يكون القبيل جمعًا للقبيلة كأنك قلت: أو تأتينا بالله والملائكة قبيلة قبيلة، وجماعة جماعة، ولو قرئت قبلًا على معنى معاينة كان صوابًا، كما تقول: أنا لقيته قبلًا[٢].

فتشترك القراءة بكسر القاف مع القراءة بالضم في معنى المعاينة، فقد روى ابن أبي حاتم والطبري عن ابن عباس في قوله: ﴿كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾ أي: معاينة[٣]، فكأنه قرأها بكسر القاف. مع أنه يجوز أن يكون بالضم، ومعناه

---

(١) «جامع البيان» ٨/ ٢، تحقيق شاكر ١٢/ ٤٨.

(٢) «معاني القرآن» ١/ ٣٥٠.

(٣) **إسناد ضعيف.** أخرجه ابن جرير في «تفسيره» تحقيق شاكر ١٢/ ٤٩، وابن أبي حاتم في «تفسيره»: ٤/ ١٣٧٠، وفي السند عندهما: أبو صالح وهو: عبد الله بن صالح بن محمد بن مسلم الجهني، أبو صالح المصري، كاتب الليث، قال في «التقريب»: ١/ ٥٠١: صدوق، كثير الغلط، ثبت في كتابه، وكانت فيه غفلة، من العاشرة. وفيه: معاوية بن صالح وهو: معاوية بن صالح حدير، بالمهملة مصغرًا، الحضرمي، أبو عمرو الحمصي، قال في «التقريب»: ٢/ ١٩٦١: صدوق، له أوهام، من السابعة. وفيه علي بن أبي طلحة: وهو سالم مولى ابن عباس، قال في «التقريب»: أرسل عن ابن عباس ولم يره، من السادسة، صدوق، قد يخطئ.
قلت: فالأثر ضعيف بهذا السند.

المعاينة، يقول: رأيته قبلًا لا دبرًا، إذا أتيته من قبل وجهه، وتستوي على هذا القراءتان[١].

وقد سبق الطبريَّ في اختياره لهذه القراءة: ﴿قُبُلًا﴾ بضم القاف والباء جماعةٌ من الأئمة منهم: أبو بحرية السكوني، وأيوب بن المتوكل، وسلام بن سليمان الطويل، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وأبو حاتم السجستاني[٢].

(١) انظر: «فتح الباري» ٨/ ١٤٦.

(٢) انظر: «الغاية» (٢٤٨)، «المنتهى» (٣٤٨)، «الكامل» (١٩١/أ)، «سوق العروس» (٢٠١).

انظر: موضعًا ثالثًا في سورة المائدة، قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٦﴾ «جامع البيان» ٦/ ١٢٦.

المبحث الرابع:

اختيار القراءة لكون المعنى الراجح على وفقها

معنى هذا الضابط:

أن الطبري يذكر خلاف أهل التأويل في تفسير آية معينة، وبعد أن ينظر في تلك الآراء والأقوال التفسيرية، ويعرضها على قواعد الترجيح الثابتة عنده، يرجح القول الذي يراه راجحًا بما ثبت لديه من أدلة، ثم يختار قراءة موافقة للقول الراجح في التفسير إن كان في الآية المفسرة خلاف للقَرَأَة.

الأمثلة التطبيقية:

المثال الأول:

قال تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [النحل: ١]

قال أبو جعفر: واختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾؛ فقرأ ذلك أهل المدينة وبعض البصريين والكوفيين: ﴿عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ بالياء على الخبر عن أهل الكفر بالله، وتوجيه للخطاب بالاستعجال إلى أصحاب رسول الله ﷺ، وكذلك قرؤوا الثانية بالياء، وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة بالتاء على توجيه الخطاب بقوله: ﴿فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ إلى أصحاب رسول ﷺ وبقوله تعالى: ﴿عما تشركون﴾ إلى المشركين.

قال أبو جعفر: والقراءة بالتاء في الحرفين جميعًا[1] على وجه الخطاب

---

(١) وهي قراءة العشرة في الحرف الأول: ﴿فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ وقراءة حمزة والكسائي وخلف في الحرف الثاني ﴿عما تشركون﴾. =

للمشركين أولى بالصواب؛ لما بينت من التأويل، أن ذلك إنما هو وعيد من الله للمشركين؛ ابتدأ أول الآية بتهديدهم، وختم آخرها بتنكير فعلهم، واستعظام كفرهم على وجه الخطاب لهم[(١)].

فالطبري قد ذكر خلاف أهل التأويل في الأمر الذي أعلم الله عباده مجيئه وقربه منهم ما هو، وأي شيء هو؟

فقال بعضهم: هو فرائضه وأحكامه.

وقال آخرون: بل ذلك وعيد من الله لأهل الشرك به، أخبرهم أن الساعة قد قربت، وأن عذابهم قد حضر أجله فدنا.

ثم رجح القول الثاني بقوله: وأولى القولين عندي بالصواب قول من قال: هو تهديد من الله أهل الكفر به، وبرسوله وإعلام منه لهم قرب العذاب منهم والهلاك؛ وذلك أنه عقب ذلك بقوله ﷻ: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، فدل بذلك على تقريعه المشركين، ووعيده لهم، وبعد: فإنه لم يبلغنا أن أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ استعجل فرائض قبل أن تفرض عليهم، فيقال لهم من أجل ذلك: قد جاءتكم فرائض الله فلا تستعجلوها. وأما مستعجلو العذاب من المشركين فقد كانوا كثيرًا[(٢)] ... فلما كان التأويل الراجح عنده أن ذلك تهديد من الله أهل الكفر به وبرسوله؛ اختار القراءة الموافقة للقول الراجح في التأويل، وهي القراءة بالخطاب في الحرفين جميعًا للمشركين.

= انظر «المبسوط» (٢٣٢)، «النشر» ٢/ ٢٨٢، و«إتحاف فضلاء البشر»: ٢/ ١٨٠، «البحر المحيط» ٥/ ٤٥٩.

(١) «جامع البيان» ١٤/ ٧٦.

(٢) «جامع البيان» ١٤/ ٧٥.

قال ابن أبي مريم: ﴿عما تشركون﴾ بالتاء: قرأها حمزة والكسائي؛ والوجه أنه على الخطاب، وفقًا لما قبله وهو قوله ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ بالتاء، والكل على مخاطبة الكفار[(١)]. وهكذا قال أبو زرعة في حجة من قرأ بالتاء، ثم قال عن حجة من قرأ بالياء على الابتداء بأن لهم حجتين: إحداهما: أن سعيد بن جبير قرأ: (أتى أمر الله فلا يستعجلوه) بالياء، والثانية: أن الله تعالى أنزل القرآن على محمد ﷺ، فقال محمد تنزيهًا لله: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[(٢)].

وعلى أية حال فالقراءتان ثابتتان متواترتان، ولكل منهما نصيب من الاختيار. فقد وافق الطبريَّ في اختياره أبو عبيد القاسم بن سلام، واختار أبو بحرية، وسلام، وأيوب، وأبو حاتم، ومكي القراءة بالياء[(٣)].

المثال الثاني:

قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ۚ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ ۚ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾ [النحل: ٦٢].

قال أبو جعفر: واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المصرين الكوفة والبصرة: ﴿وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾ بتخفيف الراء وفتحها، على معنى ما لم يسم فاعله من أُفْرِط فهو مُفْرَط، وقد بينت اختلاف قراءة ذلك كذلك في التأويل.

وقرأه أبو جعفر القارئ: ﴿وَأَنَّهُم مُّفَرِّطُونَ﴾ بكسر الراء وتشديدها،

---

(١) «الموضح في وجوه القراءات» ٢/ ٧٢٩.

(٢) انظر: «حجة القراءات» (٣٨٥).

(٣) «المنتهى» (٣٩١)، «الكامل» (٢٠٠/ ب)، «الإيضاح» (١٦٧/ أ) «الكشف عن وجوه القراءات» ١/ ٥١٥.

بتأويل: أنهم مُفَرِّطُونَ في أداء الواجب الذي كان لله عليهم في الدنيا، من طاعته وحقوقه، مضيعو ذلك من قول الله تعالى: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦].

وقرأ نافع بن أبي نعيم: ﴿وَأَنَّهُم مُفَرِطُونَ﴾ بكسر الراء وتخفيفها.

حدثني بذلك يونس عن ورش عنه، بتأويل: أنهم مفرطون في الذنوب والمعاصي مسرفون على أنفسهم مكثرون منها، من قولهم: أفرط فلان في القول: إذا تجاوز حده وأسرف فيه.

قال أبو جعفر: والذي هو أولى القراءات في ذلك بالصواب قراءة الذين ذكرنا قراءتهم من أهل العراق[1]؛ لموافقتها تأويل أهل التأويل الذي ذكرنا قبل، وخروج القراءات الأخرى عن تأويلهم[2].

فالطبري قبل ذكره لخلاف القَرَأَة في قوله: ﴿مُّفۡرَطُونَ﴾ ذكر خلاف المفسرين في تأويلها، ثم رجح القول بأن معنى ذلك: أنهم مخلَّفون متروكون في النار، منسيون فيها. ثم قال بعد ذلك عن حجة اختياره لهذا القول وترجيحه له: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب القول الذي اخترناه؛ وذلك أن الإفراط الذي هو بمعنى التقديم إنما يقال فيمن قدَم مَقْدَمًا لإصلاح ما يقدم إليه إلى وقت ورود من قدمه عليه، وليس بمقدم من قدم إلى النار من أهلها لإصلاح شيء فيها لوارد يرد عليها فيها، فيوافقه مصلحًا، وإنما تقدم من قدم إليها العذاب يعجل له، فإذا كان

---

(١) وهي قراءة العشرة خلا نافع وأبي جعفر.
انظر «المبسوط» (٢٦٤)، «السبعة» (٣٧٤)، «النشر» ٢/ ٣٠٤.

(٢) «جامع البيان» ١٤/ ١٢٩.

معنى ذلك الإفراط الذي هو تأويل التعجيل ففسد أن يكون له وجه في الصحة، صح المعنى الآخر، وهو الإفراط الذي بمعنى التخليف والترك، وذلك أنه يحكى عن العرب: ما أفرطت ورائي أحدًا: أي ما خلفته، وما فرطته: أي لم أخلفه[١].

وبهذا التفسير الذي اختاره الطبري ورجحه قال ابن عباس[٢]، وسعيد بن جبير[٣]، ومجاهد[٤]، وابن الأعرابي[٥]، وأبو عبيدة[٦]، والكسائي[٧]، والفراء[٨] قبله، واختاره القرطبي[٩]، وغيره[١٠].

والقراءة التي اختارها الطبري على إثر اختياره وترجيحه للمعنى: ﴿مُّفَرَّطُونَ﴾ بتخفيف الراء وفتحها؛ هي اختيار جماعة من الأئمة قبله منهم: أبو بحرية السكوني، وسلام الطويل، وأيوب بن المتوكل،

---

(١) «جامع البيان» ١٤/ ١٢٩.

(٢) انظر: «النكت والعيون» للماروردي ٣/ ١٩٦، «تفسير البغوي» ٥/ ٢٦.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٧٩، «تفسير القرآن» للسمعاني ٣/ ١٨٢، «تفسير القرطبي» ١٠/ ١٢١.

(٤) انظر: «النكت والعيون» للماوردي ٣/ ١٩٦، «تفسير القرآن» للسمعاني ٣/ ١٨٢، «تفسير القرطبي» ١٠/ ١٢١.

(٥) انظر: «تفسير القرطبي» ١٠/ ١٢١، «تفسير الشوكاني» ٣/ ٢١٦.

(٦) انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٣٦١، «تفسير الشوكاني» ٣/ ٢١٦.

(٧) «معاني القرآن» للكسائي (١٧٨)، جمع د/ عيسى شحاته، وانظر: «تفسير القرطبي» ١٠/ ١٢١.

(٨) «معاني القرآن» ٢/ ١٠٧. وانظر: «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٨٠.

(٩) «الجامع لأحكام القرآن» ١٠/ ١٢١.

(١٠) كالواحدي في «الوجيز» ١/ ٦١١.

وأبو عبيد، وأبو حاتم[(١)]، وهي اختيار مكي القيسي بعده[(٢)].

(١) انظر: «المنتهى» ص(٤٣٤)، «الكامل» (٢١١/أ)، «سوق العروس» (٢٢٣).

(٢) انظر: «الكشف عن وجوه القراءات» ٢/ ٣٨.
وانظر بقية المواضع في: سورة التوبة قوله تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٠٣﴾ «جامع البيان» ١٦/ ١٨.
سورة النور قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ... وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٣٥﴾ «جامع البيان» ١٨/ ١٤١.
سورة المعارج قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ١﴾ «جامع البيان» ٢٩/ ٦٩.

الفصل الخامس

ضابط الاختيار بدلالة السياق

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الاختيار بعموم السياق.

المبحث الثاني: اختيار القراءة لأن العطف على الأقرب أولى فتتبع به.

المبحث الثالث: اختيار القراءة لأنها متفقة مع رؤوس الآي.

التمهيد

وفيه مسألتان:

- **المسألة الأولى: تعريف السياق في اللغة والاصطلاح وبيان أنواعه.**
- **المسألة الثانية: ذكر بعض العلماء الذين اعتمدوا هذا الضابط واختاروا على وفقه.**

- **المسألة الأولى: تعريف السياق في اللغة والاصطلاح وبيان أنواعه:**

أولًا: تعريف السياق في اللغة:

قال ابن فارس: السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حدو الشيء. يقال: ساقه يسوقه سوقًا، والسَّيقة: ما استيق من الدواب، ويقال: سقت إلى امرأتي صداقها وأسقته، والسُّوق مشتقة من هذا لما يساق إليها من كل شيء، والجمع أسواق، والساق للإنسان وغيره، والجمع سوق، إنما سميت بذلك؛ لأن الماشي ينساق عليها[(١)].

وقال الراغب الأصفهاني: سَوْق الإبل جلبها وطردها، يقال: سقته فانساق ... والسوق: الموضع الذي يجلب إليه المتاع للبيع .... والسَّوِيق سمي لانسواقه في الحلق من غير مضغ[(٢)].

وقال ابن منظور: ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقًا وسياقًا، وهو سائق وسواق ... والمساوقة: المتابعة كأن بعضها يسوق بعضًا ... يقال: ولدت

---

(١) «معجم مقاييس اللغة» ١/ ٥٧٨.

(٢) «المفردات» (٢٤٩).

فلانة ثلاثة بنين على ساق واحدة، أي: بعضهم على إثر بعض، ليس بينهم جارية، وولد لفلان ثلاثة أولاد ساقًا على ساق، أي: واحد في إثر واحد ...[١].

ثانيًا: تعريف السياق اصطلاحًا:

١- عرَّف علماء البيان السياق[٢] بأنه: ما يصاحب اللفظ مما يساعد على توضيح المعنى، وقد يكون التوضيح بما ترد فيه اللفظة من الاستعمال، وقد يكون ما يصاحب اللفظ من غير الكلام مفسرًا للكلام[٣].

٢- والسياق اللغوى: هو سابق الكلام ولاحقه. فالكلام حين يراعى سياقه؛ يتوصل إلى تعيين المقصود، وتحديد المراد[٤].

وهذا التعريف هو من العناصر التي يشملها تعريف أهل اللغة البيانيين.

٣- أما السياق الاجتماعي: هو مجموع العناصر الاجتماعية، والثقافية، المتصلة بالنص الكلامي، والتي تؤثر في فهمه، وذلك يكون في أمرين:

(أ) ذكر مناسبة النص، كسبب للكلام، وهو في التفسير سبب النزول.

---

(١) «لسان العرب» ١٠/ ١٦٦.

(٢) علم البيان: هو أصول وقواعد يعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق يختلف بعضها عن بعض في وضوح الدلالة على نفس ذلك المعنى.
انظر «جواهر البلاغة» (١٩٧)، «الإيضاح في علوم البلاغة» (٢٠١)، «التبيان في علم المعاني والبديع والبيان» (١٧٩).

(٣) «المعاجم اللغوية في ضوء علم اللغة الحديث» (١١٦).

(٤) انظر: «في علم الدلالة» (٦٣).

(ب) ذكر عادات وتقاليد تضمنها، واعتبارها في توجيه الدلالات[١]
وهذا التعريف أيضًا هو من العناصر التي يشتمل عليها تعريف علماء البيان.

٤- وعُرِّف السياق في المعجم الأدبي بأنه: من الكلام أسلوبه الذي يجري عليه[٢].

٥- أما السياق في التفسير فهو: بيان اللفظ أو الجملة في الآية، بما لا يخرجه عن السابق واللاحق، إلَّا بدليل صحيح يجب التسليم له[٣].
فهو: تتابع الكلام وتساوقه من أوله إلى آخره، بكيفية معينة، يتوصل بها إلى المعنى المراد، ما لم يصرفه صارف قوي.

ثالثًا: أنواع السياق القرآني:

السياق القرآني نوعان: سباق، ولحاق.

النوع الأول: السباق:

١- السباق في اللغة: قال ابن فارس: السين والباء والقاف أصل واحد صحيح يدل على التقديم[٤].
وقال الكفوي: والسِّباق -بالموحدة- ما قبل الشيء[٥]. فالسَّبْق يعني: التقدم.

---

(١) انظر: «علم الدلالة» (٧٤).
(٢) «المعجم الأدبي» (١٤٣).
(٣) «دلالة السياق القرآني وأثره في التفسير» ١/ ٦٢.
(٤) «معجم مقاييس اللغة» ١/ ٥٨٤.
(٥) «الكليات» (٥٠٨).

٢- السباق في الاصطلاح: هو الكلام الذي يبين معنى ما بعده[١].

النوع الثاني: اللحاق:

١- اللحاق لغة: قال ابن فارس: اللام والحاء والقاف، أصل يدل على إدراك شيء وبلوغه إلى غيره.

يقال: لحق فلان فلانًا فهو لاحق، وألحق بمعناه ...

وربما قالوا: لحقته: اتَّبَعته ... [٢]

واللَّحَق: كل شيء لحق شيئًا أو لُحِقَ به[٣].

٢- تعريف اللحاق اصطلاحًا:

هو: الكلام الذي يبين معنى ما قبله[٤].

فالسباق واللحاق مجتمعين سياق.

قال الكفوي بعد أن ذكر السباق بالموحدة: والسياق -بالمثناة- أعم[٥].

اعتماد الطبري لضابط الاختيار بدلالة السياق:

إلى جانب اشتراط التواتر كان الطبري يعتمد على هذا الضابط في الاختيار لبعض القراءات، فإذا كانت العلاقات السياقية والأسلوب متسقة مع قراءة معينة، فإنها هي المختارة عند أبي جعفر رَحِمَهُ اللَّهُ، فنجده يختار قراءة لدلالة عموم السياق عليها، وأحيانًا يختار قراءة لدلالة السباق

---

(١) «دلالة السياق القرآني وأثره في التفسير» ١/ ٦٤.

(٢) «معجم مقاييس اللغة» ٢/ ٤٧٢.

(٣) «لسان العرب» ١٠/ ٣٢٧.

(٤) «دلالة السياق وأثره في التفسير» ١/ ٦٥.

(٥) «الكليات» (٥٠٨).

عليها، ومرة ثالثة لدلالة اللحاق، أو لموافقة رؤوس الآي، أو لأن العطف على الأقرب أولى، وفي الأمثلة التطبيقية سيتضح اهتمام الطبري بهذا الضابط واعتماده عليه في الاختيار والترجيح.

* * *

- المسألة الثانية: ذكر بعض العلماء الذين اعتمدوا هذا الضابط واختاروا على وفقه:

لقد نبه على هذا الضابط بعض الأئمة، وألمع إليه آخرون باختيارهم بعض القراءات على وفقه، ومن هؤلاء الأئمة:

١- أبو عبد الله مسلم بن يسار[(١)] (ت: ١٠٠هـ):

فقد قرر هذا الضابط بقوله: إذا حدثت عن الله حديثًا فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده[(٢)]. وهذا وإن لم يكن يقصد به الاختيار في القراءات، فإنه يحث على الاهتمام بالسياق، وخاصة في القرآن الكريم.

٢- ومنهم أبو زكريا الفراء (ت: ٢٠٧هـ):

فقد ألمع إلى هذا الضابط باختياره بعض القراءات على وفقه. فبعد أن ذكر خلاف القراء في قراءة قوله تعالى: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾ [الغاشية: ١١]. مال إلى القراءة بالتاء: ﴿لَا تُسْمَعُ﴾، قال: وكأنه للقراءة موافق؛ لأن رؤوس الآيات أكثرها بالرفع[(٣)].

٣- ومنهم أبو عبيد القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤هـ):

فقد اختار على وفق هذا الضابط في مواضع كثيرة، فقد اختار القراءة بتشديد اللام في قوله تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ﴾ [النمل: ٢٥]؛ لأن بعض التفسير فيه: وزين لهم الشيطان ألا يسجدوا، وقال: والتخفيف وجه حسن إلَّا أن فيه انقطاع الخبر الذي كان من أمر سبأ وقومها، ثم يرجع

---

(١) مسلم بن يسار البصري، أبو عبد الله تابعي، فقيه، ناسك، من رجال الحديث، توفى سنة: (١٠٠). انظر: «مشاهير علماء الأمصار» (٨٨)، «حلية الأولياء» ٢/ ٢٩٠، «سير أعلام النبلاء» ٤/ ٥١٠، «تهذيب التهذيب» ١٠/ ١٢٨.

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» ١/ ٦. (٣) «معاني القرآن» ٣/ ٢٥٨.

بعد إلى ذكرهم، وقال: والقراءة الأولى خبر يتبع بعضه بعضًا لا انقطاع في وسطه [يريد قراءة التشديد] (١).

واختار أبو عبيد: ﴿وَقَدْ أَخَذَ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الحديد: ٨]، بفتح الألف والخاء، وقال عن علة اختياره: لأن الأمة عليها، ولأن ذكر الله جل وعز قبل الآية وبعدها(٢). وهذا اختيار للسباق واللحاق.

وعند قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ [المزمل: ٢٠]. قال أبو عبيد: الاختيار الخفض في ﴿نِّصْفَهُۥ﴾ و﴿وَثُلُثَهُۥ﴾؛ لأن الله تعالى قال: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ﴾، فكيف يقدرون على أن يعرفوا نصفه وثلثه(٣). وهذا اختيار للحاق.

٤- **ومنهم أبو جعفر النحاس (ت: ٣٣٨هـ):**

فقد ألمع إلى هذا الضابط باختياره بعض القراءات على وفقه، فقد ذكر أبو جعفر خلاف القراء في قراءة قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، ثم قال: الفتح في هذا أولى؛ لأن الغُرفة بالضم هي ملء الشيء يقع للقليل والكثير، والغَرفة بالفتح المرة الواحدة، وسياق الكلام يدل على القليل فالفتح أشبه(٤).

وذكر أبو جعفر النحاس خلاف القراء في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣]، ثم اختار القراءة التي

---

(١) انظر: «إيضاح الوقف والابتداء» ١/ ١٧٣.

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٤/ ٣٥٢.

(٣) انظر: «حجة القراءات» لأبي زرعة (٧٣٢)، «إعراب القراءات السبع» ٢/ ٤٠٧.

(٤) «إعراب القرآن» ١/ ٣٢٧.

عليها جمهور القراء: ﴿كَاتِبًا﴾ وقال: وقلما يخرج عن قراءة العامة إلَّا كان فيه مطعن، ونسق الكلام يدل على كاتب، قال تعالى قبل هذا: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾، و(كُتَّاب) يقتضي جماعة[١]. وهذا اختيار للسياق كما هو بين.

٥- **ومنهم أبو عبد الله ابن خالويه (ت: ٣٧٠هـ):**

فقد اختار على وفق هذا الضابط في مواضع كثيرة جدًّا في كتابه «إعراب القراءات السبع»، فاختار القراءة بالتثقيل في قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾ [القمر: ٦]، حيث قال: وهو الاختيار؛ لأن رؤوس الآي في ﴿ٱقْتَرَبَتِ﴾ مثقلة نحو ﴿عَذَابِي وَنُذُرِ﴾[٢] [القمر: ١٦]، واختار قراءة الجمهور: ﴿لَهَبٍ﴾ بالفتح، من قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١]، حيث قال: فالاختيار الفتح ليوافق رؤوس الآي ﴿ٱلْحَطَبِ﴾، و﴿مَّسَدٍ﴾، و﴿يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾[٣].

٦- **ومنهم أبو محمد مكي القيسي (ت: ٤٣٧هـ):**

فقد اعتمد هذا الضابط؛ وذلك باختياره بعض القراءات على وفقه في مواضع كثيرة جدًا من «كشفه».

فعند قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ٥٧]، ذكر خلاف القراء في قوله: ﴿فَيُوَفِّيهِمْ﴾ فقرأها حفص بالياء، وقرأها الباقون بالنون، ثم قال في الاحتجاج للقراءة بالنون: وحجة من قرأ بالنون أنه حمله على

---

(١) «إعراب القرآن» ١/ ٣٤٨.
(٢) «إعراب القراءات السبع» ١/ ٤٠٦.
(٣) «إعراب القراءات السبع» ٢/ ٥٤٢.

الإخبار عن الله جل ذكره، ولأن قبله إخبارًا عنه، وأيضًا في قوله: ﴿فَأُعَذِّبُهُمْ﴾ [آل عمران: ٥٦]، والنون في الإخبار كالهمزة في الإخبار، وأيضًا فإن بعده إخبارًا أيضًا في قوله: ﴿نَتْلُوهُ﴾ [آل عمران: ٥٨]، فحمل الكلام على نظام واحد، أوسطه كأوله وآخره وهو الاختيار؛ لإجماع القراء عليه، ولما ذكرنا من تطابق الكلام وتجانسه(١).

وعند قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾ [الفرقان: ١٧]، ذكر خلاف القراء في قوله ﴿فَيَقُولُ﴾، فقال: قرأه ابن عامر بالنون .... وقرأ الباقون بالياء، ردوه على لفظ الغيبة والإخبار عن الله جل ذكره في قوله: ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾. وهو الاختيار، ويقوي ذلك أن قبله: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا﴾ [الفرقان: ١٦]، فجرى ﴿فَيَقُولُ﴾ على ذلك، أي: فيقول ربك. ويقوي ذلك أيضًا أن قبله: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ بالياء: في قراءة ابن كثير وحفص، رداه على ما قبله من لفظ الغيبة؛ ولأن بعده ﴿فَيَقُولُ﴾ بالياء في قراءة أكثر القراء إلَّا ابن عامر فحمل الفعلين على لفظ واحد(٢).

٧- **ومنهم أبو القاسم الهذلي: (ت: ٤٦٥هـ):**

فقد اختار في «كامله» بعض القراءات على وفق هذه الضابط، فاختار الرفع في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ﴾ [البقرة: ٢١٤]، حيث قال: وهو الاختيار لقوله: ﴿وَزُلْزِلُوا۟﴾ ليطابق الماضي الماضي(٣).

---

(١) «الكشف عن وجوه القراءات» ١/ ٣٤٥.

(٢) «الكشف عن وجوه القراءات» ٢/ ١٤٤.

(٣) «الكامل» (١٦٨/ ب)

٨- **ومنهم أبو العباس شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ):**

حيث قرر هذا الضابط، ولكن في جميع العلوم وليس في القراءات فحسب، فقال: فإن الدلالة في كل موضع بحسب سياقه، وما يحف به من القرائن اللفظية والحالية[١].

ثم قال: فمن تدبر ما ورد في باب أسماء الله تعالى وصفاته، وأن دلالة ذلك في بعض المواضع على ذات الله أو بعض صفاته، لا يوجب أن يكون ذلك هو مدلول اللفظ حيث ورد، حتى يكون ذلك طردًا للمثبت، ونقضًا للنافي، بل ينظر في كل آية وحديث، بخصوصه وسياقه، وما يبين معناه من القرائن والدلالات، فهذا أصل عظيم مهم نافع في باب فهم الكتاب والسنة، والاستدلال بهما مطلقًا، ونافع في معرفة الاستدلال، والاعتراض، والجواب، وطرد الدليل ونقضه، فهو نافع في كل علم خبري أو إنشائي، وفي كل استدلال أو معارضة من الكتاب والسنة، وفي سائر أدلة الخلق[٢].

٩- **ومنهم أبو عبد الله ابن القيم (ت: ٧٥١هـ):**

فهو يقرر أهمية هذا الضابط في جميع العلوم كشيخه ابن تيمية حيث قال: السياق: يرشد إلى تبيين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة.

---

(١) «مجموع الفتاوي» ٦/ ١٤.

(٢) «مجموع الفتاوى» ٦/ ١٨.

وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته. فانظر إلى قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩]، كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير[(١)].

١٠- ومنهم أبو إسحاق الشاطبي[(٢)] (ت: ٧٩٠هـ):

فقد قرر أهمية السياق، وأنه المعول عليه في الفهم فقال: إن المساقات تختلف باختلاف الأحوال، والأوقات والنوازل، وهذا معلوم في علم المعاني والبيان، فالذي يكون على بال من المستمع والمتفهم، الالتفات إلى أول الكلام وآخره، بحسب القضية، وما اقتضاه الحال فيها، لا ينظر إلى أولها دون آخرها، ولا آخرها دون أولها، فإن القضية وإن اشتملت على جمل فبعضها متعلق بالبعض؛ لأنها قضية واحدة، نازلة في شيء واحد، فلا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على أوله، وأوله إلى آخره[(٣)].

(١) «بدائع الفوائد» ٤/ ٩.

(٢) إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، أصولي حافظ، كان من أئمة المالكية توفي سنة: (٧٩٠هـ).
انظر: «نيل الابتهاج» للتنبكتي (٤٦)، «شجرة النور الزكية» (٢٣١)، «هدية العارفين» ٥/ ١٨، «الأعلام» ١/ ٧٥.

(٣) «الموافقات» ٤/ ٢٦٦.

المبحث الأول

الاختيار بعموم السياق

وفيه ثلاث مطالب:

- ⋆ **المطلب الأول: اختيار القراءة لدلالة السباق واللحاق.**
- ⋆ **المطلب الثاني: اختيار القراءة لدلالة السباق.**
- ⋆ **المطلب الثالث: اختيار القراءة لدلالة اللحاق.**

⋆ المطلب الأول: اختيار القراءة لدلالة السباق واللحاق:

الأمثلة التطبيقية:

المثال الأول:

قال تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

قال أبو جعفر: اختلفت القَرَأَة في قراءة قوله: ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ﴾. فقرأه بعضهم: ﴿قال اعلم﴾ على معنى الأمر بوصل الألف من ﴿وَاعْلَمْ﴾، وجزم الميم منها، وهي قراءة عامة قراء أهل الكوفة ...

وقرأ ذلك آخرون: ﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ على وجه الخبر عن نفسه للمتكلم به، بهمز ألف ﴿أَعْلَمُ﴾ وقطعها، ورفع الميم، بمعنى: فلما تبين له ما تبين من قدرة الله وعظيم سلطانه بمعاينته ما عاينه، قال المُتَبَيِّن ذلك: أعلم الآن أنا، أن الله على كل شيء قدير. وبذلك قرأ عامة قَرَأَةِ أهل المدينة، وبعض قَرَأَة أهل العراق ...

قال أبو جعفر: وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأ ﴿ٱعلم﴾ بوصل الألف، وجزم الميم[1]، على وجه الأمر من الله تعالى ذكره للذي قد أحياه بعد مماته، بالأمر بأن يعلم أن الله الذي أراه بعينيه ما أراه من عظيم قدرته وسلطانه، من إحيائه إياه وحماره بعد موت مئة عام وبلائه، حتى عادا كهيئتهما يوم قبض أرواحهما، وحفظه عليه طعامه وشرابه مائة عام حتى رده عليه كهيئته يوم وضعه غير متغير؛ على كل شيء قادر كذلك.

وإنما اخترنا قراءة ذلك كذلك، وحكمنا له بالصواب دون غيره؛ لأن ما قبله من الكلام أمر من الله تعالى ذكره، قولًا للذي أحياه الله بعد مماته، وخطابًا له به، وذلك قوله: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ ... ﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ فلما تبين له ذلك جوابًا عن مسألته ربه ﴿قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ قال الله له: ﴿اعلم أن الله﴾ الذي فعل هذه الأشياء على ما رأيت، على غير ذلك من الأشياء قدير كقدرته على ما رأيت وأمثاله، كما قال تعالى ذكره لخليله إبراهيم عليه السلام بعد أن أجابه

---

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي.

انظر «المبسوط» (١٥١)، «السبعة» (١٨٩)، «النشر» ٢/ ٢٣١.

عن مسألته إياه في قوله ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾، ﴿وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠] فأمر إبراهيم بأن يعلم بعد أن أراه كيفية إحيائه الموتى، أنه عزيز حكيم، فكذلك أمر الذي سأل فقال ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾؟ بعد أن أراه كيفية إحيائه إياها أن يعلم أن الله على كل شيء قدير(١).

فالطبري في هذا الموضع اختار القراءة التي يؤيدها السباق واللحاق، فالسباق: هو ما حصل للرجل من استبعاد إحياء الله للبلدة بعد موتها، وما جعل الله منه من العبرة، وقد سأل ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾؟ فكان الأولى أن يكون ﴿اعْلَم﴾ ردًّا منه على سؤاله، وجوابًا من الله بعد أن استبعد قدرته، واللحاق: ما حصل في قصة الخليل إبراهيم عليه السلام حيث أمره الله تعالى بقوله: ﴿وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

والقراءة التي اختارها الطبري هي قراءة ابن عباس واحتج ابن عباس لقراءته بالسياق كذلك فقال: أهو خير من إبراهيم وأفقه؟ فقد قيل له: ﴿وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٢) فهذا احتجاج من ابن عباس باللحاق.

ولنفس الحجة اختارها أبو العباس المبرد حيث قال: ونحن نذهب به إلى الجزم -يريد القراءة بصيغة الأمر-؛ لأن من قرأ به أكثر، على أنه قيل لإبراهيم: ﴿وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٣)، وليس هذا الرجل خيرًا من إبراهيم حتى لا يؤمر. واختار الفراء القراءة بقطع الهمز، فقال: والعامة تقرأ: ﴿أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ﴾، وهو وجه حسن؛ لأن المعنى كقول الرجل عند القدرة تتبين له من

---

(١) «جامع البيان» ٣/ ٤٦، تحقيق شاكر ٥/ ٤٨١.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٧٤.

(٣) انظر: «معاني القراءات» للأزهري ١/ ٢٢٣.

أمر الله: أشهد أن لا إله إلَّا الله، والوجه الآخر أيضًا بين[١].

وقال الأخفش الأوسط: والجزم أجود في المعنى؛ إلَّا أنه أقل في القراءة، والرفع قراءة العامة، وبه نقرأ[٢].

وقال مكي: والقراءة بالقطع هي الاختيار؛ لأنه على ظاهر الكلام، لما تبين له ما كان على شك فيه، أخبر عن نفسه بالعلم اليقين[٣].

وهي كذلك -أعني: قراءة القطع- اختيار الأئمة من أهل الاختيار كأبي بحرية، وسلام، وأيوب، وأبي عبيد، وأبي حاتم[٤].

المثال الثاني:

قال تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٤٢].

قال أبو جعفر: واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته قَرَأَة المدينة وبعض البصرة: ﴿وسيعلم الكافر﴾ على التوحيد.

وأما قَرَأَة الكوفة فإنهم قرءوه ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ﴾ على الجمع.

قال أبو جعفر: والصواب من القراءة في ذلك، القراءة على الجميع: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ﴾[٥]؛ لأن الخبر جرى قبل ذلك عن جماعتهم، وأتبع بعده

---

(١) «معاني القرآن» ١/ ١٧٤.

(٢) «معاني القرآن» ١/ ١٩٨.

(٣) «الكشف عن وجوه القراءات» ١/ ٣١٢.

(٤) انظر: «الغاية» (٢٠٣)، «المنتهى» ص(٢٧٩)، «الكامل» (١٧١/أ)، «سوق العروس» (١٨٢).

(٥) وهي قراءة ابن عامر، وعاصم وحمزة والكسائي وخلف ويعقوب.
انظر «المبسوط» (٢٥٥)، «السبعة» (٣٥٩)، «النشر» ٢/ ٢٩٨.

الخبر عنهم، وذلك قوله: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ [الرعد: ٤٠]، وبعده قوله: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ [الرعد: ٤٣]، وقد ذكروا أنها في قراءة ابن مسعود: (وسيعلم الكافرون)، وفي قراءة أُبَيّ: (وسيعلم الذين كفروا) وذلك كله دليل على صحة ما اخترنا من القراءة في ذلك(١).

فاختار الطبري القراءة التي يؤيدها عموم السياق، فقد سبق القراءة بالجمع الخبر عن جمع من الكفار في قوله: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾، ولحقها أيضًا القول المنسوب إلى جمع من الكافرين: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا﴾، وما كان بينهما يكون عن جمع أيضًا وهذا هو الأولى، قال ابن زنجلة في «الحجة» لهذه القراءة: وحجتهم في ذلك أن الكلام أتى عقيب قوله: ﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ ثم قال: ﴿وسيعلم الكفَّارُ﴾ بلفظ ما تقدمه؛ ليأتلف الكلام على سياق واحد. وفي التنزيل ما يقوي هذا وهو قوله: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾(٢) [الشعراء: ٢٢٧].

وقال مكي: والقراءتان ترجع إلى معنى واحد؛ لأن الجمع يدل بلفظه على الكثرة، والواحد الذي للجنس يدل بلفظه على الكثرة، فهما سواء(٣).

وقد اختار القراءة بالجمع جماعة من أئمة الاختيار منهم: أبو بحرية السكوني، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وأبو حاتم السجستاني، واختار القراءة بالتوحيد: سلام بن سليمان الطويل، وأيوب بن المتوكل(٤).

---

(١) «جامع البيان» ٣/ ١٧٥، تحقيق شاكر ٦/ ٤٩٩.

(٢) «حجة القراءات» (٣٧٥). (٣) «الكشف عن وجوه القراءات» ٢/ ٢٤.

(٤) انظر: «الغاية» (٢٩٢)، «المنتهى» (٤٢١)، «الكامل» (٢٠٨/أ)، «سوق العروس» (٢٢٠). =

★ **المطلب الثاني: اختيار القراءة لدلالة السباق:**

الأمثلة التطبيقية:

المثال الأول:

قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣].

قال أبو جعفر: اختلفت القَرَأَة في قراءة ذلك:

فقرأته عامة قَرَأَة الحجاز من مكة والمدينة، وقَرَأَة الكوفة: ﴿أفغير دين الله تبغون﴾، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ على وجه الخطاب.

وقرأ ذلك بعض أهل الحجاز: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ ... وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ بالياء كلتيهما على وجه الخبر عن الغائب.

وقرأ ذلك بعض أهل البصرة: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾ على وجه الخبر عن الغائب، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، بالتاء على وجه الخطاب.

= وانظر بقية المواضع في:

سورة البقرة قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ «جامع البيان» ٣/ ١٥٢.

سورة يوسف، قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾ «جامع البيان» ١٣/ ٨٥.

سورة القصص، قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ «جامع البيان» ٢٠/ ٨٥.

سورة الصافات، قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ «جامع البيان» ٢٣/ ٩٤.

قال أبو جعفر: وأولى ذلك بالصواب، قراءة من قرأ: ﴿أفغير دين الله تبغون﴾، على وجه الخطاب ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بالتاء[١].

لأن الآية قبلها خطاب لهم، فإتباع الخطاب نظيره أولى من صرف الكلام إلى غير نظيره، وإن كان الوجه الآخر جائزًا؛ لما قد ذكرنا فيما مضى قبل: من أن الحكاية يخرج الكلام معها أحيانًا على الخطاب كله، وأحيانًا على وجه الخبر عن الغائب، وأحيانًا بعضه على الخطاب وبعضه على الغيبة، فقوله: ﴿تبغون﴾ ﴿وإليه تُرجَعونَ﴾ في هذه الآية من ذلك[٢].

وهنا اختار الطبري القراءة التي يؤيدها السباق، فما قبل القراءة المختارة خطاب من الله ﷻ لجميع الأمم باتباع محمد ﷺ والتصديق بجميع رسل الله، وأن من لم تكن هذه صفته فهو من الفاسقين، والقراءة المختارة على وجه الخطاب أيضًا، فيتبع الخطاب نظيره، وهذا أولى من صرف الكلام إلى غير نظيره.

قال أبو العباس المبرد: الاختيار في كله التاء؛ ليكون الخطاب على الأول، وكل جائز؛ لأن الحكاية تخرج على الخطاب كله، وعلى الغيبة كلها، وبعضها على الخطاب، وبعض على الغيبة، وهذا منها إن شاء الله[٣].

وقال ابن النحاس: من قرأ ﴿يَبْغُونَ﴾ بالياء، فالكلام عنده متناسق؛

---

(١) وهي قراءة العشرة خلا أبي عمرو وحفص عن عاصم ويعقوب، انظر: «المبسوط» (١٦٧)، «السبعة» (٢١٤)، «النشر» ٢/ ٢٤١.

(٢) «جامع البيان» ٣/ ٣٣٥، تحقيق شاكر ٦/ ٥٦٣.

(٣) «معاني القراءات» ١/ ٢٦٨.

لأن قبله ﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٨٢﴾.

إذن للقراءة بالتاء دلالة سباق، وللقراءة بالياء دلالة سباق أيضًا، وقد اختار القراءة بالتاء جماعة من الأئمة منهم: أبو بحرية السكوني، وأيوب بن المتوكل، وأبو عبيد القاسم بن سلام. واختار القراءة بالياء: سلام بن سليمان الطويل، وأبو حاتم السجستاني[1].

المثال الثاني:

قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩].

قال أبو جعفر: اختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ فقرأ ذلك بعض قراء البصرة: ﴿وهم من فَزَعِ يومئذ آمنون﴾ بإضافة فزع إلى اليوم.

وقرأ ذلك جماعة قراء أهل الكوفة: ﴿مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ﴾ بتنوين ﴿فَزَعٖ﴾.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان مشهورتان في قَرَأَة الأمصار متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، غير أن الإضافة أعجب إلي[2]؛ لأنه فزع معلوم، إذا كان ذلك كذلك كان معرفة على أن ذلك في سياق قوله: ﴿وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٨٧]، فإذا كان ذلك كذلك، فمعلوم أنه عني بقوله: ﴿وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ من الفزع الذي قد جرى ذكره قبله.

---

(١) انظر: «الغاية» (٢١٦)، «المنتهى» (٣٠٢)، «الكامل» (١٧٥/ب)، «سوق العروس» (١٨٩).

(٢) وهي قراءة العشرة خلا عاصم وحمزة والكسائي وخلف انظر «المبسوط» (٣٣٦)، «السبعة» (٤٨٧)، «النشر» ٢/ ٣٤٠.

وإذا كان ذلك كذلك، كان لا شك أنه معرفة، وأن الإضافة إذا كان معرفة به أولى من ترك الإضافة؛ وأخرى أن ذلك إذا أضيف فهو أبين أنه خبر عن أمانة من كل أهوال ذلك اليوم منه إذا لم يضف ذلك، وذلك أنه إذا لم يضف كان الأغلب عليه أنه جعل الأمان من فزع بعض أحواله[١].

فالطبري في هذا الموضع اختار القراءة بالإضافة، وأعجب بها لأمرين:

الأول: أن الفزع ذكر قبلها في ذكر اليوم الآخر، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾ والقراءة المختارة في سياقها حتى لا يكون فزع دون فزع.

الثاني: أن قراءة الإضافة أعم وأبين في المعنى.

قال الفراء: والإضافة أعجب إليّ، وإن كنت أقرأ بالنصب ﴿يَوْمَئِذٍ﴾؛ لأنه فزع معلوم، ألا ترى أنه قال: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾، فصيره معرفة، فأن أضيفه فيكون معرفة أعجب إلي، وهو صواب[٢].

واختار أبو عبيد القاسم بن سلام القراءة بالإضافة أيضًا حيث قال: وهذا أعجب إليّ؛ لأنه أعم التأويلين أن يكون الأمن من جميع فزع ذلك اليوم، وإذا قال: ﴿مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ﴾ صار كأنه فزع دون فزع[٣].

وقال مكي: وترك التنوين الاختيار؛ لأنه أخف، ولأن الأكثر عليه[٤].

---

(١) «جامع البيان» ٢٠/ ٢٤.

(٢) «معاني القرآن» ٢/ ٣٠١.

(٣) انظر: «تفسير القرطبي» ١٣/ ٢٤٥.

(٤) «الكشف عن وجوه القراءات» ٢/ ١٧٠.

وهي -أعني القراءة بترك التنوين- اختيار أبي بحرية السكوني، وسلام ابن سليمان الطويل، وأيوب بن المتوكل، وأبي حاتم السجستاني[١].

---

(١) انظر: «الغاية» (٣٥٠)، «المنتهى» (٥١٨)، «الكامل» (٢٠٤/أ)، «سوق العروس» (٢٤٤).

انظر بقية المواضع في: سورة البقرة: قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ١١٩﴾ «جامع البيان» ١/ ٥١٥، وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ ... وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٢٣٣﴾ «جامع البيان» ٢/ ٤٩٥.

سورة آل عمران قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ ... ٧٩﴾ «جامع البيان» ٣/ ٣٢٧، وقوله تعال: ﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ٨٣﴾ «جامع البيان» ٣/ ٣٣٥، وقوله تعال: ﴿وَمَا يَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلَن يُكۡفَرُوهُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ١١٥﴾ «جامع البيان» ٤/ ٥٧، وقوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ... ١٤٦﴾ «جامع البيان» ٤/ ١١٦.

سورة النساء: قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ ... إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١١﴾ «جامع البيان» ٤/ ٢٨١، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ... ١٣٦﴾ «جامع البيان» ٥/ ٣٣١.

سورة الأنعام قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٧﴾ «جامع البيان» ٧/ ١٧٥، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٥٥﴾ «جامع البيان» ٧/ ٢٠٩، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٩٩﴾ «جامع البيان» ٧/ ٢٩٤، وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تَأۡكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَقَدۡ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيۡكُمۡ إِلَّا مَا ٱضۡطُرِرۡتُمۡ إِلَيۡهِۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا لَّيُضِلُّونَ بِأَهۡوَآئِهِم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُعۡتَدِينَ ١١٩﴾ «جامع البيان» ٨/ ١٣.

سورة الأعراف، قوله تعالى: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ٤٩﴾ «جامع البيان» ٩/ ٦٣.

.....

* * *

سورة التوبة: قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ «جامع البيان» ١١/ ١٨.

سورة الرعد: قوله تعالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ... إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ «جامع البيان» ١٣/ ١٠٢.

سورة النمل، قوله تعالى: ﴿طسٓ ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾﴾ «جامع البيان» ١٤/ ٧٦، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾﴾ «جامع البيان» ١٤/ ١١٤.

سورة الإسراء: قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾﴾ «جامع البيان» ١٥/ ٥٢.

سورة طه، قوله تعالى: ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ «جامع البيان» ١٦/ ٢٢٣.

سورة الحج قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ «جامع البيان» ١٧/ ١٩٦.

سورة يس: قوله تعالى: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾﴾ «جامع البيان» ٢٣/ ٢٧.

سورة الشورى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ «جامع البيان» ٢٥/ ٢٨.

سورة الجاثية: قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ «جامع البيان» ٢٥/ ١٤١.

★ **المطلب الثالث: اختيار القراءة لدلالة اللحاق :**

الأمثلة التطبيقية:

المثال الأول:

قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٢].

قال أبو جعفر: اختلفت القَرَأَة في ذلك:

فقرأ بعضهم: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ﴾ بالتاء، على وجه الخطاب للذين كفروا بأنهم سيغلبون، واحتجوا لاختيارهم قراءة ذلك بالتاء بقوله: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ﴾ [آل عمران: ١٣]، قالوا: ففي ذلك دليل على أن قوله: ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾ كذلك، خطاب لهم. وذلك هو قراءة عامة قَرَأَة الحجاز والبصرة وبعض الكوفيين. وقد يجوز لمن كانت نيته في هذه الآية: أن الموعودين بأن يغلبوا هم الذين أُمِرَ النبي ﷺ بأن يقول ذلك لهم، أن يقرأه بالياء والتاء؛ لأن الخطاب بالوحي حين نزل لغيرهم. فيكون نظير قول القائل في الكلام: قلت للقوم: إنكم مغلوبون، وقلت لهم: إنهم مغلوبون. وقد ذكر أنها في قراءة عبد الله: (قل للذين كفروا إن تنتهوا يغفر لكم) [الأنفال: ٣٨]، وهي في قراءتنا: ﴿إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم﴾.

وقرأت ذلك جماعة من قَرَأَة أهل الكوفة: ﴿سيغلبون ويحشرون﴾، على معنى: قل لليهود: سيغلب مشركو العرب ويحشرون إلى جهنم، ومن قرأ ذلك كذلك على هذا التأويل، لم يجز في قراءته غير الياء.

قال أبو جعفر: والذي نختار من القراءة في ذلك قراءة من قرأه بالتاء[١]، بمعنى: قل يا محمد للذين كفروا من يهود بني إسرائيل الذين يتبعون ما تشابه من آي الكتاب الذي أنزلته إليك ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله: ﴿سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾.

وإنما اخترنا قراءة ذلك كذلك، على قراءته بالياء؛ لدلالة قوله: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [آل عمران: ١٣]، على أنهم بقوله: ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾ مخاطبون خطابهم بقوله: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ﴾، فكان إلحاق الخطاب بمثله من الخطاب أولى من الخطاب بخلافه من الخبر عن غائب[٢].

فاختار أبو جعفر في هذا الموضوع القراءة التي يؤيدها اللحاق. فالقراءة بالتاء خطاب للذين كفروا من يهود بني إسرائيل، والآية اللاحقة: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾ هي على وجه الخطاب أيضًا، فكان إلحاق الخطاب بالخطاب أولى؛ ليستقيم الكلام على نسق واحد.

قال الفراء: ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾، تقرأ بالتاء والياء. فمن جعلها بالياء، فإنه ذهب إلى مخاطبة اليهود، وإلى أن الغلبة على المشركين بعد يوم أحد، وذلك أن النبي ﷺ لما هزم المشركين يوم بدر، وهم ثلاثمائة ونيف، والمشركون ألف إلَّا شيئًا، قالت اليهود: هذا الذي لا ترد له راية، فصدِّقوا. فقال بعضهم: لا تعجلوا بتصديقه حتى تكون وقعة أخرى. فلما

---

(١) وهي قراءة العشرة خلا حمزة والكسائي وخلفًا. انظر «المبسوط» (١٦١)، «السبعة» (٢٠١)، «النشر» ٢/ ٢٣٨.

(٢) «جامع البيان» ٣/ ١٩١، تحقيق شاكر ٦/ ٢٢٦.

نُكب المسلمون يوم أحد كذَّبوا ورجعوا، فأنزل الله: قل لليهود سيغلب المشركون، ويحشرون إلى جهنم، فليس يجوز في هذا المعنى إلَّا بالياء.

ومن قرأ بالتاء، جعل اليهود والمشركين داخلين في الخطاب، فيجوز في هذا المعنى ﴿سَيَغْلِبُونَ﴾ و﴿سَتُغْلَبُونَ﴾، كما تقول في الكلام: قل لعبد الله: إنه قائم، وإنك قائم وفي حرف عبد الله: (قل للذين كفروا إن تنتهوا يغفر لكم) [الأنفال: ٣٨]، وفي قراءتنا: ﴿إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾، وفي الأنعام: (هذا لله بزعمهم وهذا لشركائهم) [الأنعام: ١٣٦] وفي قراءتنا ﴿لِشُرَكَآئِنَا﴾[(١)].

وقال الزجاج: القراءة ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾، وتقرأ: ﴿سَيَغْلِبُونَ﴾ فمن قرأ بالتاء فللحكاية والمخاطبة، أي: قل لهم في خطابك: ستغلبون، ومن قال: سيغلبون، فالمعنى: بلغهم أنهم سيغلبون، وهذا فيه أعظم آية للنبي ﷺ؛ لأنه أنبأهم بما لم يكن، وأنبأهم بغيب، ثم بان تصديق ما أنبأ به؛ أنه ﷺ غلبهم أجمعين كما أنبأهم[(٢)].

وقال ثعلب: الاختيار عندنا بالياء؛ لأنه جل وعز خاطب اليهود، وأخبر أن مشركي أهل مكة سيغلبون، والتفسير عليه[(٣)].

وقال أبو علي الفارسي: ويدل على حسن التاء هنا والمخاطبة، قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾ [آل عمران: ٨١]، والآية كلها على الخطاب، وكذلك قول من قرأ: ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾ بالتاء.

---

(١) «معاني القرآن» ١/ ١٩١.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ١/ ٣٨٠.

(٣) «معاني القراءات» للأزهري ١/ ٢٤٣.

وللتاء على الياء مزية ما في الحسن، وهو أنه إذا قيل: سيغلبون، فقد يمكن أن يكون المغلوبون والمحشورون من غير المخاطبين، وأنهم قوم آخرون، فإذا كان بالخطاب، لم يجز أن يظن هذا[١].

وقد سبق الطبريَّ إلى اختيار هذه القراءة جماعةٌ من أئمة الاختيار منهم: أبو بحرية السكوني، وسلام الطويل، وأيوب بن المتوكل، وأبو عبيد، أبو حاتم[٢]، وتابعه مكي القيسي[٣].

المثال الثاني:

قال تعالى: ﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الأنعام: ١٦]، قال أبو جعفر: اختلف القَرَأَة في قراءة ذلك: فقرأته عامة قراء الحجاز والمدينة والبصرة: ﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ﴾، بضم الياء وفتح الراء، بمعنى: من يصرف عنه العذاب يومئذ.

وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة: ﴿من يَصْرِف عنه﴾، بفتح الياء وكسر الراء، بمعنى: من يصرف الله عنه العذاب يومئذ.

قال أبو جعفر: وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندي، قراءة من قرأ: ﴿يَصْرِف عنه﴾، بفتح الياء وكسر الراء[٤]؛ لدلالة قوله: ﴿فَقَدْ رَحِمَهُۥ﴾ على صحة ذلك، وأن القراءة فيها بتسمية فاعله، ولو كانت

---

(١) «الحجة للقراء السبعة» ٢/ ١٨.

(٢) انظر: «الغاية» (٢٠٩)، «المنتهى» (٢٩٢)، «الكامل» (١٧٣/ ب)، «سوق العروس» (١٨٦).

(٣) انظر: «الكشف عن وجوه القراءات» ١/ ٣٣٦.

(٤) وهي قراءة شعبة عن عاصم، وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف.
انظر: «المبسوط» (١٩١)، «السبعة» (٢٥٤)، «النشر» ٢/ ٢٥٧.

القراءة في قوله: ﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ﴾ على وجه ما لم يسم فاعله، كان الوجه في قوله: ﴿فَقَدْ رَحِمَهُۥ﴾، أن يقال: فقد رُحم، غير مسمى فاعله، وفي تسمية الفاعل في قوله: ﴿فَقَدْ رَحِمَهُۥ﴾ دليل بين على أن ذلك كذلك في قوله: ﴿من يَصْرِف عنه﴾[1].

فالطبري في هذا الموضع استدل باللحاق عل صحة اختياره لقراءة: ﴿يَصْرِف﴾، وأنه لو كانت القراءة ﴿مَّن يُصْرَفْ﴾ على وجه ما لم يسم فاعله لكان الوجه في قوله: ﴿فَقَدْ رَحِمَهُۥ﴾، أن يقال: فقد رُحم، غير مسمى فاعله.

قال أبو جعفر النحاس: وعلى قول سيبويه الاختيار: ﴿مَّن يُصْرَفْ﴾ بضم الياء؛ لأن سيبويه قال: وكلما قل الإضمار كان أولى، فإذا قرأ ﴿من يَصْرِف عنه﴾ بفتح الياء، فتقديره: من يصرف الله عنه العذاب، وإذا قرأ ﴿مَّن يُصْرَفْ﴾، فتقديره: من يصرف عنه العذاب[2].

وقال القرطبي: والقراءة بفتح الياء وكسر الراء اختيار أبي حاتم وأبي عبيد؛ لقوله: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢]، وقوله: ﴿فَقَدْ رَحِمَهُۥ﴾ ولم يقل رحم على المجهول، ولقراءة أبي: (من يَصْرِفه الله عنه)[3].

وأشار أبو علي الفارسي إلى تحسينه قراءة: ﴿يَصْرِف﴾ بالفتح، فقال: ومما يحسن قراءة من قرأ: ﴿يَصْرِف﴾ بفتح الياء، أن ما بعده من قوله:

---

(١) «جامع البيان» ٧/ ١٦٠

(٢) «إعراب القرآن» ٢/ ٥٩، وانظر: «تفسير القرطبي» ٦/ ٣٩٧.

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» ٦/ ٣٩٧، وانظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ٥٩، «البحر المحيط» ٤/ ٩٢.

﴿فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ﴾ فعل مسند إلى ضمير اسم الله تعالى فقد اتفق الفعلان في الإسناد إلى هذا الضمير فيمن قرأ: ﴿يَصۡرِف﴾ بفتح الياء.

ومما يقوي قراءة من قرأ: ﴿يَصۡرِف﴾ بفتح الياء، أن الهاء المحذوفة من ﴿يصرفه﴾ لما كانت في حيز الجزاء في أنه لا يتسلط على ما تقدمه، بمنزلة ما في الصلة، في أنه لا يجوز تسلطه على الموصول، حسن حذف الهاء منه، كما حسن حذفها من الصلة[١].

وقال ابن عطية معلقًا على ما تقدم: قال بعض الناس: القراءة بفتح الياء ﴿من يَصۡرِف﴾ أحسن؛ لأنه يناسب ﴿فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ﴾، وكان الأولى على القراءة الأخرى فقد رُحِمَ ليتناسب الفعلان.

قال القاضي أبو محمد: وهذا توجيه لفظي تعلقه ضعيف، وأما المعنى فالقراءتان واحد[٢].

والقراءة بفتح الياء: ﴿يَصۡرِف﴾ هي اختيار جماعة من الأئمة منهم: أبو بحرية السكوني، وسلام الطويل، وأيوب بن المتوكل، وأبو عبيد، وأبو حاتم كما تقدم[٣].

---

(١) «الحجة للقراء السبعة» ٣/ ٢٨٦.

(٢) «المحرر الوجيز» ٢/ ٢٧٤ .

(٣) انظر: «الغاية» (٢٣٨)، «إعراب القرآن للنحاس» ٢/ ٥٩، «المنتهى» (٣٣٥)، «الكامل» (١٨٧/أ)، «سوق العروس» (١٩٨)، «تفسير القرطبي» ٦/ ٣٩٧، «البحر المحيط» ٤/ ٩٢.

واختار مكي القراءة الأخرى، وقال: لأن أكثر القراء عليه، ولأنه أقل اعتمادًا من القراءة بفتح الياء(١).

---

(١) «الكشف عن وجوه القراءات» ١/ ٤٢٥. وانظر: بقية المواضع في: سورة البقرة، قوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ... وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٢٩﴾ «جامع البيان» ٢/ ٤٦٠.

سورة آل عمران، قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ... وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٦١﴾ «جامع البيان»: ٤/ ١٥٧، وقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ... فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ ١٨٧﴾ «جامع البيان» ٤/ ٢٠٤.

سورة المائدة قوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١١٢﴾ «جامع البيان» ٧/ ١٢٩.

سورة الأنعام قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ٢٣﴾ «جامع البيان» ٧/ ١٦٧. قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبۡتُم بِهِۦۚ ... ٥٧﴾ «جامع البيان» ٧/ ٢١١، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ ... ٩٨﴾ «جامع البيان» ٧/ ٢٩١.

سورة الإسراء قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾ «جامع البيان» ١٥/ ٢٥١، وقوله تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾ «جامع البيان» ١٦/ ١٠، وقوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ٩٤﴾ «جامع البيان» ١٦/ ٢٢.

المبحث الثاني:

اختيار القراءة
لأن العطف على الأقرب أولى فتتبع به

هذا الضابط الذي يتفرع عن ضابط دلالة السياق اختار أبو جعفر رَحِمَهُ اللَّهُ على وفقه في بضعة مواضع، ومن المقرر أن الأصل في العربية أن يرجع الضمير إلى أقرب مذكور، والقرآن إنما نزل بلغة العرب، والقراءات إنما هي أساس اللغة والنحو، فإذا كان ذلك كذلك، فإن أبا جعفر رَحِمَهُ اللَّهُ يقرر هذا، ويطبقه في اختياره لبعض القراءات فيختار قراءة لقربها من شيء فتعطف عليه، وتتبع به، ويقول إن ذلك هو الأولى، وسوف يَبِين ذلك من خلال الأمثلة إن شاء الله.

الأمثلة التطبيقية:

المثال الأول:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥] قال أبو جعفر: واختلفت القَرَأَة في قراءة ذلك، فقرأه بعضهم: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ بالياء، على وجه الإخبار عنهم، فكأنهم نحوا بقراءتهم معنى: ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ بالباء، يعني: عما يعلمه الذين أخبر الله عنهم أنه ليس لهم

جزاء على فعلهم إلَّا الخزي في الحياة الدنيا، ومرجعهم في الآخرة إلى أشد العذاب، وقرأه آخرون: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء على وجه المخاطبة، قال: فكأنهم نحوا بقراءتهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ﴾ يا معشر اليهود، ﴿عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ أنتم. وأعجب القراءتين إليَّ قراءة من قرأ بالياء[1] إتباعًا لقوله: ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ﴾ ولقوله: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ﴾؛ لأن قوله: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ إلى ذلك أقرب منه إلى قوله: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ فإتباعه الأقرب إليه، أولى من إلحاقه بالأبعد منه، والوجه الآخر غير بعيد من الصواب[2].

فالطبري في هذا المثال: اختار القراءة بالياء، على وجه الإخبار عنهم؛ لقربها من قوله: ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ﴾ ولبعدها عن قوله: ﴿أفتؤمنون ببعض الكتب وتكفرون ببعض﴾ التي هي على وجه الخطاب؛ لأن العطف على الأقرب أولى من إلحاقه بالأبعد منه؛ ولذا قال أبو علي الفارسي: وكل ما في القرآن من قوله: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ﴾ فهو ستة مواضع، خمسة منها في سورة البقرة[3]، وحرف في آل عمران عند

---

(١) وهي قراءة نافع وابن كثير، وشعبة عن عاصم، ويعقوب وخلف. انظر: «المبسوط» (٣١)، «السبعة» (١٦٢)، «النشر» ٢/ ٢١٨.

(٢) «جامع البيان» ١/ ٤٠١، تحقيق شاكر ٢/ ٣١٥.

(٣) قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ ... وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾، قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ ... وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾، وقوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ... =

المائة[١]، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ﴾ ثلاثة مواضع[٢]: في الأنعام، وآخر هود، وآخر النمل.

قال أبو علي: القول في جملة ذلك أن ما كان قبله خطاب جعل بالتاء، ليكون الخطاب معطوفًا على خطاب مثله، كقوله: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ﴾ ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤] فالتاء هنا حسن؛ لأن المتقدم خطاب ولو كان: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ على لفظ الغيبة، أي: وما الله بغافل عما يفعل هؤلاء الذين اقتصصنا عليكم قصصهم أيها المسلمون، لكان حسنًا، وإن كان الذي قبله غيبة حسن أن يجعل على لفظ الغيبة، ليعطف ما للغيبة على مثله، كما عطفت ما للخطاب على مثله[٣]، وقد أومأ أبو عبد الله ابن خالويه إلى هذا الكلام قبل الفارسي، لكنه اختار في هذا الموضع القراءة بالتاء، حيث قال بعد أن ذكر أن التاء والياء فيه معتدلتان: والاختيار فيه التاء لعلتين:

= وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾﴾، وقوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ... وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾﴾.

(١) قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾﴾.

(٢) سورة الأنعام: قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾﴾.

وسورة هود قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾.

وسورة النمل قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

(٣) «الحجة للقراء السبعة» ٢/ ١١٢.

إحداهما: أن رد اللفظ على اللفظ أحسن.

الثانية: أنه لما ثبت أن الله ليس بغافل عما يعمل كل أحد اعتدلت التاء والياء فيهما[١]. واختار مكي أيضًا التاء وقال: وهو الاختيار لكثرة ما قبله من الخطاب؛ ولأن أكثر القراء عليه[٢]، والقراءة بالياء في هذا الموضع اختيار جماعة من أئمة الاختيار منهم: أبو بحرية السكوني، وأيوب بن المتوكل، وأبو عبيد القاسم بن سلام، واختار القراءة بالتاء أيضًا جماعة منهم: سلام بن سليمان الطويل، وأبو حاتم السجستاني[٣].

المثال الثاني:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْۚ﴾ [المائدة: ٦] قال أبو جعفر: اختلفت القَرَأَة في قراءة ذلك: فقرأه جماعة من قَرَأَة الحجاز والعراق: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِۚ﴾ نصبًا، فتأويله: إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأرجلكم إلى الكعبين، وامسحوا برؤوسكم، وإذا قرئ كذلك، كان من المؤخر الذي معناه التقديم، وتكون الأرجل منصوبة عطفًا على الأيدي، وتأول قارئو ذلك كذلك أن الله جل ثناؤه إنما أمر عباده بغسل الأرجل دون المسح بها..

---

(١) «الحجة في القراءات السبع» (٨٢).

(٢) «الكشف عن وجوه القراءات» ١/ ٢٥٣.

(٣) انظر: «الغاية» (١٧٩)، «المنتهى» (٢٥٧)، «الكامل» (١٦١/أ)، «سوق العروس» (١٧٣).

وقرأ ذلك آخرون من قَرَأَة الحجاز والعراق: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلِكُمۡ﴾ بخفض الأرجل، وتأول قارئو ذلك كذلك أن الله إنما أمر عباده بمسح الأرجل في الوضوء دون غسلها، وجعلوا الأرجل عطفًا على الرأس، فخفضوها لذلك.

فبين صواب قَرَأَة القراءتين جميعًا، أعني: النصب في الأرجل والخفض؛ لأن في عموم الرجلين بمسحهما بالماء غسلهما، وفي إمرار اليد وما قام مقام اليد عليهما مسحهما، فوجه صواب قراءة من قرأ ذلك نصبًا، لما في ذلك من معنى عمومها بإمرار الماء عليهما. ووجه صواب قراءة من قرأه خفضًا لما في ذلك من إمرار اليد عليهما، أو ما قام مقام اليد، مسحًا بهما. غير أن ذلك وإن كان كذلك، وكانت القراءتان كلتاهما حسنًا صوابًا، فأعجب القراءتين إلي أن أقرأها قراءة من قرأ ذلك خفضًا[1]؛ لما وصفت من جمع المسح المعنيين اللذين وصفت؛ ولأنه بعد قوله: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾ فالعطف به على الرؤوس، مع قربه منه، أولى من العطف به على الأيدي، وقد حيل بينه وبينها بقوله: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾[2].

فأبو جعفر في هذا الموضع، صوب معنى القراءتين، فهو يوجب غسل القدمين، ويوجب مع غسلهما دلكهما، وعبر عن الدلك بالمسح، وإذا كان قد مال إلى قراءة الخفض فإنه لا يريد أن يخالف قاعدتيه في الاختيار وهما: اختيار القراءة؛ لأنها تجمع معنى القراءات، وهذا واضح هنا في أن القراءة

---

(١) وهي قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، وشعبة عن عاصم، وحمزة، وأبي جعفر، وخلف. انظر: «المبسوط» (١٨٤)، «السبعة» (٢٤٢)، «النشر» ٢/ ٢٥٤.

(٢) «جامع البيان» ٦/ ١٢٦، تحقيق شاكر ١٠/ ٥٢.

المختارة تجمع معنى الغسل والدلك، وكذا العطف على الأقرب أولى، وهو واضح كذلك في القراءة المختارة هنا، حيث جعلها معطوفة على الرؤوس التي هي أقرب من الأيدي، ومع هذا فقد نسب إلى الطبري أنه يقول بجواز مسح القدمين، وأنه لا يوجب غسلهما، ومن ثم نسب إلى الرفض وهو بريء منه كما تقدم، وقد ذهب جماعة إلى أن أبا جعفر اختار التخيير بين الغسل والمسح، وجعل القراءتين كالروايتين في الخبر يعمل بهما إذا لم يتناقضا[١]. وهذا قول غير مرضي، فالطبري لا يخير بين الغسل والمسح، ولكن يوجب الغسل مع الدلك، الذي عبر عنه بالمسح، ولذا روي عن أبي زيد[٢] أنه قال: إن المسح والغسل واحد. ومنه قولهم: تمسحت للصلاة، بمعنى: غسلت أعضائي[٣]. وقال أبو عبيدة في تفسير قوله تعالى: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣٣] أنه الضرب، يقال: مسح علاوته أي: ضربها[٤]. قال الفارسي: فهذا يقوي أن المراد بمسح الرجلين الغسل، وقال: إن التحديد والتوقيت إنما جاء في المغسول ولم يجئ في الممسوح، فلما وقع التحديد مع المسح

---

(١) منهم ابن العربي في «أحكام القرآن» ٢/ ٧١، والبغوي في «معالم التنزيل» ٣/ ٢٢، وابن عادل في «اللباب» ٧/ ٢٢٩، والألوسي في «روح المعاني» ٣/ ٢٤٦.

(٢) سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري أحد أئمة الأدب واللغة، كان يرى رأى القدرية (١١٩- ٢١٥هـ).
انظر: «نزهة الألباء» (١٠١)، «إنباه الرواة» ٢/ ٣٠، «غاية النهاية» ١/ ٣٠٥، «بغية الوعاة» ١/ ٥٨٢.

(٣) «معاني القرآن الكريم» للنحاس ٢/ ٢٧٢، «حجة أبي علي» ٣/ ٢١٥، «المحرر الوجيز» ٢/ ١٦٣.

(٤) «مجاز القرآن» ٢/ ١٨٣، وانظر: «الكشف عن وجوه القراءات» ١/ ٤٠٦.

علم أنه في حكم الغسل؛ لموافقته الغسل في التحديد[١]، وتابعه ابن عطية في هذا بقوله: ومن الدليل على أن مسح الرجلين يراد به الغسل؛ أن الحد قد وقع فيهما بـ (إلى) كما وقع في الأيدي وهي مغسولة، ولم يقع في الممسوح حد[٢]، وهذا استنباط دقيق، وفهم ثاقب حقيق، فاجعله نصب عينيك، وتنبه له.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: ومن نقل عن أبي جعفر بن جرير أنه أوجب غسلهما للأحاديث، وأوجب مسحهما للآية، فلم يحقق مذهبه في ذلك، فإن كلامه في «تفسيره» إنما يدل على أنه أراد أنه يجب دلك الرجلين من دون سائر أعضاء الوضوء؛ لأنهما يليان الأرض والطين وغير ذلك، فأوجب دلكهما ليذهب ما عليهما، ولكنه عبر عن الدلك بالمسح، فاعتقد من لم يتأمل كلامه أنه أراد وجوب الجمع بين غسل الرجلين ومسحهما، فحكاه من حكاه كذلك، ولهذا يستشكله كثير من الفقهاء، وهو معذور، فإنه لا معنى للجمع بين المسح والغسل، سواء تقدمه أو تأخر عليه؛ لاندراجه فيه، وإنما أراد الرجل ما ذكرته، والله أعلم، ثم تأملت كلامه أيضًا، فإذا هو يحاول الجمع بين القراءتين في قوله: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ خفضًا على المسح وهو الدلك، ونصبًا على الغسل، فأوجبهما أخذًا بالجمع بين هذه وهذه[٣].

---

(١) «الحجة للقراء السبعة» ٣/ ٢١٥.

(٢) «المحرر الوجيز» ٢/ ١٦٣.

(٣) «تفسير القرآن العظيم» ٢/ ٤٢.

وخلاصة القول: أن الطبري لا حرج عليه في اختياره للقراءة بالخفض؛ فإنه لما توالت معطوفات ألحق إعراب الكلمة بما قرب منها، فهو أولى مما بعد عنها، وكما اختار الطبري القراءة بالخفض، فإن أبا منصور الأزهري اختار القراءة بالنصب وقال: وهي أجود القراءتين؛ لموافقتهما الأخبار الصحيحة عن النبي ﷺ في غسل الرجلين[(١)]. وجمع الجلال السيوطي بين القراءتين، فحمل قراءة الكسر على المسح على الخفين، وحمل قراءة النصب على الغسل، وقال: لأن تعدد القراءات بمنزلة تعدد الآيات[(٢)]، والقراءة المختارة عند الطبري قد اختارها قبله أيوب بن المتوكل، وأبو حاتم السجستاني، وخالفهم أبو بحرية السكوني، وسلام الطويل، وأبو عبيد، ومكي[(٣)].

---

(١) «معاني القراءات» ١/ ٣٢٦.

(٢) «الإكليل في استنباط التنزيل» (١٠٩).

(٣) انظر: «الغاية» (٢٣٢)، «المنتهى» (٣٢٦)، «الكامل» (١٨٣/ ب)، «سوق العروس» (١٩٥)، «الكشف عن وجوه القراءات» ١/ ٤٠٧. وانظر بقية المواضع في:
سورة البقرة قوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ... وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾﴾ «جامع البيان» ١/ ٥٧٣.
سورة هود قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾﴾ «جامع البيان» ١٢/ ٢٨، وقوله تعالى: ﴿۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ «جامع البيان» ١٢/ ٤٣.
سورة الحج قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ «جامع البيان» ١٧/ ١٧١.
سورة النبأ قوله تعالى: ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾﴾ «جامع البيان» ٣٠/ ٢١.

المبحث الثالث:

اختيار القراءة لأنها متفقة مع رؤوس الآي

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المراد بالفواصل ورؤوس الآي.

المطلب الثاني: الأمثلة التطبيقية.

★ المطلب الأول: الفواصل ورؤوس الآي:

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: المراد بالفاصلة ورءوس الآي والفرق بينهما.

المسألة الثانية: هل يوجد في القرآن الكريم سجع؟

- المسألة الأولى: المراد بالفاصلة ورؤوس الآي والفرق بينهما:

أولًا: المراد بالفاصلة:

اختلف العلماء في تعريف الفاصلة، فعَرَّفَها الرماني بقوله: الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع، توجب حسن إفهام المعاني[(١)].

وعَرَّفَها أبو بكر الباقلاني[(٢)] بقوله: الفواصل حروف متشاكلة في

---

(١) «ثلاث رسائل في إعجاز القرآن» (٨٩).

(٢) محمد بن الطيب الباقلاني، أبو بكر، قاضٍ من كبار علماء الكلام، انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة (٣٣٨-٤٠٣هـ).

انظر: «ترتيب المدارك» ٧/ ٤٤، «وفيات الأعيان» ٤/ ٢٦٩، «الوافي بالوفيات» ٣/ ١٧٧، «الأعلام» ٦/ ١٧٦.

المقاطع، يقع بها إفهام المعاني[١].

وعَرَّفَها ابن منظور بقوله: أواخر الآيات في كتاب الله فواصل، بمنزلة قوافي الشعر، جل كتاب الله ﷻ، واحدتها فاصلة[٢].

وعَرَّفَها الزركشي بقوله: الفاصلة هي كلمة آخر الآية، كقافية الشعر، وقرينة السجع[٣].

ولعل أجمع التعاريف للفاصلة وأمنعها هو تعريف الإمام الداني حيث قال: الفاصلة هي الكلام التام، المنفصل مما بعده، وقد يكون رأس آية وقد لا يكون[٤]. فهذا تعريف دقيق، يوفق بين التعاريف السابقة ويجمعها.

ثانيًا: المراد برؤوس الآي:

رأس الآية: هي نهايتها التي توضع بعدها علامة الفصل بين آية وآية[٥].

ثالثًا: الفرق بين الفواصل ورؤوس الآي:

فرق الإمام أبو عمرو الداني بين الفواصل ورؤوس الآي، فقال: أما الفاصلة فهي الكلام المنفصل مما بعده، والكلام المنفصل قد يكون رأس آية، وغير رأس ... وكل رأس آية فاصلة، وليس كل فاصلة رأس آية، فالفاصلة تعم النوعين، وتجمع الضربين[٦].

---

(١) «إعجاز القرآن» (٢٧٠).

(٢) «لسان العرب» ١١/ ٥٢٤.

(٣) «البرهان» ١/ ٥٣.

(٤) «البيان في عد آي القرآن» (١٢٦)، وانظر: «البرهان» ١/ ٥٣.

(٥) «مباحث في علوم القرآن» للقطان (١٥٣).

(٦) «البيان في عد آي القرآن» (١٢٦)، وانظر: «البرهان» (١/ ٥٣).

- المسألة الثانية: هل يوجد في القرآن سجع؟

مسألة إثبات السجع في القرآن ونفيه عنه، مسألة خلافية منذ بداية الاشتغال بالدراسات القرآنية إلى يومنا هذا، فمن مثبت للسجع في القرآن، ومن منكر لذلك:

القول الأول:

ذهب جمهور العلماء[(١)] إلى منع السجع في القرآن واستدلوا بما يلي:

١- الفواصل بلاغة والأسجاع عيب، وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها، وهو قلب ما توجبه الحكمة في الدلالة، إذ كان الغرض الذي هو حكمة إنما هو الإبانة عن المعاني التي الحاجة إليها ماسة، فإذا كانت المشاكلة وصلت إليه فهو بلاغة، وإذا كانت المشاكلة على خلاف ذلك فهو عيب ولُكنة؛ لأنه تكلف من غير الوجه الذي توجبه الحكمة، ومثله مثل من رصع تاجًا ثم ألبسه زنجيًّا ساقطًا، أو نظم قلادة درٍّ ثم ألبسها كلبًا[(٢)].

٢- استدلوا بما روي عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: اقتتلت امرأتان من هذيل فرمت إحداهما الأخرى بحجر فقتلتها وما في بطنها، فاختصموا إلى

---

(١) منهم: أبو الحسن الأشعري (ت: ٣٢٤هـ)، والرماني (ت: ٣٨٤هـ)، والباقلاني: (ت: ٤٠٣هـ)، وبهاء الدين السبكي (ت: ٣٧٣هـ)، وسعد الدين التفتازني (ت: ٧٩٣هـ)، وابن خلدون (ت: ٨٠٨هـ)، ومن المتأخرين الدكتور محمد أحمد الغمراوي، وعبد الكريم الخطيب، والدكتورة عائشة عبد الرحمن. انظر: « ثلاث رسائل في إعجاز القرآن» (٨٩)، «إعجاز القرآن» للباقلاني (٥٨)، «البرهان» ١/ ٥٤، «الإتقان» ٢/ ١٨٧، «إعجاز القرآن» لعبد الكريم الخطيب ٢/ ٢١٩، «مجلة الأزهر» الغمراوي ٣٩-١٠/ ٨٥٥، «مجلة الأزهر» مخلوف شوال (١٣٨٦) - ٨/ ٨٠٦.

(٢) انظر: «ثلاث رسائل في إعجاز القرآن» (٨٩)، «إعجاز القرآن» للباقلاني (٥٨).

رسول الله ﷺ فقضى رسول الله ﷺ أن دية جنينها غُرَّةٌ[١] عبد أو وليدة، وقضى بدية المرأة على عاقلتها، وورثها ولدها ومن معهم، فقال حَملُ بن النابغة الهذلي[٢]: يا رسول الله! كيف أغرم من لا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل؟ فمثل ذلك يُطلُّ[٣]. فقال رسول الله ﷺ: «**إنما هذا من إخوان الكهان**» من أجل سجعه الذي سجع[٤].

٣- ثم إن سلَّم لهم مُسَلِّم موضعًا، أو مواضع معدودة، وزعم أن وقوع ذلك موضع الاستراحة في الخطاب إلى الفواصل؛ لتحسين الكلام بها، وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام، وزعم أن الوجه في ذلك أنه من الفواصل، أو زعم أن ذلك وقع غير مقصود إليه، فإن ذلك إذا اعترض في الخطاب لم يعد سجعًا، على ما قد بينا من الشعر، كالبيت الواحد والبيتين من الرجز، ونحو ذلك يعرض فيه،

---

(١) الغرة: العبد نفسه أو الأمة، وأصل الغرة: البياض الذي يكون في وجه الفرس، وكان أبو عمرو بن العلاء يقول: الغرة: عبد أبيض، أو أمة بيضاء، وسمي غرة لبياضه، فلا يقبل في الدية عبد أسود ولا جارية سوداء، وليس ذلك شرطًا عند الفقهاء، وإنما الغرة عندهم ما بلغ ثمنه نصف عشر الدية من العبيد والإماء. انظر: «النهاية في غريب الحديث» ٣/ ٣٥٣ «جامع الأصول» ٤/ ٤٣٠.

(٢) حمل بن مالك بن النابغة الهذلي، أبو نضلة، صحابي، قيل: قتل في عهد الرسول ﷺ. وقيل: في عهد عمر بن الخطاب. انظر: «معرفة الصحابة» ٢/ ٨٩١، «أسد الغابة» ٢/ ٥٨، «الإصابة» ٢/ ١٢٥، «تهذيب التهذيب» ٣/ ٣٢.

(٣) يطل: طل دمه إذا هدر، ولم يطلب بثأره. انظر: «جامع الأصول» ٤/ ٤٣١.

(٤) **حديث صحيح**. أخرجه مسلم في «صحيحه» في كتاب: القسامة والمحاربين، باب: دية الجنين. انظر: «صحيح مسلم بشرح النووي» ١١/ ٢٥٣. وأخرجه البخاري بلفظ قريب من هذا في كتاب الديات، باب: جنين المرأة. انظر: «صحيح البخاري مع الفتح» ١٢/ ٢٥٧.

فلا يقال: إنه شعر؛ لأنه لا يقع مقصودًا إليه، وإنما يقع مغمورًا في الخطاب، وكذلك حال السجع الذي يزعمونه ويقدرونه[١].

٤- لو كان الذي في القرآن على ما تقدرونه سجعًا: لكان مذمومًا مرذولًا؛ لأن السجع إذا تفاوتت أوزانه، واختلفت طرقه، كان قبيحًا من الكلام، وللسجع منهج مرتب محفوظ، وطريق مضبوط، متى أخل به المتكلم وقع الخلل في كلامه، ونسب إلى الخروج عن الفصاحة، كما أن الشاعر إذا خرج عن الوزن المعهود كان مخطئًا وكان شعره مرذولًا، وربما أخرجه عن كونه شعرًا[٢].

٥- ولو كان الكلام الذي هو في صورة السجع منه، لما تحيروا فيه، ولكانت الطباع تدعو إلى المعارضة؛ لأن السجع غير ممتنع عليهم، بل هو عادتهم، فكيف تنقض العادة بما هو نفس العادة؟[٣].

٦- أن ما ذكروه من تقديم موسى على هارون عليهما السلام في موضع وتأخيره عنه في موضع لمكان السجع وتساوى مقاطع الكلام ليس بصحيح؛ لأن الفائدة عندنا غير ما ذكروه، وهي أن إعادة ذكر القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدي معنى واحدًا، من الأمر الصعب الذي تظهر به الفصاحة، وتتبين فيه البلاغة، وأعيدَ كثير من القصص في مواضع كثيرة مختلفة، على ترتيبات متفاوتة، ونُبِّهوا بذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله مبتدأ به ومكررًا، فعلى هذا يكون المقصد بتقديم بعض

---

(١) انظر: «إعجاز القرآن» للباقلاني (٥٨).
(٢) انظر: «إعجاز القرآن» للباقلاني (٥٩)
(٣) انظر: «إعجاز القرآن» للباقلاني (٥٩).

الكلمات وتأخيرها، إظهار الإعجاز على الطريقتين جميعًا، دون السجع الذي توهموه[١].

٧- لا بد لمن جوَّز السجع فيه وسلك ما سلكوه، من أن يسلم بما ذهب إليه النظام[٢]، وعباد بن سليمان[٣]، وهشام الفوطي[٤] ومن يذهب مذهبهم، في أنه ليس في نظم القرآن وتأليفه إعجاز، وأنه يمكن معارضته، وإنما صرفوا عنه ضربًا من الصرف[٥].

---

(١) «إعجاز القرآن» للباقلاني (٦١).

(٢) إبراهيم بن سيار بن هانئ النظام، أبو إسحاق، من أئمة المعتزلة، وإليه تنسب الفرقة النظامية، توفي سنة (٢٣١هـ). انظر: «الوافي بالوفيات» ٦/ ١٤، «سير أعلام النبلاء» ١٠/ ٥٤١، «لسان الميزان» ١/ ٩٦، «الأعلام» ١/ ٤٣.

(٣) عباد بن سليمان الصيمري، أبو سهل، من كبار المعتزلة، توفي في منتصف القرن الثالث. انظر: «سير أعلام النبلاء» ١٠/ ٥٥١، «لسان الميزان» ٧/ ٢٦٨.

(٤) هشام بن عمرو الفوطي، من أصحاب أبي الهذيل، داعية إلى الاعتزال، توفي في حوالي منتصف القرن الثالث. انظر: «توضيح المشتبه» لابن ناصر الدين ٧/ ١٢٩، «لسان الميزان» ٧/ ٢٦٨.

(٥) «إعجاز القرآن» للباقلاني (٦٥)، ومعنى الصرف أو الصرفة، أن العرب إذ عجزوا عن أن يأتوا بمثل القرآن، ما كان عجزهم لأمر ذاتي من ألفاظه ومعانيه ونسجه ونظمه، بل كان لأن الله تعالى صرفهم عن أن يأتوا بمثله، والقائلون بهذا افترقوا إلى مذهبين:
١- النظام ومن تبعه: ذهبوا إلى أن العرب صرفوا عن المعارضة أصلًا، ولم يتوجهوا إليها، ولو توجهوا لقدروا على الإتيان بمثل القرآن.
٢- والمذهب الثاني: قال به الشريف المرتضي وابن سنان الخفاجي ومن تابعهما، ذهبوا إلى أن الله سلب من العرب علومهم التي يحتاج إليها في معارضة القرآن والإتيان بمثله، ولو توجهوا لما استطاعوا أن يأتوا بمثل القرآن، وكلا القولين مردود بأدلة نقلية وعقلية ليس مجال بسطها. انظر: «مباحث في إعجاز القرآن» للدكتور مصطفى مسلم (٥٢).

٨- لو كان القرآن سجعًا لكان غير خارج عن أساليب كلامهم، ولو كان داخلًا فيها لم يقع بذلك إعجاز[١].

٩- ولو جاز أن يقولوا: هو سجع معجز، لجاز لهم أن يقولوا شعر معجز[٢].

١٠- لا يقال في القرآن أسجاع؛ رعاية للأدب، وتعظيمًا وتنزيهًا له عن التصريح بما أصله في الحَمَام التي هي من الدواب العجم[٣].

١١- لا يقال في القرآن أسجاع؛ لعدم الإذن الشرعي[٤].

١٢- لا يقال في القرآن أسجاع، بل إنما يقال: فواصل لقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [فصلت: ٣][٥].

القول الثاني:

وذهب جماعة من العلماء[٦] إلى إباحة السجع في القرآن الكريم،

---

(١) انظر: «إعجاز القرآن» للباقلاني (٥٧).

(٢) انظر: «إعجاز القرآن» للباقلاني (٥٧).

(٣) «مجلة الأزهر»، مخلوف، شوال (١٣٨٦)-٨/٨٠٦، وهو كلام أبي يعقوب المغربي، وسعد الدين التفتازني.

(٤) انظر: «مجلة الأزهر»، مخلوف، شوال (١٣٨٦) - ٨/٨٠٦، وهو من كلام سعد الدين التفتازاني.

(٥) انظر: «مجلة الأزهر»، مخلوف، شوال (١٣٨٦) - ٨/٨٠٦، من كلام لبهاء الدين السبكي.

(٦) منهم: أبو هلال العسكري (ت: ٣٩٥هـ)، وابن سنان الخفاجي (ت: ٤٦٦هـ)، وأبو يعقوب السكاكي (٦٢٦هـ)، وابن الأثير (ت: ٦٣٧هـ)، وابن أبي الحديد (ت: ٦٥٥هـ)، وابن النفيس (ت: ٦٨٧هـ)، والإمام الزيدي يحيى بن حمزة العلوي (ت: ٧٤٥هـ)، وابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، والدكتور محمد سلام، وأحمد إبراهيم موسى وغيرهم. انظر: «الصناعتين» (٢٦٠)، «ثلاث رسائل في الإعجاز» (١٧١)،

واستدلوا بما يلي:

١- السجع ليس عيبًا بذاته، فمنه يأتي طوعًا سهلًا وتابعًا للمعاني، وبالضد من ذلك، حتى يكون متكلفًا يتبعه المعنى، فإن كان من القسم الأول فهو المحمود الدال على الفصاحة وحسن البيان، وإن كان من الثاني فهو مذموم مرفوض، فأما القرآن فلم يرد فيه إلَّا ما هو من القسم المحمود لعلوه في الفصاحة[١].

٢- إن النهي منصب على سجع الكهان؛ لأنه عهد فيهم التمويه في أحكامهم، وإنما يقصدون إلى السجع مصرين عامدين؛ لأنه يخامر العقول، ويخدر الأعصاب، ويؤثر في النفوس تأثير السحر، ويلعب بالأفهام لعب الريح بالهشيم ... فيغفل العقل عن تمييز الصحيح من الزائف، ويلهو الفكر عن تمحيص الحق من الباطل[٢].

٣- وأما ما في القرآن من السجع فهو كثير: لا يصح أن يتفق كله غير مقصود إليه[٣].

٤- لم يكن القرآن كله مسجوعًا؛ لأنه أنزل بلغة العرب، وعرفهم، وعادتهم، وكان الفصيح منهم لا يكون كلامه كله مسجوعًا[٤]؛

«سر الفصاحة» (٢٣)، «المثل السائر» ١/ ٢٧٧، «شرح نهج البلاغة» ١/ ١٢٨، «الطراز» ٣/ ٢٠، «أثر القرآن في تطور النقد العربي» (ص٢٧٧)، «الصبغ البديعي في اللغة العربية» (٤٨)، «تطور الأساليب النثرية» (٤٨).

(١) انظر: «سر الفصاحة» (٢٠٣)، مقدمة تحقيق «إعجاز القرآن» للباقلاني (٧٥).

(٢) انظر: «الصبغ البديعي في اللغة العربية» (٤٨).

(٣) انظر: «إعجاز القرآن» للباقلاني (٥٧)، «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ١/ ١٢٨.

(٤) انظر: «مجلة الأزهر»، السجع والقرآن والباقلاني، مخلوف، شوال (١٣٨٦) ٨/ ٨٠٩.

ولأنه لا يحسن في الكلام جميعًا أن يكون مستمرًّا على نمط واحد؛ لما فيه من التكلف، ولما في الطبع من الملل؛ ولأن الافتنان في ضروب الفصاحة أعلى من الاستمرار على ضرب واحد؛ فلهذا وردت بعض آي القرآن متماثلة المقاطع، وبعضها غير متماثل[١].

٥- إثبات السجع في القرآن صحيح؛ لأنه مما يبين به فضل الكلام؛ ولأنه من الأجناس التي يقع فيها التفاضل في البيان والفصاحة[٢].

٦- تسمية بعض الفواصل أسجاعًا يرجع إلى تحديد معنى السجع، قال أهل اللغة: هو موالاة الكلام على وزن واحد، وقال ابن دريد: سجعت الحمامة، معناه: رددت صوتها[٣].

٧- لا سبب للفصل بين الفاصلة والسجع، فالفاصلة أو السجعة في القرآن تؤدي دورها تمامًا، كما تؤديه في غيره من الكلام الغني الجميل[٤].

٨- اتفاق الكل على أن موسى أفضل من هارون عليه السلام ولمكان السجع قيل في موضع: هارون وموسى، ولما كانت الفواصل في موضع آخر، بالواو والنون، قيل: موسى وهارون[٥].

٩- القول بسجع القرآن لا يلزم القول بالصرفة؛ لأن المثبتين للسجع يرون أن الرائع منه مظهر من مظاهر الاقتدار على البلاغة، والامتلاك لزمام الفصاحة، وأن السجع الكثير في القرآن قد جاء في أرفع صور البيان،

---

(١) «الإتقان» ٢/ ١٩١.

(٢) انظر: «إعجاز القرآن» للباقلاني (٥٧).

(٣) انظر: «إعجاز القرآن» للباقلاني (٥٧).

(٤) انظر: «أثر القرآن في تطور النقد العربي» (٢٧٧).

(٥) انظر: «إعجاز القرآن» للباقلاني (٥٧).

وباين كل أسجاع الساجعين، كما يؤمنون بأن سر إعجاز القرآن نظمه البديع، وبلاغته الرائعة المجاوزة لجميع بلاغات العرب[١].

١٠- إنا لا نرى مانعًا يمنع من أن يكون سجعًا معجزًا، ما دامت قد تحققت فيه صفة الإعجاز، وكونه فوق قدرة البشر وطاقاتهم[٢].

وبعد هذا العرض لحجج النافين والمثبتين للسجع في القرآن، والتي حرصت أن تكون على الألفاظ التي صيغت بها، نصل إلى القول الفصل في هذه المسألة: فأقول كما قال شيخنا مناع القطان رَحِمَهُ اللَّهُ: والذي أرى أنه إذا كان المراد بالسجع مراعاة موالاة الكلام على وزن واحد، دون مراعاة المعنى، فإن هذا تكلف ممقوت في كلام الناس فضلًا عن كلام الله، أما إذا روعيت المعاني، وجاء الاتفاق في الوزن تابعًا لها دون تكلف، فهذا ضرب من ضروب البلاغة، وقد يأتي في القرآن كما يأتي في غيره، وإذا سمينا هذا في القرآن بالفواصل دون السجع، فذلك لتلافي إطلاق السجع على القرآن بالمعنى الأول[٣].

* * *

(١) «إعجاز القرآن» مقدمة التحقيق (٧٦).

(٢) «مجلة الأزهر»، مخلوف، شوال (١٣٨٦)-٨/ ٨٠٦.
وانظر: «النثر الفني وأثر الجاحظ فيه» (٩٦)، «القرآن العظيم هدايته وإعجازه» (١٧٧).

(٣) «مباحث في علوم القرآن» للقطان (١٥٤).

★ **المطلب الثاني: الأمثلة التطبيقية:**

لم يختر الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ على وفق هذا الضابط الذي يتفرع عن ضابط دلالة السياق إلَّا في الجزأين الأخيرين من القرآن الكريم، ولعل ذلك يرجع إلى تفاوت رؤوس الآي فيما عدا هذين الجزأين، والله أعلم.

المثال الأول:

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا﴾ [الإنسان: ٤]. وقال تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيۡهِم بِـَٔانِيَةٖ مِّن فِضَّةٖ وَأَكۡوَابٖ كَانَتۡ قَوَارِيرَا۠ ١٥ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٖ قَدَّرُوهَا تَقۡدِيرٗا﴾ [الإنسان: ١٥، ١٦].

قال أبو جعفر: واختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿قَوَارِيرَّا﴾ و﴿سَلَٰسِلَا۠﴾، فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة غير حمزة ﴿سَلَاسِلًا﴾ و﴿قواريرًا قواريرًا﴾ بإثبات الألف والتنوين، وكذلك هي في مصاحفهم، وكان حمزة يسقط الألفات من ذلك كله، ولا يُجري شيئًا منه، وكان أبو عمرو يثبت الألف في الأولى من ﴿قَوَارِيرَا۠﴾ ولا يثبتها في الثانية، وكل ذلك عندي صواب، غير أن الذي ذكرت عن أبي عمرو أعجبهما إليَّ[(١)]، وذلك أن الأول من القوارير رأس آية، والتوفيق بين ذلك وبين سائر رؤوس آيات السورة أعجب إليَّ إذ كان ذلك بإثبات الألفات في أكثرها[(٢)].

---

(١) وهي قراءة ابن عامر وحفص عن عاصم مع من سماه الشيخ. انظر: «المبسوط» (٤٥٤)، «السبعة» (٦٦٣)، «النشر» ٢/ ٣٩٥.

(٢) «جامع البيان» ٢٩/ ٢١٦.

فأبو جعفر الطبري في هذا الموضع اختار القراءة بالألف؛ ليوافق بين رؤوس الآي، ولذا قال الزجاج عن قراءة قوله ﴿سَلَٰسِلَاْ﴾: الأجود في العربية ألا يصرف ﴿سَلَٰسِلَاْ﴾، ولكن لما جعلت رأس آية، صرفت ليكون آخر الآي على لفظ واحد[١].

وقال عن قراءة قوله: ﴿قَوَارِيرَاْ ۝١٥ قَوَارِيرَاْ﴾ ومن قرأ ﴿قواريرًا﴾ فصرف الأول؛ فلأنه رأس آية، وترك صرف الثاني؛ لأنه ليس بآخر آية ...[٢]. واختار ابن خالويه ﴿قواريرًا قوارير﴾ بتنوين الأول، والثاني بغير ألف، حيث قال: وهو الاختيار؛ لأن الأولى رأس آية وليست الثانية كذلك[٣]. ومثله قال ابن زنجلة في اختياره تلك القراءة[٤]. وقد سبق الطبريَّ إلى اختيار هذه القراءة أيوبُ بن المتوكل وأبو حاتم السجستاني[٥].

المثال الثاني:

قال تعالى: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾ [النازعات: ١١].

قال أبو جعفر: اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والحجاز والبصرة: ﴿نَّخِرَةً﴾ بمعنى: بالية. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة: ﴿ناخرة﴾ بألف بمعنى أنها مجوفة، تنخر الرياح في جوفها إذا مرت بها، وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من الكوفيين يقول: الناخرة

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٥/ ٢٥٨.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٥/ ٢٦٠.

(٣) «إعراب القراءات السبع» ٢/ ٤٢١.

(٤) «حجة القراءات» (٧٣٨).

(٥) انظر: «المنتهى» (٦٢٧)، «الكامل» (٢٤٦/ ب)، «سوق العروس» (٢٧٦).

والنخرة سواء في المعنى، بمنزلة الطامع والطمع، والباخل والبخل، وأفصح اللغتين عندنا وأشهرها: ﴿نَّخِرَةً﴾ بغير ألف، بمعنى: بالية، غير أن رؤوس الآي قبلها وبعدها جاءت بالألف، فأعجب إليَّ لذلك أن تلحق ﴿ناخرة﴾[١] بها؛ ليتفق هو وسائر رؤوس الآيات، لولا ذلك كان أعجب القراءتين إليَّ حذف الألف منها[٢].

فالطبري كما ترى اختار القراءة بالألف، لتتفق مع رؤوس الآي، وإن كانت القراءة بغير ألف أفصح كما يقول، لكنه لا يريد أن يخالف قاعدته في ذلك، فاختار ما يوافق سائر رؤوس الآيات، وقد سبقه الفراء في تقرير ذلك فقال: ﴿ناخرة﴾ أجود الوجهين في القراءة؛ لأن الآيات بالألف، ألا ترى أن ﴿ناخرة﴾ مع ﴿ٱلْحَافِرَةِ﴾ و﴿ الساهرة ﴾ أشبه بمجيء التنزيل، والناخرة والنخرة سواء في المعنى[٣].

وقال الزجاج: و﴿ناخرة﴾ أكثر في القراءة وأجود؛ لشبه آخر الآي بعضها ببعض[٤].

وقد اختار هذه القراءة أيضًا أبو عبد الله بن خالويه، وأبو منصور الأزهري وقال: إنها الأجود؛ لتضاهي ما قبلها وبعدها من رؤوس الآي[٥].

---

(١) وهي قراءة شعبة عن عاصم، وحمزة، ورويس عن يعقوب، وخلف. انظر: «المبسوط» (٤٦٠)، «السبعة» (٦٧٠)، «النشر» ٢/ ٣٩٧.

(٢) «جامع البيان» ٣٠/ ٣٤.

(٣) «معاني القرآن» ٣/ ٢٣١.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٥/ ٢٧٨.

(٥) انظر: «الحجة في القراءات السبع» (٣٦٢)، «معاني القراءات» ٣/ ١١٩.

وقد اختارها قبل الطبري أيوبُ بن المتوكل، واختار أبو بحرية السكوني، وسلام بن سليمان الطويل، وأبو عبيد، وأبو حاتم القراءة بغير ألف[١].

(١) انظر: «الغاية» (٤٢٩)، «المنتهى» (٦٣٠)، «الكامل» (٢٤٧/ب)، «سوق العروس» (٢٧٨)، «تفسير القرطبي» ١٩/ ١٩٧.
وانظر: بقية المواضع في:
سورة الفجر، قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ۝٤﴾ جامع البيان ٣٠/ ١٧٣.
سورة الشمس قوله تعالى: ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢﴾، وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦﴾، وقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ ۝١١﴾، ونحوها مما أصله واو «جامع البيان» ٣٠/ ٢١٦.

الفصل السادس
ضابط الاختيار بالقرائن

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: اختيار القراءة لدلالة آيات أخر.

المبحث الثاني: اختيار القراءة لدلالة حديث ثابت.

المبحث الثالث: اختيار القراءة لدلالة أسباب النزول.

التمهيد

وفيه اعتماد الإمام الطبري لهذا الضابط، وذِكْر بعض العلماء الذين اعتمدوه واختاروا على وفقه.

أولًا: اعتماد الإمام الطبري لهذا الضابط:

إن هذا الضابط من الضوابط التي يكثر اختيار القراءة على وفقها في «تفسير الإمام الطبري» رَحِمَهُ اللَّهُ، فتجده في مواضع كثيرة جدًّا يختار قراءة ما، ثم يحتج لاختياره تلك القراءة بآية أو آيات من القرآن الكريم، فهو من أكبر العلماء المقررين للاحتجاج للقرآن بالقرآن، وأنه يشهد بعضه لبعض، وهذا هو طريق علماء السلف من الصحابة والتابعين رحمهم الله. ونجد الطبري كذلك يحتج لبعض اختياراته في القراءات بالأحاديث النبوية الصحيحة، فكلاهما يخرجان من مشكاة واحدة، ومثل ذلك تجد الإمام الطبري يختار بعض القراءات ثم يحتج لاختياره تلك القراءات بأن أسباب النزول تدل على صحة ما اختار، وفي الأمثلة التطبيقية على هذا الضابط وما يتفرع منه ستجد دليل ما ذكرته، واهتمام أبي جعفر رَحِمَهُ اللَّهُ بهذه الضوابط التي تتفرع عن ضابط الاختيار بالقرائن.

ثانيًا: ذكر بعض العلماء الذين اعتمدوا هذا الضابط واختاروا على وفقه:

إن الاستشهاد للقرآن بالقرآن أو بالسنة الصحيحة أو بأسباب النزول -وإن كان أقل من سابقيه- طريق السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وهذا عام سواء في التفسير أو في القراءات، وفيما يلي سأذكر بعض الأئمة الذين قرروا هذا الضابط، أو ألمعوا إليه بالاختيار على وفقه، فمنهم:

١- **أبو المنذر أبي بن كعب (ت: ٢١هـ):**

فقد أخرج الإمام الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ بسنده عن محمد بن كعب القرظيّ[(١)] قال: مر عمر بن الخطاب برجل يقرأ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠] حتى بلغ ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ قال: وأخذ عمر بيده فقال: من أقرأك هذا؟ قال: أُبي بن كعب. فقال عمر: لا تفارقني حتى أذهب بك إليه. فلما جاءه قال عمر: أنت أقرأت هذا هذه الآية هكذا؟ قال: نعم. قال أنت سمعتها من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. قال: لقد كنت أظن أنا رفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا. فقال أُبي بن كعب: بلى، تصديق هذه الآية في أول سورة الجمعة: ﴿وآخرينَ مِنْهُم لمَّا يَلْحقوا بِهم وهُوَ العزيزُ الحكيم﴾، وفي سورة الحشر: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠]، وفي الأنفال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ﴾ [٧٥] إلى آخر الآية[(٢)].

---

(١) محمد بن كعب بن سليم القرظي، أبو عبد الله المدني، تابعي ثقة، رجل صالح عالم بالقرآن، توفي سنة (١٠٨هـ). انظر: «حلية الأولياء» ٣/ ٢١٢، «تهذيب الكمال» ٦/ ٤٨٩، «سير أعلام النبلاء» ٥/ ٦٥، «شذرات الذهب» ٢/ ٤٦.

(٢) إسناده ضعيف. أخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره» بتحقيق شاكر ١٤/ ٤٣٧-٤٣٨)، وفي السند عنده الحسن بن عطية بن سعد العوفي الكوفي، قال في «التقريب» ١/ ٢٠٦: ضعيف، من السادسة.

قلت: فالأثر ضعيف بهذا السند. وعزاه في «الدر المنثور» ٣/ ٤٨٣ إلى ابن جرير وأبي الشيخ، والإشكال في هذا الأثر: أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان فهمه للآية على حسب ما كان يقرأ من رفع الأنصار وإسقاط الواو في: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم﴾ أي: اختصاص السبق بالمهاجرين، والأنصار هم التابعون بإحسان، فاستدل أبيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

٢- **ومنهم سعد بن أبي وقاص (ت: ٥٥هـ):**

فقد أخرج الطبري عن القاسم بن ربيعة قال: سمعتُ سعد بن أبي وقاص يقول: (ما ننسَخْ مِنْ آيةٍ أو تَنْسَها) [البقرة: ١٠٦] قلتُ له: فإنَّ سعيد بن المسيب يقرؤها: (أو تُنْسَها)، قال: فقال سعد: إن القرآن لم ينزل على المسيب ولا على آل المسيب! قال الله: ﴿سنقرئك فلا تَنْسىٰ﴾ [الأعلى: ٢٤] و﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤][(١)].

قلت: استشهد سعد بن أبي وقاص لاختياره بآية أخرى كما رأيت.

٣- **ومنهم أبو زكريا يحيى بن سلام (ت: ٢٠٠هـ):**

فقد ذكرت الدكتورة هند شلبي أن من قواعده التي اعتمدها في اختيار القراءة: الاحتجاج للقراءة بدليل من القرآن، أو من الرواية[(٢)].

٤- **ومنهم أبو عبيد القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤هـ):**

فمن الضوابط والأسس التي بنى عليها اختياره للقراءة، الاحتجاج بالقرآن والاحتجاج بالحديث[(٣)]، وكذلك أسباب النزول وفيما يلي بعض الأمثلة على ذلك:

فمن أمثلة احتجاجه بالقرآن الكريم، ما ذكره أبو جعفر النحاس عند حديثه عن إعراب قوله تعالى: ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأحقاف: ١٢]، وعن خلاف القراء في قوله: ﴿لِّيُنذِرَ﴾ حيث قال: ﴿لِتُنذِرَ﴾

بهذه الآيات على أن التابعين غير الأنصار وأن الأنصار من السابقين الأولين. انظر: «المحرر الوجيز» ٣/ ٧٥، «روح المعاني» ٦/ ١٠.

(١) حديث صحيح. سبق تخريجه.

(٢) «القراءات القرآنية بإفريقية» (١٧٨).

(٣) انظر: «الاختيار في القراءات والرسم والضبط» (٨٨).

بالتاء هذه قراءة المدنيين، وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي: ﴿لِيُنْذَرَ الذين ظلموا﴾ واختيار أبي عبيد ﴿لِتُنذِرَ﴾ بالتاء، واحتج بقوله جل وعلا: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُۗ﴾ [الرعد: ٧][(١)].

ومن أمثلة احتجاجه بالحديث النبوي أنه اختار القراءة بالكسر في قوله: ﴿وَٱتَّخِذُواْ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ﴾ [البقرة: ١٢٥] واحتج لاختياره بحديث جابر بن عبد الله[(٢)] رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه استلم الحجر ورمل ثلاثة أشواط، ومشى أربعة حتى إذا فرغ عمد إلى مقام إبراهيم، فصلى خلفه ركعتين، وقرأ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ﴾ [البقرة: ١٢٥][(٣)]. قال أبو عبيد: فلا أعلمه قرأها في حديثه إلَّا بالكسر[(٤)].

ومن أمثلة احتجاجه بأسباب النزول ما ذكره أبو جعفر النحاس عند حديثه عن معنى قوله تعالى: ﴿قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣] حيث قال:

---

(١) «إعراب القرآن» ٤/ ١٦٢.

(٢) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري السلمي صحابي، من المكثرين في الرواية عن النبي ﷺ وروى عنه جماعة من الصحابة، غزا تسع عشرة غزوة، وكانت له في أواخر أيامه حلقة في السجد النبوي يؤخذ عنه العلم (١٦ق. هـ-٧٨هـ). انظر: «معرفة الصحابة» ٢/ ٥٢٩، «مشاهير علماء الأمصار» (١١)، «أسد الغابة» ١/ ٣٠٧، «الإصابة» ١/ ٤٣٤.

(٣) حديث صحيح. أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب: الحج، باب: كيف كان بدء الرمل؟ انظر: «صحيح البخاري» مع «الفتح» ٣/ ٥٤٨. وأخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الحج، باب: استحباب الرمل في الطواف. انظر: «صحيح مسلم بشرح النووي» ٩/ ١٤.

(٤) انظر: «الكشف عن وجوه القراءات» ١/ ٢٦٤.

وقوله جل وعز: ﴿فإنهم لا يُكْذِبُونَكَ﴾ هكذا رُوي عن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه أنه قرأ: بالتخفيف وهو اختيار أبي عبيد، واحتج بأنه رُوي أن أبا جهل[١] قال للنبي ﷺ: إنا لا نكذبك، ولكنا نكذب ما جئت به، فأنزل الله ﷻ: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾[٢].

٥- **ومنهم أبو حاتم السجستاني (ت: ٢٥٥هـ):**

فقد قال الأندرابي[٣] عن الضوابط والأسس التي بنى عليها اختياره: اختار لنفسه اختيارًا حسنًا اتبع فيه الأثر والنظر، وما صح عنده في الخبر عن النبي ﷺ وعن الصحابة والتابعين[٤].

٦- **ومنهم أبو عبد الله ابن خالويه (ت: ٣٧٠هـ):**

فقد أكثر رحمه الله من الاحتجاج للقراءة المختارة عنده بالقرآن، حيث قال

---

(١) عمرو بن هشام بن المغيرة القرشي، أشد الناس عداوة لرسول الله ﷺ في صدر الإسلام، كان سيدًا في الجاهلية، هلك سنة (٢هـ). انظر: «عيون الأخبار» ١/ ٣٣٣، «تاريخ الطبري» ٢/ ٤٥٤، «البداية والنهاية» ٣/ ٣٠٤، «الأعلام» ٥/ ٨٧.

(٢) «معاني القرآن الكريم» ٢/ ٤١٧، والحديث ضعيف الإسناد. أخرجه الترمذي في «سننه» من طريقين، وقال: الثاني أصح من الأول، وقال المباركفوري: وأخرجه الحاكم أيضًا، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. انظر: سنن الترمذي مع التحفة ٨/ ٤٣٨، وأخرجه الواحدي في أسباب النزول (٢١٩)، وأخرجه السيوطي في «الدر المنثور» ٣/ ١١٨، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر، وذكره أيضًا في «لباب النقول» (١٥١)، وقال الألباني في «ضعيف سنن الترمذي» (٣٢٣) عن الإسناد الأول: ضعيف، وقال عن الإسناد الثاني: أصح من الأول.

(٣) أحمد بن أبي عمر المعروف بالأندرابي، صاحب «الإيضاح في القراءات العشر»، و«اختيار أبي عبيد وأبي حاتم»، توفي بعد السنة الخامسة من الهجرة النبوية. انظر: «غاية النهاية» ١/ ٩٣، مقدمة محقق «قراءات القراء المعروفين» (١٥١).

(٤) «قراءات القراء المعروفين» (١٥١).

مقررًا ذلك: والاختيار بالتاء؛ لأن بعض القرآن يشهد لبعض، وكان جماعة من الصحابة والتابعين يحتجون لبعض القرآن على بعض، قال تعالى: ﴿جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ٤] فهذا شاهد: ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم﴾ [طه: ١٣٣][(١)]. وكذلك يحتج للقراءة المختارة بما ثبت عن رسول الله ﷺ، ففي أثناء حديثه عن إعراب قول الله تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ...﴾ [البقرة: ٢٧١] ذكر خلاف القَرَأَة في قراءة قوله: ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾ ثم قال: والاختيار إسكان العين؛ لأن هذه اللفظة رويت عن رسول الله ﷺ أنه قال لعبد الله بن عمرو بن العاص[(٢)]: «**نعما بالمال الصالح**»[(٣)]. كذا تحفظ هذه اللفظة عن النبي ﷺ ومتىٰ صحَّ الشيء عن النبي ﷺ لم يحل للنحوي ولا غيره أن يعترض عليه[(٤)]. وكذا يحتج ابن خالويه للقراءة المختارة بأسباب النزول، فعند قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٥] قال أبو عبد الله: وقوله تعالى: ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ قرأ نافع والكسائي وابن عامر

---

(١) «إعراب القراءات السبع» ٢/ ٥٨.

(٢) عبد الله بن عمرو بن العاص، من قريش، صحابي، من النساك، كان يكتب في الجاهلية، أسلم قبل أبيه فسمح له رسول الله ﷺ أن يكتب عنه، شهد الحروب والغزوات، وكان يضرب بسيفين (٧ق.هـ-٦٥هـ).
انظر: «معرفة الصحابة» ٣/ ١٧٢٠، «حلية الأولياء» ١/ ٢٨٣، «أسد الغابة» ٣/ ٣٤٩، «الإصابة» ٤/ ١٩٢.

(٣) حديث صحيح أخرجه أحمد ٤/ ٢٠٢، البخاري في «الأدب المفرد» (١٠٧)، حديث رقم (٢٩٩)، قال الألباني في تعليقه على «الأدب المفرد» (١٠٨): صحيح.

(٤) «إعراب القراءات السبع» ١/ ١٠١.

﴿غَيْرَ﴾ بالنصب، وقرأ الباقون بالرفع نعتًا للقاعدين، ومن نصبه جعله استثناء بمعنى إلا، وهو الاختيار؛ لأن ابن أم مكتوم[(١)] جاء إلى النبي ﷺ فذكر حاله وضره، فأنزل الله تعالى: ﴿غيرَ أولي الضرر﴾[(٢)].

٧- **ومنهم أبو منصور الأزهري (ت: ٣٧٠هـ):**

فعند حديثه عن معنى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦] ذكر خلاف القَرَأَة في قوله: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾، فقال: قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿وَأَرْجُلِكُمْ﴾ خفضًا، وقرأ الأعشى[(٣)] عن أبي بكر بالنصب مثل حفص، وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ نصبًا، عطفه على قوله: ﴿فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾ وبها قرأ

---

(١) عبد الله، أو عمرو بن قيس بن زائدة الأصم، صحابي، ضرير شجاع، كان مؤذن رسول الله ﷺ في المدينة مع بلال، وخليفته على المدينة في غزواته، توفي سنة: ١٦هـ. انظر: «معرفة الصحابة» ٤/ ١٩٩٨، «أسد الغابة» ٤/ ٢٢٣، «سير أعلام النبلاء» ١/ ٣٦٠، «الإصابة» ٤/ ٦٠٠.

(٢) «إعراب القراءات السبع» ١/ ١٣٧، وسبب النزول هذا صحيح، أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب: الجهاد باب: قول الله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ...﴾ الآية، انظر: «صحيح البخاري» مع «الفتح» ٦/ ٥٣، وأخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب: الإمارة، باب: سقوط فرض الجهاد عن المعذورين. انظر: «صحيح مسلم بشرح النووي» ١٣/ ٦٤.

(٣) يعقوب بن محمد بن خليفة الكوفي، أبو يوسف الأعشى، من أجل من قرأ على شعبة، توفي في حدود المئتين.
انظر: «معرفة القراء الكبار» ١/ ١٥٩، «غاية النهاية» ٢/ ٣٩٠.

الشافعي، ورويت عن ابن مسعود وهي أجود القراءتين؛ لموافقتها الأخبار الصحيحة عن النبي ﷺ في غسل الرجلين[١].

٨- **ومنهم أبو محمد مكي القيسي (ت: ٤٣٧هـ):**

فقد ذكر الدكتور محمد بالوالي أن من الأسس والضوابط التي بنى عليها مكي اختياره: اعتماد القرآن الكريم، والاعتماد على الحديث[٢]، ولهذا أمثلة كثيرة جدًّا في كتابه: «الكشف عن وجوه القراءات السبع»[٣].

(١) «معاني القراءات» ١/ ٣٢٦.

(٢) انظر: «الاختيار في القراءات والرسم والضبط» (١٣٣).

(٣) انظر: «الكشف عن وجوه القراءات» ١/ ٢٦٤-٢٩٩، ٣٩٦.

المبحث الأول

اختيار القراءة لدلالة آيات أخر

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول: تعريف الآية في اللغة والاصطلاح.**
- **المطلب الثاني: الأمثلة التطبيقية.**

- **المطلب الأول: تعريف الآية في اللغة والاصطلاح:**

أولًا: تعريف الآية لغة:

للآية في اللغة ثلاثة معان:

أحدها: جماعة الحروف، قال الخليل: خرج القوم بآيتهم، أي: بجماعتهم.

ثانيها: الآية: العجب: تقول العرب، فلان آية في العلم وفي الجمال.

ثالثها: العلامة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٤٨] أي: علامته[(١)].

ثانيًا: تعريف الآية اصطلاحًا:

عرفت الآية في الاصطلاح بعدة تعريفات من أهمها:

الآية: قرآن مركب من جمل ولو تقديرًا، ذو مبدأ ومقطع مندرج في

---

(١) انظر: «معجم مقاييس اللغة» ١/ ٩٠، «تفسير الطبري» ١/ ٤٧، «البيان في عد آي القرآن» (١٢٥)، «البرهان» للزركشي ١/ ٢٦٦.

سورة[١]. وقيل: الآية: طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها ليس بينها شبه[٢]. وقيل: هي الواحدة من المعدودات في السور[٣].

* * *

(١) «البرهان» ١/ ٢٦٦.

(٢) «البرهان» ١/ ٢٦٦، «البيان في عد آي القرآن» (١٢٥).

(٣) «البرهان» ١/ ٢٦٧.

★ **المطلب الثاني: الأمثلة التطبيقية:**

المثال الأول:

قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠].

قال أبو جعفر: اختلفت القَرَأَة في قراءة قوله: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ فقرأ بعضهم: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠] بالرفع، عطفًا بالملائكة على اسم الله تبارك وتعالى، على معنى: هل ينظرون إلَّا أن يأتيهم الله والملائكة في ظلل من الغمام. وقرأ ذلك آخرون: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ بالخفض، عطفًا بالملائكة على الظلل، بمعنى هل ينظرون إلَّا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام وفي الملائكة.

وأما الذي هو أولى القراءتين في ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ فالصواب بالرفع(١)، عطفًا بها على اسم الله تبارك وتعالى، على معنى: هل ينظرون إلَّا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام، وإلا أن تأتيهم الملائكة، على ما رُوِي عن أبي بن كعب؛ لأن الله جل ثناؤه قد أخبر في غير موضع من كتابه: أن الملائكة تأتيهم، فقال جل ثناؤه: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، وقال: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، فإن أشكل على امرئٍ قول الله جل ثناؤه: ﴿وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ فظن أنه مخالف معناه معنى قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ

---

(١) وهي قراءة العشرة خلا أبي جعفر، انظر «المبسوط» (١٤٤)، «الاختيار في القراءات العشر» ١/ ٣٠٢، «النشر» ٢/ ٢٢٧.

﴿ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ إذ كان قوله: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ في هذه الآية بلفظ جميع، وفي الأخرى بلفظ الواحد، فإن ذلك خطأ من الظن، وذلك أن الملك في قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ﴾ بمعنى الجميع، ومعنى الملائكة، والعرب تذكر الواحد بمعنى الجميع، فتقول فلان كثير الدرهم والدينار، يراد به: الدراهم والدنانير، وهلك البعير والشاة، بمعنى: جماعة الإبل والشاء، فكذلك قوله: ﴿وَٱلْمَلَكُ﴾ بمعنى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾[1].

فالطبري في هذا الموضع اختار القراءة بالرفع في: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ واحتج لاختياره بأن الله ﷻ قد أخبر في غير موضع من القرآن الكريم: أن الملائكة تأتيهم، وذكر الآيات الدالة على ذلك، وهي آيات دالة على معنى القراءة المختارةز

قال الفراء: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ رفع مردود على الله تبارك وتعالى، وقد خفضها بعض أهل المدينة يريد: في ظلل من الغمام وفي الملائكة، والرفع أجود؛ لأنها في قراءة عبد الله: (هل ينظرون إلَّا أن يأتيهم الله والملائكة في ظلل من الغمام)[2]. واختار الأخفش سعيد بن مسعدة أيضًا قراءة الرفع، واحتج بنفس ما احتج به الطبري فقال: والرفع هو الوجه، وبه نقرأ؛ لأنه قد قال ذلك في غير مكان، قال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ﴾ [الفجر: ٢٢]. وقال: ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨] والملك في هذا الموضع: جماعة كما تقول: أهلك الناس الدينار والدرهم، وهلك البعير والشاء، يريد: جماعة الإبل والشاء[3].

---

(١) «جامع البيان» ٢/ ٣٢٧، «تحقيق شاكر» ٤/ ٢٦٠.

(٢) «معاني القرآن» ١/ ١٢٤.

(٣) «معاني القرآن» ١/ ١٨٣.

وقال الزجاج: والرفع هو الوجه المختار عند أهل اللغة في القراءة[١].
وهو اختيار أبي بحرية السكوني، وسلام الطويل، وأيوب بن المتوكل، وأبي عبيد، وأبي حاتم[٢].

المثال الثاني:

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٥].

قال أبو جعفر: واختلفت القَرَأَة في قراءة ذلك، فقرأته عامة قَرَأَة أهل المدينة والكوفة: ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾ يعني: قرأت، أنت يا محمد، بغير ألف. وقرأ ذلك جماعة من المتقدمين، منهم ابن عباس، على اختلاف عنه فيه، وغيره، وجماعة من التابعين، وهو قراءة بعض قَرَأَة أهل البصرة: ﴿وليقولوا دارست﴾ بألف، بمعنى: قارأت وتعلمت من أهل الكتاب، وروي عن قتادة: أنه كان يقرؤه: (دُرِسَتْ) بمعنى: قرئت وتليت، وعن الحسن أنه كان يقرؤه: ﴿دَرَسَتْ﴾[٣] بمعنى: انمحت.

قال أبو جعفر: وأولى القراءات في ذلك عندي بالصواب، قراءة من قرأه: ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾[٤] بتأويل: قرأت وتعلمت؛ لأن المشركين كذلك كانوا يقولون للنبي ﷺ، وقد أخبر الله عن قيلهم ذلك بقوله:

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ١/ ٢٨١.

(٢) انظر: «الغاية» (١٩٥)، «المنتهى» (٢٧٠)، «الكامل» (١٦٨/ب)، «سوق العروس» (١٧٨).

(٣) وهي قراءة ابن عامر. انظر: «الحجة في القراءات السبع» ٣/ ٣٧٥.

(٤) وهي قراءة نافع، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وأبي جعفر، وخلف. انظر «المبسوط» (٢٠٠)، «السبعة» (٢٦٤)، «النشر» ٢/ ٢٦١.

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل: ١٠٣] فهذا خبر من الله ينبئ عنهم، أنهم كانوا يقولون: إنما يتعلم محمد ما يأتيكم به من غيره، فإذا كان ذلك كذلك فقراءة: ﴿ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ ﴾ يا محمد، بمعنى: تعلمت من أهل الكتاب، أشبه بالحق، وأولى بالصواب، من قراءة من قرأه: ﴿ دارست ﴾ بمعنى: قارأتهم وخاصمتهم، وغير ذلك من القراءات[١].

فالطبري كما رأيت في هذا المثال اختار القراءة السالفة الذكْر، ثم احتج لاختياره بأن الله قد أخبر في موضع آخر من كتابه عن قيلهم فقال: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ... ﴾ الآية، فإذا كان ذلك كذلك، فهي القراءة الأولى في الاختيار من غيرها؛ لأن الكتاب يصدق بعضه بعضًا، ويشهد بعضه لبعض، وقد سبقه إلى هذا الاختيار وتلك الحجة الأخفش سعيد بن مسعدة فقال: وقال بعضهم: ﴿ دَرَسْتَ ﴾ وبها نقرأ؛ لأنها أوفق للكتاب[٢]. يريد ما حكاه الله عن قيلهم في قوله: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ... ﴾ فهي على معنى القراءة المختارة، ولذا قال ابن عادل الحنبلي: فمعناها: حفِظت وأتقنت بالدرس أخبار الأولين كما حُكي عنهم: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفرقان: ٥] أي: تكرر عليهم بالدرس يحفظها[٣].

والقراءة المختارة عند الطبري هي اختيار أيوب بن المتوكل وأبي

---

(١) «جامع البيان» ٧/ ٣٠٥، تحقيق شاكر ١٢/ ٢٦.

(٢) «معاني القرآن» ١/ ٣٠٩.

(٣) «اللباب» ٨/ ٣٥٧.

عبيد كذلك[١]، وللقراءتين السبعيتين الأخريين نصيب من الاختيار عند أئمة الاختيار في القراءة، بل إن للقراءة بالألف: ﴿دارست﴾ حجة من القرآن الكريم تقوي اختيار من اختارها، وهو قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا﴾ [الفرقان: ٤] أي: دارست أهل الكتاب وذاكرتهم ليعرفوك عليه[٢].

---

(١) انظر: «المنتهى» (٣٤٧)، «الكامل» (١٩٠/ ب)، «سوق العروس» (٢٠١).

(٢) انظر: «الغاية» (٢٤٧)، «حجة أبي علي» ٣/ ٣٧٤، «معاني القراءات» للأزهري ١/ ٣٧٦، «المنتهى» (٣٤٧)، «الكامل» (١٩٠/ ب)، «سوق العروس» (٢٠١). وانظر: بقية المواضع:

سورة البقرة قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ١٠﴾ «جامع البيان» ١/ ١٢٣.

سورة النساء قوله تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا ٤٢﴾ «جامع البيان» ٥/ ٩٣.

سورة النحل قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧﴾ «جامع البيان» ١٤/ ١٩٨.

سورة الفرقان قوله تعالى: ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعۡتَهُمۡ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكۡرَ وَكَانُواْ قَوۡمُۢا بُورَۢا ١٨﴾ «جامع البيان» ١٨/ ١٩١.

المبحث الثاني

اختيار القراءة لدلالة حديث ثابت

لقد استخدم الطبري كل ما آتاه الله من العلوم في خدمة القرآن الكريم، وهو بلا ريب من العلماء المحدِّثين؛ ولا أدل على ذلك من أنه بنى تفسيره على منهج أهل الحديث، بل إنَّ مؤلفاته كلها كانت على ذلك المنهج، ومن هنا فإن أبا جعفر كان يختار في تفسيره بعض القراءات الثابتة، ويحتج لاختياره لها بحديث ثابت أيضًا، وإنما قلت بحديثٍ ثابت؛ ليدخل تحته الصحيح بنوعيه، والحسن بنوعيه، وهذا موضع وفاق عند جميع العلماء في الاحتجاج، أما الحديث الضعيف ففي الاحتجاج والترجيح به خلاف ليس هذا محله[(١)]، لكن الطبري في احتجاجه بالحديث لبعض القراءات التي يميل إليها ويختارها قد يكون بحديث ضعيف، وإنما يورده ليعضد به اختياره ويستأنس به؛ وكأنه يقرر ما قاله الإمام أحمد بن حنبل: ضعيف الحديث خير من الرأي[(٢)].

الأمثلة التطبيقية:

المثال الأول:

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] قال أبو جعفر: واختلفت القَرَأَة في قراءة قوله ﴿دَكّٗا﴾

---

(١) انظر: «علم الحديث» لابن تيمية: (١٥١)، «قواعد في علوم الحديث»: (٩٢).

(٢) انظر: «مجموع فتاوى ابن تيمية»: ١٨/ ٥٢.

فقرأته عامة قراء أهل المدينة ﴿دَكًّا﴾ مقصورًا بالتنوين، بمعنى: دك الله الجبل دكًّا، أي فتته.. وقرأته عامة قراء الكوفيين: ﴿جعله دكاء﴾ بالمد وترك الجر والتنوين، مثل حمراء وسوداء..

قال أبو جعفر: وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندي قراءة من قرأ: ﴿جعله دكآء﴾ بالمد وترك الجر [(١)]؛ لدلالة الخبر الذي رويناه عن رسول الله ﷺ على صحته، وذلك أنه رُوي عنه ﷺ أنه قال: «**فساخ الجبل**»[(٢)]، ولم يقل فتفتَّت، ولا تحوَّل ترابًا، ولا شك أنه إذا دك بعضه، فإنما يكسر بعضه بعضا ويتفتت ولا يسوخ، وأما الدكاء فإنها خلف من الأرض، فلذلك أتت على ما قد بينت[(٣)].

فالطبري في هذا المثال اختار القراءة بالمد وترك التنوين في ﴿دكآء﴾ ثم احتج لاختياره بحديث ثابت عن النبي ﷺ، قال مكي في الحجة للقراءتين: حجة من مده أنه أخذه من قول العرب: (هذه ناقة دكاء) للتي لا سنام لها، فهي مستوية الظهر، فكأنه في التقدير: جعل الجبل مثل ناقة دكاء، أي: جعله إذ تجلى عليه مستويًا لا ارتفاع فيه، انحط الجبل من علوه وارتفاعه تعظيمًا لله، وخضوعًا له، إذ تجلى بعظمته إليه ....

---

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي. انظر: المبسوط (٢١٤)، السبعة: (٢٩٣)، النشر: ٢/ ٢٧١.

(٢) **حديث صحيح**. أخرجه الترمذي في «سننه»، باب تفسير القرآن، حديث رقم: (٥٠٦٩)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلَّا من حديث حماد بن سلمة، انظر: «سنن الترمذي» مع «التحفة»: ٨/ ٤٥١.
قال الألباني في «صحيح سنن الترمذي»: ٣/ ٢٣٩: صحيح.

(٣) «جامع البيان»: ١٩/ ٥٤.

وحجة من لم يمده أنه جعله مصدر دككت الأرض دكًّا، أي جعلتها مستوية لا ارتفاع فيها ولا انخفاض. . ويقوي هذه القراءة قوله: ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الحاقة: ١٤] وقوله: ﴿دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [الفجر: ٢١] (١).

فكما أن الطبري احتج لاختياره بدليل من السنة، فإن من اختار القراءة بالتنوين احتج بدليل من القرآن، وكل صواب، وقراءة: ﴿دَكًّا﴾ بالتنوين من غير مد هي اختيار أئمة الاختيار في القراءة كأبي بحرية، وسلام، وأيوب، وأبي عبيد، وأبي حاتم، ومكي (٢).

المثال الثاني:

قال تعالى: ﴿لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾ [الصافات: ٨].

قال أبو جعفر: اختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ﴾ فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين: ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ﴾ بتخفيف السين من يسمعون، بمعنى أنهم يتسمعون ولا يسمعون، وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين بعد: ﴿لَا﴾ بمعنى: لا يتسمعون، ثم أدغموا التاء في السين فشددوها.

قال أبو جعفر: وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه بالتخفيف (٣)؛ لأن الأخبار الواردة عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه، أن الشياطين قد تتسمع الوحي، ولكنها ترمى بالشهب لئلا تسمع.. حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن

---

(١) «الكشف عن وجوه القراءات»: ١/ ٤٧٥.

(٢) انظر: «الغاية»: (٢٥٩) «المنتهى»: (٣٦٥)، «الكشف»: ١/ ٤٧٦.

(٣) وهي قراءة العشرة عدا حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، وخلف.
انظر: «المبسوط»: (٣٧٥)، «السبعة»: (٥٤٧)، «النشر»: ٢/ ٣٥٦.

جبير، عن ابن عباس، قال: كانت للشياطين مقاعد في السماء، قال: فكانوا يسمعون الوحي، قال: وكانت النجوم لا تجري، وكانت الشياطين لا ترمي، قال: فإذا سمعوا الوحي نزلوا إلى الأرض، فزادوا في الكلمة تسعًا، قال: فلما بُعث رسول الله ﷺ جعل الشيطان إذا قعد مقعده جاء شهاب، فلم يُخْطِه، حتى يحرقه، قال: فشكوا ذلك إلى إبليس! فقال: ما هو إلَّا لأمر حدث! قال: فبعث جنوده، فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي بين جبلي -نخلة[(١)]- قال أبو كريب: قال وكيع: يعني بطن نخلة، قال: فرجعوا إلى إبليس فأخبروه، قال: فقال: هذا الذي حدث[(٢)].

---

(١) نخلة: واد بين مكة والطائف، وبه مسجد كان لرسول الله ﷺ. انظر: «معجم البلدان»: ٥/ ٢٧٧.

(٢) «جامع البيان»: ٢٣/ ٣٦، والحديث صحيح الإسناد: فأبو كريب هو: محمد بن المعلىٰ بن عبد الكريم الهمداني اليامي، قال أبو زرعة: صدق في الحديث، وقال أبو حاتم: صدوق لا بأس به، كما في «تهذيب التهذيب»: ٩/ ٤٠١، وذكره ابن حبان في «الثقات»: ٩/ ٤٣.

ووكيع: هو ابن الجراح بن مليح الرؤاسي، أبو سفيان الكوفي الحافظ، ثقة، ثبت، كما في «تهذيب التهذيب»: ١١/ ١١٠.

وإسرائيل هو: ابن يونس بن أبي إسحاق السبيعي الهمداني، أبو يوسف الكوفي، ثقة، ثبت كما في «تاريخ الثقات» للعجلي: (٦٣)، «تهذيب التهذيب»: ١/ ٢٣٧.

وأبو إسحاق هو: عمرو بن عبد الله بن عبيد، أبو إسحاق السبيعي الكوفي وثقة أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وعلي بن المديني، وأبو حاتم وغيرهم، كما في «تهذيب التهذيب»: ٨/ ٥٤.

وسعيد بن جبير ثقة ثبت فقيه، كما في «تهذيب التهذيب»: ٤/ ١٠.

فالحديث صحيح الإسناد؛ لتسلسله بالثقات واتصال سنده، ولله أعلم.

فالطبري كما رأيت في هذا المثال اختار القراءة التي يعضدها ويقويها الأثر عن رسول الله ﷺ وعن صحابته الكرام، وكذلك كان حبر الأمة يقرؤها، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقرأ: ﴿لا يَسْمَعُونَ إلى الملإِ الأعلى﴾ مخففة، وقال إنهم: كانوا يتسمعون، ولكن لا يسمعون[(١)].

وقال مكي في حجة القراءة بالتخفيف: وحجة من خففه أنه حمله على أنه نفى عنهم السمع بدلالة قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٢] ولم يقل عن التسمع فهم يتسمعون، ولكن لا يسمعون شيئًا، ودليله قوله تعالى عن قول الجن: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: ٩]، فدل ذلك على أنهم يتسمعون الآن فيطردون بالشهب ولا يسمعون شيئًا، فيبعد على هذا النص أن ينفي عنهم السمع، إذ قد أخبر عنهم أنهم يتسمعون فيطردون بالشهب، وهو الاختيار ... [(٢)]. واختار أبو عبيد القراءة بالتشديد وقال: لو كان مخففًا لم يتعد بإلى[(٣)]. وأجيب عنه بأن معنى الكلام: لا يسمعون إلى الملأ[(٤)].

وقال مكي: لأنه جرى مجرى مطاوعه وهو يسَّمعون، فكما كان يسمع يتعدى بـ (إلى) تعدى سمع بـ (إلى)، وفعِلت وافتعَلت في التعدي سواء، فتسمع مطاوع سمع، واستمع أيضًا مطاوع سمع، فتعدى سمع تعدي

---

(١) «تفسير ابن أبي حاتم»: ١٠/ ٣٢٠٥، وعزاه في «الدر المنثور»: ٥/ ٥١١ إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

(٢) «الكشف عن وجوه القراءات»: ٢/ ٢٢٢.

(٣) انظر: «تفسير القرطبي»: ١٥/ ٦٥، «الدر المصون»: ٩/ ٢٥٣.

(٤) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس: ٣/ ٤١١، «الدر المصون»: ٩/ ٢٥٣، «اللباب»: ١٦/ ٢٨٠.

مطاوعه[١]. وعلى أية حال فالقراءتان سبعيتان صحيحتان، ولكل منهما نصيب من الاختيار، والقراءة المختارة عند أبي جعفر هي:

اختيار جماعة من الأئمة قبله منهم: أبو بحرية السكوني، وسلام بن سليمان الطويل، وأيوب بن المتوكل، وأبو حاتم السجستاني[٢].

(١) «مشكل إعراب القرآن»: ٢/ ٣٣٤.

(٢) انظر: «الغاية»: (٣٧٨)، «المنتهى»: (٥٥٨)، «الكامل»: (٢٣٢/ ب)، «سوق العروس»: (٢٥٣).

وانظر: بقية المواضع:

سورة البقرة قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ «جامع البيان»: ١/ ٥٣٥، وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾ «جامع البيان»: ٢/ ٣٢٧.

سورة آل عمران قوله تعالى: ﴿بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ «جامع البيان»: ٤/ ٨١.

سورة التوبة: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ «جامع البيان» ١٨/ ٨١.

سورة الفرقان قوله تعالى: ﴿أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾﴾ «جامع البيان»: ١٨/ ١٨٤.

سورة سبأ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ «جامع البيان»: ٢٢/ ٩٣.

المبحث الثالث

اختيار القراءة لدلالة أسباب النزول

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول: تعريف سبب النزول في اللغة والاصطلاح وطريقة معرفته وفائدته.**
- **المطلب الثاني: الأمثلة التطبيقية.**

⋆ المطلب الأول: تعريف سبب النزول في اللغة والاصطلاح وطريقة معرفته وفائدته:

أولًا: تعريف سبب النزول في اللغة:

السبب لغة: كل شيء يتوصل به إلى غيره[(١)].

والنزول لغة: هبوط شيء ووقوعه[(٢)].

ثانيًا: تعريف سبب النزول اصطلاحًا:

عُرِّف سبب النزول بتعريفات كثيرة، ولعل أجمع هذه التعاريف وأمنعها تعريف الشيخ مناع القطان رَحِمَهُ اللَّهُ، حيث قال: هو ما نزل قرآن بشأنه وقت وقوعه كحادثة أو سؤال[(٣)]. فهذا التعريف يحدد لنا سبب النزول، وأنه

---

(١) انظر: «المفردات» للراغب (٢٢٠)، «لسان العرب» ١/ ٤٥٨.

(٢) انظر: «معجم مقاييس اللغة»: ٢/ ٥٥٤، «المفردات» للراغب: (٤٨٨).

(٣) «مباحث في علوم القرآن»: (٧٨).

قاصر على أمرين:

١- أن تحدث حادثة فينزل قرآن بشأنها، كالذي نزل يوم بدر وأحد، وقصة الإفك، واللعان ونحوها.

٢- أن يُسأل رسول الله ﷺ فينزل القرآن بالجواب، كما في السؤال عن الأهلة، والإنفاق، والأنفال، والروح، ونحوها، وهذا في الآيات التي لنزولها سبب، وإلا فأكثر القرآن نزل ابتداءً. قال الجعبري: نزل القرآن على قسمين: قسم نزل ابتداءً، وقسم نزل عقب واقعة أو سؤال[١].

ثالثًا: طريقة معرفة أسباب النزول:

قال الزرقاني: لا طريق لمعرفة أسباب النزول إلَّا النقل الصحيح[٢]، عن الرسول ﷺ أو عن الصحابة؛ لأن إخبار الصحابة عن مثل هذا لا يكون بالرأي بل يكون له حكم المرفوع، ولذا قال الواحدي[٣]: لا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلَّا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها، وجدوا في الطِّلاب[٤]. وهكذا كان علماء هذه الأمة لا يقولون شيئًا من هذا إلَّا ما بلغهم من طريق الرواية مبلغًا يقطع الشك دونه.

---

(١) «الإتقان»: ١/ ١٢٠.

(٢) «مناهل العرفان»: ١/ ١٠٧.

(٣) علي بن أحمد بن محمد الواحدي، أبو الحسن، مفسر عالم بالأدب، توفي سنة: (٤٦٨). انظر: «إنباه الرواة»: ٢/ ٢٢٣، «طبقات الشافعية الكبرى» ٥/ ٢٤٠، «غاية النهاية» ١/ ٥٢٣ «طبقات المفسرين» للسيوطي (٦٦).

(٤) «أسباب النزول»: (١٠).

وقال أبو عبد الله الحاكم[١]: إذا أخبر الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل عن آية من القرآن أنها نزلت في كذا فإنه حديث مسند[٢]. وتابعه في ذلك ابن الصلاح[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: قولهم: نزلت هذه الآية في كذا، يراد به تارة سبب النزول، ويراد به أن ذلك داخل في الآية وإن لم يكن السبب، كما تقول: عُني بهذه الآية كذا، وقد تنازع العلماء في قول الصحابي: نزلت هذه الآية في كذا، هل يجري مجرى المسند كما لو ذكر السبب الذي أنزلت لأجله، أو يجري مجرى التفسير منه الذي ليس بمسند؟ فالبخاري يدخله في المسند، وغيره لا يدخله فيه، وأكثر المسانيد على هذا الاصطلاح، كـ«مسند أحمد» وغيره، بخلاف ما إذا ذكر سببًا نزلت عقبة، فإنهم كلهم يدخلون مثل هذا في المسند[٤].

---

(١) محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله من أكابر حفاظ الحديث والمصنفين فيه: (٣٢١-٤٠٥هـ).
انظر: «طبقات الشافعية الكبرى»: ٤/ ١٥٥، «الوافي بالوفيات»: ٣/ ٣٢٠، «لسان الميزان»: ٦/ ٢٥٠، «طبقات الحفاظ» (٤٠٩).

(٢) «معرفة علوم الحديث»: (٢٠).

(٣) انظر: «التقييد والإيضاح»: (٧٠)، «الجامع لأخلاق الراوي»: ٢/ ٢٩٣، وابن الصلاح هو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري، أبو عمرو، أحد الفضلاء المقدمين في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال: (٥٧٧-٦٤٣هـ).
انظر: «طبقات الشافعية الكبرى» ٨/ ٣٢٦، «وفيات الأعيان»: ٣/ ٢٤٣، «تذكرة الحفاظ»: ٤/ ١٤٩، «الأعلام»: ٤/ ٢٠٧

(٤) «مجموع الفتاوى»: مقدمة في أصول التفسير: ١٣/ ٣٢٩.

رابعًا: فوائد معرفة أسباب النزول[١]:

لمعرفة أسباب النزول فوائد كثيرة من أهمها:

١- معرفة الحكمة الباعثة على تشريع حكم من الأحكام.

٢- تخصيص الحكم به، عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ.

٣- معرفة سبب النزول خير طريق للوقوف على معاني آي الذكر الحكيم؛ ولذا قال الواحدي: لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها، وبيان نزولها. وقال ابن تيمية: معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب[٢].

٤- إذا كان السبب عامًّا وقام دليل على تخصيصه، فمعرفة السبب تقصر التخصيص على ما عدا صورته، ولا يجوز إخراجها؛ لأن دخول صورة السبب في اللفظ العام قطعي، فلا يجوز إخراجها بالاجتهاد؛ لأنه ظني.

٥- معرفة من نزلت فيه الآية على التعيين حتى لا تحمل على غيره بدافع الخصومة والتحامل؛ ولهذا ردت عائشة على مروان[٣] حين اتهم

---

(١) انظر: «البرهان»: ١/ ٢٢، «الإتقان»: ١/ ١٢٠، «مناهل العرفان»: ١/ ١٠٢، «مباحث في علوم القرآن» للقطان: (٧٩)، «مباحث في علوم القرآن» لصبحي الصالح: (١٢٧).

(٢) «مجموع فتاوى ابن تيمية»: ١٣/ ٣٣٩.

(٣) مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، أبو عبد الملك، خليفة أموي، هو أول ملك من بني الحكم بن أبي العاص (٢-٦٥هـ) انظر: «معرفة الصحابة»: ٥/ ٢٦٣٢، «أسد الغابة»: ٥/ ١٤٤، «تهذيب التهذيب»: ١٠/ ٨٣، «الإصابة»: ٦/ ٢٥٧.

أخاها عبد الرحمن بن أبي بكر[١] بأنه الذي نزلت فيه آية: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ [الأحقاف: ١٧] وبينت له سبب نزولها[٢].

* * *

(١) عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، صحابي ابن صحابي، توفي سنة: (٥٣هـ). انظر: «معرفة الصحابة» ٤/ ٨١٥، «أسد الغابة»: ٣/ ٤٦٦، «الإصابة» ٤/ ٣٢٥، «الأعلام»: ٣/ ٣١١.

(٢) قالت عائشة ردًّا عليه: ما أنزل الله فينا شيئًا من القرآن إلَّا أن الله أنزل عذري. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾.
انظر: «صحيح البخاري» مع «الفتح»: ٨/ ٤٣٩.

★ **المطلب الثاني: الأمثلة التطبيقية:**

قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠].

قال أبو جعفر: اختلفت القَرَأَة في قراءة قوله: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾ فقرأته عامة قَرَأَة الحجاز والمدينة: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ﴾ على وجه الابتداء من الله بالخبر عن النبي ﷺ أنه لا يأمركم أيها الناس أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابًا، واستشهد قارئو ذلك كذلك بقراءة ذكروها عن ابن مسعود أنه كان يقرؤها وهي: (ولن يأمرَكم) فاستدلوا بدخول (لن) على انقطاع الكلام عما قبله، وابتداء خبر مستأنف، قالوا: فلما صير مكان (لن) في قراءتنا ﴿لَا﴾ وجبت قراءته بالرفع، وقرأه بعض الكوفيين والبصريين: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾ بنصب الراء عطفًا على قوله: ﴿ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ﴾ [٧٩]، وكان تأويله عندهم: ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب، ثم يقول للناس، ولا أن يأمركم، بمعنى: ولا كان له أن يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابًا.

قال أبو جعفر: وأولى القراءتين بالصواب في ذلك: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾ بالنصب[(١)] على الاتصال بالذي قبله، بتأويل: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ﴾ ولا أن يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابًا؛ لأن الآية نزلت في القوم الذين قالوا لرسول الله ﷺ: أتريد أن نعبدك.[(٢)] فأخبرهم الله جل ثناؤه،

---

(١) وهي قراءة ابن عامر، وحمزة، وعاصم، ويعقوب، وخلف.
انظر: «المبسوط» (١٦٧)، «السبعة»: (٢١٣)، «النشر»: ٢/ ٢٤٠.

(٢) أخرجه أبو جعفر الطبري في «تفسيره» تحقيق شاكر: ٦/ ٥٣٩، من طريق ابن إسحاق قال: ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال: ثني سعيد بن جبير أو عكرمة =

أنه ليس لنبيه ﷺ أن يدعو الناس إلى عبادة نفسه، ولا إلى اتخاذ الملائكة والنبيين أربابًا، ولكن الذي له: أن يدعوهم إلى أن يكونوا ربانيين، فأما الذي ادعى -من قرأ ذلك رفعًا- أنه في قراءة عبد الله (ولن يأمركم) استشهادًا لصحة قراءته بالرفع، فذلك خبر غير صحيح سنده، وإنما هو خبر رواه حجاج[١] عن هارون الأعور[٢] أن ذلك في قراءة عبد الله كذلك ولو كان ذلك خبرًا صحيحًا سنده، لم يكن فيه لمحتج حجة، لأن ما كان على صحته من القراءة من الكتاب الذي جاء به المسلمون وراثة عن نبيهم ﷺ لا يجوز تركه لتأويل على قراءة أضيفت إلى بعض الصحابة، بنقل من يجوز في نقله الخطأ والسهو[٣].

فالطبري في هذا الموضع اختار القراءة بالنصب عطفًا على: ﴿يَقُولَ﴾، وسلك في احتجاجه لاختياره طريقين:

= عن ابن عباس به.
وأخرجه الواحدي في «أسباب النزول»: (١١٥)، وأخرجه البيهقي في «الدلائل»: ٥/ ٣٨٤، وعزاه في «الدر المنثور»: ٢/ ٨٢ لابن إسحاق، وابن جرير وابن أبي حاتم، وابن المنذر والبيهقي في «الدلائل»، وذكره السيوطي أيضًا في «لباب النقول»: (٥٤)، وكذا ابن حجر العسقلاني في «العجاب»: ٢/ ٧٠٥.

(١) حجاج بن محمد المصيصي الأعور، أبو محمد، كان ثقة صدوقًا، اختلط في آخره وتغير، توفي سنة: (٢٠٦هـ).
انظر: «تهذيب الكمال»: ٢/ ٦٤، «تهذيب التهذيب»: ٢/ ١٩٠، «غاية النهاية»: ١/ ٢٠٣، «تقريب التهذيب» ١/ ٢٦٢.

(٢) هارون بن موسى الأزدي العتكي، أبو موسى، علامة صدوق نبيل، له قراءة معروفة وهو من الثقات، وتوفى قبل المائتين. انظر: «الثقات» ٩/ ٢٣٧ «تهذيب الكمال»: ٧/ ٣٨٢، و«غاية النهاية»: ٢/ ٣٤٨، و«تهذيب التهذيب»: ١١/ ١٤.

(٣) «جامع البيان»: ٣/ ٣٢٨، وتحقيق شاكر: ٦/ ٥٤٧.

أولهما: بيَّن أن سبب النزول يعضد اختياره ويقويه.

وثانيهما: أنه طعن في حجة من قرأها بالرفع، وهي قراءة عبد الله بن مسعود، قال: وذلك خبر غير صحيح سنده.

قال الأزهري: من قرأ: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ﴾ بالرفع هو استئناف، ومن قرأ: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾ عطفه على قوله: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ ...﴾ ولا أن يأمركم فحذف (أن) وهو ينويها، والنصب اختيار أحمد بن يحيى[(١)]. وقال أبو علي الفارسي: ومما يقوي النصب أنه قد جاء في السير فيما ذكر عن بعض شيوخنا أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: أتريد يا محمد أن نتخذك ربًّا؟ فقال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ ... ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ ...﴾[(٢)]. وقال أبو حيان الأندلسي: وقال الطبري: قوله: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾ بالنصب معطوف على قوله: ﴿ثُمَّ يَقُولَ﴾ قال ابن عطية: وهذا خطأ لا يلتئم به المعنى[(٣)]. انتهى كلامه، ولم يبين جهة الخطأ ولا عدم التئام المعنى به، ووجه الخطأ أنه إذا كان معطوفًا على ﴿ثُمَّ يَقُولَ﴾ وكانت (لا) لتأسيس النفي فلا يمكن إلَّا أن يقدر العامل قبل (لا) وهو (أن)، فينسبك من (أن) والفعل المنفي مصدر منتف، فيصير المعنى: ما كان لبشر موصوف بما وصف به انتفاء أمره باتخاذ الملائكة والنبيين أربابًا، وإذا لم يكن له الانتفاء كان له الثبوت، فصار أمرًا باتخاذهم أربابًا، وهو خطأ، فإذا جعلت (لا) لتأكيد النفي السابق، كان

---

(١) «معاني القراءات»: ١/ ٢٦٤.

(٢) «الحجة للقراءة السبعة»: ٣/ ٥٨.

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» ٣/ ١٤٢.

النفي منسحبًا على المصدرين المقدر ثبوتهما، فينفي قوله: ﴿كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى﴾، وينتفي أيضًا أمره باتخاذ الملائكة والنبيين أربابًا، ويوضح هذا المعنى وضع (غير) موضع (لا)، فإذا قلت: ما لزيد فقه ولا نحو، كانت (لا) لتأكيد النفي، وانتفى عنه الوصفان، ولو جعلت (لا) لتأسيس النفي كانت بمعنى (غير) فيصير المعنى انتفاء الفقه عنه وثبوت النحو له، إذ لو قلت: ما لزيد فقه غير نحو، كان في ذلك إثبات النحو له، كأنك قلت: ما له غير نحو، ألا ترى أنك إذا قلت جئت بلا زاد، كان المعنى: جئت بغير زاد، وإذا قلت: ما جئت بغير زاد، معناه: أنك جئت بزاد؛ لأن (لا) هنا لتأسيس النفي، فإطلاق ابن عطية الخطأ وعدم التئام المعنى إنما يكون على أحد التقديرين في (لا) وهو أن يكون لتأسيس النفي، وأن يكون من عطف المنفي بـ (لا) على المثبت الداخل عليه النفي، نحو: ما أريد أن تجهل وألا تتعلم، تريد: ما أريد أن لا تتعلم[1].

وتابع الزمخشريُّ الطبريَّ في عطف: ﴿يَأْمُرَكُمْ﴾ على ﴿يَقُولَ﴾، وجوَّز في (لا) الداخلة عليه وجهين:

أحدهما: أن يكون لتأسيس النفي.

الثاني: أنها مزيدة لتأكيده، فقال: وقرئ: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾ بالنصب، عطفًا على ﴿ثُمَّ يَقُولَ﴾ وفيه وجهان:

أحدهما: أن تجعل (لا) مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾، والمعنى: ما كان لبشر أن يستنبئه الله تعالى وينصِّبه للدعاء إلى

---

(١) انظر: «البحر المحيط»: ٢/ ٥٣٠.

اختصاص الله بالعبادة وترك الأنداد، ثم يأمر الناس بأن يكونوا عبادًا له، ويأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابًا، كقولك: ما كان لزيد أن أكرمه، ثم يهينني ولا يستخف بي.

والثاني: أن يُجعل (لا) غير مزيدة، والمعنى: أن رسول الله ﷺ كان ينهى قريشًا عن عباده الملائكة، واليهود والنصارى عن عبادة عُزَير والمسيح، فلما قالوا له: أنتخذك ربًا؟ قيل لهم: ما كان لبشر أن يستنبئه الله، ثم يأمر الناس بعبادته، وينهاكم عن عبادة الملائكة والأنبياء[١].

قال السَّمين الحلبي: وكلام الزمخشري صحيح، ومعناه واضح على كلا تقديري كون (لا) لتأسيس النفي أو تأكيده، فكيف يَجْعل الشيخ[٢] كلامَ الطبري فاسدًا على أحد التقديرين، وهو كونها لتأسيس النفي؟ فقد ظهر والحمد لله صحَّة كلام الطبري بكلام أبي القاسم الزمخشري، وظهر أنَّ ردَّ ابن عطيَّة عليه، مردودٌ[٣].

وقد اختار القراءة بالنصب قبل الطبري جماعةٌ من الأئمة منهم: أبو بحرية السكوني، وأيوب بن المتوكل، وأبو حاتم السجستاني[٤].

---

(١) انظر: «الكشاف» ١/ ١٩٨.

(٢) أي: ابن عطية الأندلسي.

(٣) «الدر المصون» ٣/ ٢٨١.

(٤) انظر: «الغاية» (٢١٥)، «المنتهى» (٣٠١)، «الكامل» ١٧٥/أ «سوق العروس» (١٨٨).

المثال الثاني:

قال تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٥].

قال أبو جعفر: واختلفت القَرَأَة في قراءة قوله: ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ فقرأ ذلك عامة قَرَأَة أهل المدنية ومكة والشام: ﴿غَيْرَ أُولِي ٱلضَّرَرِ﴾ نصبًا بمعنى: إلَّا أولي الضرر.

وقرأ ذلك عامة قَرَأَة أهل الكوفة والبصرة: ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ برفع ﴿غَيْرَ﴾ على مذهب النعت للقاعدين.

قال أبو جعفر: والصواب من القراءة في ذلك عندنا: ﴿غَيْرَ أُولِي ٱلضَّرَرِ﴾ بنصب ﴿غَيْرَ﴾[1]؛ لأنَّ الأخبار متظاهرة بأنَّ قوله: ﴿غَيْرَ أُولِي ٱلضَّرَرِ﴾ نزل بعد قوله: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ استثناء من قوله: ﴿لا يستوي القاعدون مِنَ المؤمنين ... والمجاهدون﴾[2].

فالطبري اختار هنا النصب في ﴿غَيْرَ﴾ على الاستثناء من القاعدين؛ لأنَّه ثبت أنه نزل بعد نزول ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ﴾ فلو كان صفة لم يكن النزول فيهما إلَّا في وقت واحد، فلما نزل: ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ في وقت بعد وقت نزول: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ﴾ عُلِمَ أنه استثناء، إذْ لو كان صفة، لنزل مع القاعدين في وقت واحد، وقد ثبت أنهما نزلا في وقتين، فعن

---

(١) وهي قراءة نافع وابن عامر، والكسائي، وأبي جعفر.
انظر: «المبسوط» (١٨١)، «السبعة» (٢٣٧)، «النشر» ٢/ ٢٥١.

(٢) «جامع البيان» ٥/ ٢٢٨، «تحقيق شاكر» ٩/ ٨٥.

البراء بن عازب رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ دعا رسول الله ﷺ زيدًا فكتبها، فجاء ابنُ أمِّ مكتوم فشكا ضرارتَه، فأنزل الله ﴿غَيْرَ أُولِي ٱلضَّرَرِ﴾[١].

قال الأخفش: القراءة بالنَّصب على الاستثناء أوْلى؛ لأنَّ المقصود منه استثناء قوم لم يقْدرُوا على الخُروج، فقد بلغَنَا أنَّها أُنزلتْ من بعد قوله: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ﴾ ولم تنْزِلْ معها[٢].

وقال أبو جعفر النحاس: والحديث يدل على معنى النصب.[٣] يريد سبب النزول.

وقال أبو عبد الله ابن خالويه: من نصبه جعله استثناء بمعنى (إلَّا) وهو الاختيارُ، لأنَّ ابن أم مكتُوم جاء إلى النبي ﷺ فذكر حالَه وضُرَّه، فأنزل الله تعالى: ﴿غَيْرَ أُولِي ٱلضَّرَرِ﴾[٤].

واختار مكي القيسي القراءة بالنصب، واحتج لاختياره أيضًا بما ثبت في سبب نزولها[٥]. وقال القرطبي: وما ذكرنا من سبب النزول يدل على معنى النصب، والله أعلم[٦].

قلتُ: وللقراءة بالرفع أيضًا نصيب من الاختيار؛ لأنَّ الأصل في كلمة ﴿غَيْرُ﴾ أن تكون صفة، ثم إنها، وإن كانت صِفة، فالمقصود والمَطْلُوب من

---

(١) حديث صحيح: سبق تخريجه.
(٢) «معاني القرآن» ١/ ٢٦٤.
(٣) «إعراب القرآن» ١/ ٤٨٣.
(٤) «إعراب القراءات السبع» ١/ ١٣٧.
(٥) انظر: «الكشف عن وجوه القراءات» ١/ ٣٩٦.
(٦) «الجامع لأحكام القرآن» ٥/ ٣٤٣.

الاستثناء حاصل؛ لأنَّها في كلتا الحالتَيْنِ أخْرجت أولي الضَّرر من تلك المفْضُوليَّةِ، وإذا كان هذا المَقْصُود حاصلًا على كلا التقديرين، وكان الأصل في كلمة: ﴿غَيْرُ﴾ أن تكون صفة، كانت القراءة بالرَّفع أولى، فالضَّر: النقصان، سواء كان بالعمى، أو العرَج، أو المَرَض، ، أو بسببِ عَدَمِ الأهْبَة(١).

والقراءة بالنصب هي اختيار أيوب بن المتوكل، وأبي عبيد القاسم بن سلَّام قبل الطبري، ومكي القيسي بعده كما تقدَّم(٢).

---

(١) انظر: «معاني الفراء» ١/ ٨٣، «معاني الزجاج»: ٢/ ٩٢، «حجة القراءات» لأبي زُرعة (٢١٠).

(٢) انظر: «المنتهى» (٣٢٢)، «الإيضاح» ١٥٧/أ، «الكامل» ١٨١/ب، «سوق العروس» (١٩٤)، «الكشف عن وجوه القراءات» ١/ ٣٩٦.
وانظر: موضعًا ثالثًا في:
سورة البقرة، قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾﴾ «جامع البيان»: ٢/ ٥٧٨.